obeikan.com

وللنساء أحيانًا..

حِكاياتٌ أخرى..

الكتاب : وللنساء أحيانا حكايات اخرى

المؤلف : داليا يسري

تصميم الغلاف :

تدقيق لغوي : أحمد أسامة

رقم الإيداع : 2016/14470

الترقيم الدولي : 978-977- 778-067-4

الطبعة الأولى : 2016

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت-02-35860372 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikan.com

وللنساء أحيانًا..

حِكاياتٌ أخرى..

رواية لـ

دالیا یسري

obeikan.com

obeikan.com

إهداء

إلى تلك الروح .. إلى الغائبة الحاضرة .. إلى الجميلة العابرة وحدها فى الأحلام .. إلى أمى الغالية .. كثيرًا ما أفتقد وجودك وأعلم يقينًا أننا يومًا ما سوف نلتقى ..

إلى أبى العزيز .. شكرًا على حبك ودعمك وتقديرك .. لقد صدقتنى وآمنت بى عندما لم يفعل أحد .. ولهذا لم أكن يومًا لأبلغ ما بلغته فى أى شىء بدونك ..

داليا يسري

obeikan.com

obeikan.com

نظرت اليه ثم فكرت فى نفسها ..

يومًا ما .. كنت أنت نافذتى الوحيدة على هذا العالم .. كنت أرى الكون بأسره عبر عينيك .. كنتُ أتنفس عبر روحك .. أما الآن .. ومنذ أن انتقلت إلى بيتنا الزجاجى الجديد .. لم أعد بحاجة إلى أى نوافذ ..

وهكذا رحلت بعيدًا حتى اختفت فى المدى ولم يعد بوسعه رؤيتها مجددًا

obeikan.com

obeikan.com

كل القصص الحزينة تتشابه فى بداياتها ونهاياتها .. وتتشابه كذلك عند المنتصف.. ولكن كل القصص السعيدة لا تتشابه فى سعادتها .. ولا بداياتِها .. ولا أواسطها أو حتى نهاياتها .. ذلك وأنه قد خُلِق للسعادة بدايات كثيرة، وإنما لم يُخلق لها نهاية بعد.. لأن السعادة بحد ذاتها هى تلك المشاعر السرمدية، التى تعبر بنفسها لتتخطى حاجز الجسد و تسكن الروح .. ذلك الكيان الذى لا يموت أبدًا .. وهكذا يظل يتنقل بنفسه بين العوالم .. وما بين عالم الأرض وعالم السماء .. دائمًا ما تحمل الروح معها أسرار سعادتها .. وخبايا حُبِها .. صورًا لأشخاصًا قد عاشوا فى زمنٍ ما على وجه الأرض .. منهم من رحل واختفى أثره .. ومنهم من رحل وبقى أثره .. إلا أنه وفى كلتا الحالتين .. كان دائمًا الحب هو تلك البصمة المدهشة الوحيدة، التى غالبًا ما يتركها البشر خلفهم خلال فترة عبورهم المذهل فى هذا العالم ..

هكذا كتب عادل .. فى افتتاحية روايته الجديدة .. التى لازالت بلا عنوان .. أو بالأحرى بلا قصة .. ترك الكتابة فى تلك اللحظة، تمامًا عندما وجد نفسه ينزلق انزلاقًا رغمًا عنه إلى الكتابة عن الشىء الذى لطالما افتقده بقوة وخافه بقوة ...عن شعوره بالتناقض نحو ما يكره وما يريد.. ما يخاف وما يرغب .. شعور غريب بالشد والجذب .. بين رفضه للحب وانتظاره إياه .. بين مقته للوحدة وحبه لها واعتياده عليها .. كان عادل يعى جيدًا أن الإنسان ليس أكثر من مجرد كائن مفعم بالتناقضات .. إلا أنه

ومع ذلك كان على تمام الثقة أن تناقضاته هو وحده هى التى تعج بالغرابة..

لطالما أذهلته الطريقة التى يحب بها البشر عبر العصور .. قصص العظماء وزوجاتهم .. تلك القصص الخالدة التى كان يتوق شوقًا لأن يحيا مثلها .. تلك المشاعر .. ذلك العشق .. ولكنه وفى نفس الوقت كان يمقت هذا الحب الرخيص .. المستهلك .. الذى يكاد أن يكون مُلقى على أرصفة الطرقات .. سرعان ما يأتى وسرعان ما يختفى .. كان عادل يتمنى أن يكتب عن الحب فى ذلك العالم المثالى الذى لم يتسنى له أن يُخلق أو أن يوجد بعد فى أى مكان أخر سوى خياله..

ارتدى عادل ملابسه .. وخرج من المنزل وهو يشعر بالفراغ التام .. الفراغ من المشاعر ..الفراغ من الأفكار، إنها تلك الحالة من الخواء التام التى كانت كثيرًا ما تنتابه .. وهكذا ظل يتساءل فى نفسه .. كيف من الممكن له أن يكتب عن الحب الرائع وهو الذى لم يجربه سوى مرة واحدة فقط فى حياته!! بل إن تلك التجربة كانت أبعد ما يكون عن أن توصف بكلمة رائعة .. هو فى الحقيقة لم يختبر حبًا رائعًا من قبل قط.. بل لم يكن يدرى فى تلك اللحظة أن ما اختبره لم يكن بالأحرى يومًا بحب..

ظل يفكر ويفكر .. ثم يعود ليحدث نفسه عن هؤلاء الكُتاب مِمَّن لطالما كتبوا عن أشياء افتقدوها ولم يروها فى حياتهم قط .. إنها نعمة الخيال .. الخيال يا عادل .. هى من تمنحنا هذه الطاقة لنتصور ما نتمناه ونعجز عن الحصول عليه .. لنشفى أنفسنا من ماعجز الواقع عن مداواته فينا من جراح ..

ركن سيارته جانبًا .. وهبط ليحصل على قسطًا من المشى الصباحى.. وهكذا كان يتأمل الشوارع ويتطفل على وجوه البشر .. لعله يشعر بشىء جديد يدفعه للكتابة .. لعله يعثر على مفاتيح قصته الجديدة .. حتى قاربت الساعة الثانية عشر ظهرًا ولم يلتفت لنفسه إلا عندما سَمِع أذان الظهر.. فى تلك اللحظة فقط عاد عادل عن شروده وتذكر أن لديه موعدًا مع الناشر.. توقف بالقرب من أحد المساجد ودخل ليصلى .. ثم ذهب لمقابلة هيثم .. صديقه الذى يعمل فى إحدى الدور المرموقة فى مصر..

اعتدل هيثم واقفًا مبتسمًا بمجرد رؤيته لعادل .. ثم تنحى جانبًا ليحتضن رفيقه بعيدًا عن المكتب .. وسلم عليه ثم عاد فجلس إلى موضعه مرة أخرى .. قائلًا..

- إيه يا ابنى فينك كده .. غطسان ولا من شاف ومن درى .. وروايتك الأخيرة أهى مكسرة الدنيا بقالك داخل على سنة أهو منشف ريقنا ومش عايز تورينا كتبت إيه ولا هتكتب إيه ..

نظر إليه عادل بخيبة أمل .. ثم أشعل سيجارًا أخر..

- مش عارف مالى .. حاسس بحاجات غريبة .. والمشكلة إنى بقالى فترة فعلًا مش قادر أكتب .. مش عارف أكتب إيه حاسس إن الأفكار بتهرب منى .

- لأ ما ينفعش لازم تكتب إتصرف ..

- هو ايه دا اللى أتصرف يا أخى قلتلك ميت مرة الكتابة دى حالة .. حالة عارف يعنى إيه حالة..!! يعنى حتى الحالة دى إللى بتجيلى وتخلينى أكتب دى رزق من عند ربنا أنا مش بكتب من نفسى أنا بيجيلى الإلهام من عند ربنا .. لو مجاليش ما بعرفش أكتب ..

- روح يا شيخ ربنا يفتحها عليك بحالات كتير بدل حالة واحدة..

وبينما كان عادل ينظر إلى الأرض فى شرود وهو ممسكًا بسيجاره .. سَمِعَ صوتًا فى تلك اللحظة يرد على هيثم ..

- أيوة طبعًا الكتابة دى حالة .. حالة بتيجى بسبب الإحساس .. والإحساس أكيد مصدره القلب .. يمكن تكون شايف إن القلب عضو من الأعضاء إللى الإنسان يقدر يتحكم فيها .. بس دا مش صح .. القلب بالكامل بكل مشاعره وجوارحه فى إيد ربنا .. يعنى لما هو يقولك إن إحساسه وإلهامه مش موجود وإنه مش هو إللى بيجيب الإلهام لنفسه .. إنت لازم تكون متفهم إن دى حاجة بتاعة ربنا خالص مفيهاش سعى .. بدل ما تضغط عليه المفروض تدعيله .. كده هتساعده أكتر..

رفع عادل رأسه بانبهار .. كان يسابق عينيه حتى يرى من هى تلك التى قرأت أفكاره للتو .. تلك التى تفهمته وهى لا تعرفه..

وجد أمامه فتاة متوسطة الطول .. معتدلة القوام .. تقف عند الباب.. ذات بشرة تقع تمامًا بين المنتصف .. لا هى بسمراء ولا هى ببيضاء تكاد تكون خمرية اللون .. ذات عينان عسليتان جميلتان ووجه طفولى، شعرها الأسود الناعم المنسدل على كتفيها يطوق وجهها بأناقة مبهرة.. أما عن الأمر الذى قد لفت اهتمامه أكثر من مظهرها الخارجى كان عيناها .. حقًا عيناها .. فلطالما اعتقد عادل أن العينان هما نافذة الروح .. فلقد رأى عبر عينيها حماسًا وحبًا للحياة .. وشراسة .. والأكثر من هذا وجد فيها اللامبالاة .. الكثير والكثير من اللامبالاة ... ذلك القدر من اللامبالاة الذى باستطاعته أن يجعل أى رجل ينظر فى عينيها بأنه لا شىء على الإطلاق ... فقد كان لها ذاك القدر من الجمال الغامض، الذى ليس باستطاعة أى

رجل أن يراه .. فقط الرجل الفنان هو وحده من باستطاعته أن يقرأ جمال امرأة مثلها بعينيه..

رد هيثم قائلًا .. أهلًا أهلًا بالست هانم .. الفيلسوفة بتاعتنا يا سيدى.. تعالى يا ميزة أعرفك على عادل .. ولا أعرفك عليه ليه ما إنتى أصلًا عارفاه .. تعالى إنت يا عادل أعرفك على ميزة .. ميزة دى بنت خالتى وكمان بتشتغل هنا معانا فى الدار مترجمة من الأسبانية للعربية .. وقت ما بنحتاجها بنكلمها ..

وضع عادل سيجاره على حافة المطفأة ووقف ليبادلها التحية .. مبتسمًا ومشدوهًا لابتسامتها الساحرة..

- أهلًا بحضرتك ..

- أهلا بيك .. أنا على فكرة مش بس مترجمة .. أنا كمان قارئة ..

- وكلمة قارئ كمان ليها نفس الأهمية إللى بتحملها اسم مهنة الإنسان.. مش كده ولا إيه ..

- طبعًا .. مظبوط .. قالتها ثم نظرت لهيثم بفخر .. ثم استطردت قائلة.. أنا عارفة إن رصيدك الأدبى دلوقتى كتابين بس .. أنا قريت منهم رواية واحدة الاخيرة طبعًا اللى اسمها "كل شىء وعكسه" وعجبتنى جدًا..

عادل: تمام دى حاجة تسعدنى جدًا يا أفندم .. إتفضلى أقدر أعرف إيه اللى حضرتك فهمتيه أو وصلتيله أو وجهة نظرك من روايتى الأخيرة .. أنا فعلًا بجد مهتم إنى أعرف..

ميزة : أولًا .. عجبتنى جدًا شجاعتك .. لأن مفيش راجل يقدر يتكلم أو يتخيل أو يوصف إحساسه هيكون عامل إزاى لو هو مكان البنت .. يعنى إنت إتخيلت فى الرواية عالم أنثوى بحت .. وكانت الآية معكوسة .. كل حاجة إحنا البنات بنتعرضلها منكم إنت عكستها .. ودا إحساس أنا نفسى اتفاجئت بيه واتفاجئت إنه وصلك بنجاح مع إنك راجل معرفش إزاى وصلك إحساسى أنا مثلًا بإنى بنت .. ومحتاجة إنى عشان أروح أقرب الأماكن يمكن أنزل بحماية ولد .. تخيل لو عكسناها وبقى الولد هو إللى محتاج يخرج من البيت تحت حماية البنت ووصايتها .. يااااه كل حاجة فى الرواية على الرغم من غرابتها شدتنى .. إنت فعلًا فنان عبقرى إنك تقدر تترجم إحساس كل البنات وانت راجل .. دى قمة الشجاعة بحييك..

- عادل : شكرًا ليكى .. يجدا أنا مبسوط إنى فهمت إن فكرتى وصلت لحضرتك بوضوح كده..

- ميزة : العفو على إيه ..

****

يُقال .. أن البشر يجمعهم شبهًا غريبًا بالأشكال الهندسية .. فمنهم من هو دائرة ... ومنهم من هو مثلث .. ومنهم من هو مربع.. وهكذا ... كلما خُلِق إنسانًا .. خُلِق له فى هذا العالم شريكًا يكمله تمامًا .. شريكًا عند اجتماعه به يجعل كلًا منهما الآخر مثاليًا تمامًا .. شخصان فى اكتمالهما حضورًا لكائن ممتاز من جميع الجوانب .. كما لو أنهم قطعتى أحجية لا تتراكبان إلا مع بعضهما البعض فقط..

إلا أن البشر فى طبيعتهم بهم شىء من التعجل .. وشىء من المقارنة .. وشىء من التمرد .. وكل هذه الاشياء وحدها كفيلة بإفساد هذه الملحمة الكونية الخلابة .. التى تجمع شمل العشاق القدريين معًا .. مهما بَعدت المسافات بينهم ومهما طال عليهم الزمان دائمًا ما يلتقون فى النهاية .. ولذا تعود المشرقيين تعجل الأمور .. ظنًا منهم عبثًا أن الحب شىءٌ بيد الإنسان البحث عنه .. وأن الزواج مهمة يلزمها السعى .. السعى والسعى والكثير من السعى ... وهكذا لما ظن البعض أن البحث عن الحب يجلب الحب .. وقعوًا عبثًا ضحية آخرون ظنوا بالمثل أن الحب ما هو إلا عبارة عن عملية بحث وبحث متصل .. وهكذا تزوجت نصف الدائرة من نصف المثلث .. ونصف المربع من نصف الدائرة .. لتتكون بذلك ملحمة جديدة من التعاسة المتصلة ..الموروثة .. مأساة بشرية .. أطفالًا حزينون .. عائلات بأسرها لم تخلُ يومًا من شابٍ أو شابة واحدة قد قرروا الطلاق ..

وهكذا .. وإلى حين يتعلم البشر الصبر .. إلى حين يتعلم البشر أن هناك بعض الأرزاق لا سعى فيها .. وأن الحب يقع على رأس هذه الأرزاق .. سوف تظل السعادة دائمًا مفهومًا ضائعًا .. يتمناه الجميع .. ويخفيه بعيدًا عن الأبصار من قد عثر عليه بالفعل ..

حملت ندى هاتفها .. فى ذروة سعادتها اليومية بخلو المنزل من أفراد العائلة .. فقد ذهب هيثم ومنار أطفالها إلى المدرسة .. وزوجها آدم قد ذهب إلى العمل بدوره .. وبقيت هى وحدها تستمتع بتلك اللحظات التى لا تسمع فيها صوتًا يناديها ولا حتى صدى لإحدى تلك الطلبات المنزلية التى عادة ما تُطلب منها...

قررت الاتصال بصديقتها المقربة جدًا .. بعد أن قاربت صداقتهما على بلوغ عامها العاشر..

- الووو .. ميزة حبيبة قلبى .. إزيك يا روحى عاملة إيه ..

- الحمدلله كويسة وانتى إيه أخبارك ..

- أنا زى الفل طبعًا .. يللا طمنينى بقى إيه الجديد ..؟

تجيبها ميزة بضحكة بسيطة – جديد إيه؟

- الجديد .. يووووه يابنتى الجديد يعنى جديد أخبارك ..

- يا بنتى ما أنا فاهمة السؤال والله بس مش فاهمة إنتى اصلًا بتسألينى ليه يعنى أخر مرة اتكلمنا كانت امبارح تفتكرى هيكون إيه الجديد إلى اختلف من امبارح للنهاردة ..

- يا شيخة .. ممم طيب عاملة إيه .. إيه الصوت إلى جنبك دا .. إنتى فى الشارع؟

- أه ومش هتصدقى قابلت مين دلوقتى .. عارفة عادل فؤاد؟ المؤلف دا اللى كتب رواية كل شىء وعكسه إلى حكيتلك عنها .. لسه مقابلاه دلوقتى..

- بتتكلمى جد؟ ياعم يا عم يا مهم إنت ياللى بتقابل ناس مهمين .. قابلتيه إزاى؟ وفين؟ ودا متجوز بقى ولا خاطب ولا نظامه إيه؟

- بصى أنا بغض النظر عن إنى فى الشارع دلوقتى ومش عارفة أتكلم .. بس أوعدك المرة الجاية إن شاء الله لما أشوفه أسأله إنت متجوز ولا مش

متجوز ولو عندك استعداد تتجوز اتجوزنى عشان صاحبتى منظرة عليك..

- كده إتريقى إتريقى براحتك الحق عليا إنى عايزة مصلحتك ..

- يللا سلام دلوقتى ونتكلم بعدين ..

وكما أن كل إناء بما فيه ينضح .. كذلك كل إنسان بما يَسأل يُفهَم .. فكل يوم يسير البشر جنبًا إلى جنب فى الشوارع .. وعلى الرغم من أن المشهد يكاد يبدو لمن يراه من أعلى أو من يراه من بعيد كمجموعة من الرؤوس الملتصقة ببعضها البعض .. إلا أنهم وفى الحقيقة يختلفون كثيرًا.. اختلافات أعمق بكثير من اختلافات الوجوه والأصوات والقوالب .. فهذا يفكر فى زوجته .. وذاك يفكر فى طفله .. وتلك تفكر فى الطلاق .. وهذه الفتاة تناجى الله أن تجتاز الامتحان بنجاح لأجل والدها .... وهكذا لكل منهم وجهة هو موليها .. وهكذا أيضًا .. وبما أن الناس معادن .. فوجهة كل إنسان غالبًا ما تكون هى من أهم العوامل التى تشير إلى طبيعة معدنه الحقيقى ..

أغلقت ميزة الهاتف .. ثم وضعته فى حقيبتها السوداء الكبيرة الممتلئة بالأوراق، التى وعلى الرغم من ثقل وزنها إلا أنها اعتادت أن تحملها معها فى كل مكان .. ثم وجهت وجهها إلى المنزل ولم تكن تفكر فى شيءٍ سوى نوعية الطعام الذى سوف تعده اليوم لعائلتها على الغداء وفى صديقتها سارة التى تتمنى أن تتسنى لها الفرصة للحديث معها اليوم ..

بينما اختلفت وجهة ندى تمامًا عن وجهة صديقتها .. فما لبثت أن أغلقت الهاتف بيدٍ .. حتى تناولت باليد الأخرى جهاز الكمبيوتر اللوحى ..

الذى كان بالفعل مفتوحًا أمامها فى هذه الساعة الصباحية لما كانت تستمع إلى بعض الموسيقى .. فتحت أحد المواقع الشهيرة المخصصة كمحرك بحث على شبكة الإنترنت .. كتبت عادل فؤاد ..

ظهرت لها صورة له مصحوبة بسيرته الذاتية .. وأخذت تقرأها بصوتٍ مسموع ..

مممم عادل فؤاد مواليد .... يعنى عنده السنة دى 33 سنة .. ممم روائى وصحفى يعمل فى جريدة ... إيه ايه؟؟؟ إيه ..!! خريج هندسة .. قسم اتصالات...!!

وهنا فقط تركت الجهاز ثم اسندت ظهرها إلى الأريكة التى كانت تجلس عليها .. ثم استطردت تتحدث إلى نفسها بصوت مسموع ..

ودا إيه الجنان دا .. مهندس اتصالات وسايب مجاله وشغال بيكتب كلام مش عارف إيه .. بس يا سلام عليكى يا ميزة أيوه كده على طول بتقعى واقفة .. يعنى مهندس وكاتب وشاب حلو يعنى طول بعرض كده واسمرانى وزى القمر .. ومفيش كرش .. يانهاارى دا معندوش كرش بجد .. دا أنا كنت خلاص بدأت أفقد الأمل إن فى جوه مصر راجل واحد من غير كرش .. منك لله يا آدم قرفتنى بكرشك ... مش فالح بس غير تقولى خسى خسى وانت البعيد ولا على بالك منظرك كأنك مثلا ما بتعديش من قدام مرايات.. مش عارفة أعملك إيه عشان تحس إن عندك كرش وكبير كمان.. دى بطنك بقت أكبر من بطنى أيام الحمل يا راجل ... يللا يا بنت المحظوظة أهى بكرة تتجوزه دا وتعيش عيشة أحسن من عيشتى مع البيه.. وكمان تخلف عيال أحلى من عيالك مهى أحلى منك وجوزها أحلى من جوزك طبعًا هتجيب عيال وحشين لمين .. آدى أخرتك يا ندى آدى

أخرتك بس عشان كنتى مسروعة عالجواز .. إنتى خدتى على دماغك وهى لسة حرة وبتختار..

***

وكما كان لمفهوم عادل عن الحب وجهين .. وجهًا يتمناه ووجهًا يخشاه.. وجهًا يحمله فى خياله ووجهًا أخر يراه فى واقعه .. كان كذلك لمفهومه عن احترام المرأة وجهين .. بل أكثر من وجهين .. كان هذا المفهوم يتخلله التناقض أيضًا .. ففى حين شعوره بالظلم لمجرد تصوره أنه كان من الممكن أن يُخَلق امرأة بدلًا من رجلًا مما دفعه لكتابة روايته الأخيرة .. إلا أنه وفى الحقيقة لم يَكنُ يحمل للنساء فى داخله يومًا ذلك الاحترام الموصوف على صفحات كُتبه ..

هو فى الحقيقة لم يكن يومًا بمنافقًا حتى يتعمد التظاهر بعكس ما يخفيه من أفكار .. هو فقط كان يؤمن بأن اسمه يعتبر أكثر من مجرد اسم.. اسمه عادل وهو عادل .. إنه اسم يحمل بين طياته رسالة .. فهو على يقين من عشقه للعدل، لذلك ظن أنه من العدل له أن يتخيل كيفية الحياة فى حال انعكست الموازين بين الرجال والنساء فى المجتمع الشرقى.. وهكذا كتب رائعته التى حازت على إعجاب الآلاف .. وجمعت له قدرًا مشهودًا من النساء اللاوتى لا يتوقفن عن الاصطفاف أمامه فى حفلات التوقيع .. حتى أنهن يكدن يبدون لمن يراهن من بعيد كما لو كأنهن لا يحملن كتبًا فى أيديهن ليمنحهن توقيعه، وإنما قلوبًا تلك التى قد آثرن وضعها على كفوفهن وتقديمها إليه... لعله بذلك يمنحها ذلك الشعور المنشود، ويجعلها بطلة فى إحدى قصصه الواقعية التى عادة ما يكون هو بطلها وهى بطلتها ..

كم هن ساذجات من خدعتهن أوراقك وكلماتك يا عادل .. لو كن يعلمن ما يدور برأسك فى تلك اللحظات عندما كتبت تلك الرواية .. لو كن يتصورن كم تحتقرهن أنت بشدة .. تحتقرهن جميعًا بذنب واحدة منهن..لما اصطففن أمامك هكذا أبدًا.. ولكن يالحظك ويالحظنا .. فلقد منحنا الله تلك النعمة التى تمنعنا من قراءة أفكار أحدنا الآخر .. وإلا لما تسنى لكلٍ منا أن يتلحف أفكاره برأسه ويحجبها عن الجميع ..

وهكذا قد يظن البعض أن امرأة تقرأ هى امرأة تبحث عن الحب فى الكتب .. ولكن ماذا عسانا نقول عن نساء تتحسس ما هو أغلى من الحب عبر الأوراق .. الاحترام .. الاحترام يا عادل هو ما أوقعهن فى غرامك .. الاحترام الذى لطالما افتقدنه فى واقعهن ونسيه الرجال من حولهن.. الاحترام هو ما أغشى عقولهن وقادهن إلى الاندفاع عبثًا خلف سرابك .. فكم هى مسكينة من افتقدت ذلك الشعور بالاحترام فى الواقع ... فقد حُكِم عليها أن تقع فريسة لأول رجل يتظاهر بمنحها إياه.

لقد قيل قديمًا .. أن هناك ذنبًا واحدًا كفيلًا بأن يجعل كل النساء سواء .. هذا الذنب هو بالطبع الخيانة .. وما سواها قد يجعل منه رجلًا يمقت كل النساء .. يراهن مثيلاتٌ لبعضهن .. يحملن نفس الطابع والشخصية والأفكار .. نفس الرغبات والدوافع .. حتى نفس الملابس .. فقد كان عادل يراهن جميعًا سواء .. وهكذا قد آثر البقاء وحيدًا .. معلقًا آماله على صورة امرأة مثالية .. لطالما ظن أنها لم تُخلق بعد..

خرج عادل من مكتب صديقه فى ذلك اليوم .. وهو يفكر فيها .. فى إطلالتها وجمالها .. يتأمل ملامحها مرارًا وتكرارًا فى صمت .. وكعادة كل الكُتاب .. حمله خياله بعيدًا للحظات .. مجربًا أن يتصور له حياتًا معها أو

حتى لقائًا أخر .. ثم عاد فى لحظة إلى وعيه .. وتناول نفسًا عميقًا محاولًا أن يستنشق الهواء .. محدثًا نفسه..

ولا حاجة ... ما تبقاش خفيف كده مش عشان قالتلك كلمتين جم على مزاجك يعنى .. إنت لسه هتقعد تفكر فى واحدة ملهاش لازمة .. دى ولا حاجة .. هتكون إيه يعنى غير واحدة تانية تافهة وفاضية من جواها .. وما عندهاش أى هدف فى الدنيا غير إنها تضمن عريس وتضمن إن يبقى اسمها متجوزة .. واحدة عايزة تتجوز عشان تاخد اللقب بس أهم حاجة تتجوز بنك، مش راجل .. بلاش قرف كلهم بقوا نسخة واحدة .. إنت تعيش لوحدك أحسن ما تضيع عمرك مع نسخة من ملايين النسخ.. هيحصل إيه يعنى .. هتعد تقولك بحبك بحبك بحبك وما أقدرش أعيش من غيرك وفى الأخر هتسيبك وتمشى وتروح لأول واحد أغلى منك بقرش..

***

عادت ميزة إلى المنزل فى عجلة من أمرها .. لتنهى الغداء ولم يكن هناك أحد فى البيت سواها .. بينما لم يحضر أخوها مصطفى .. لا هو ولا والدها بعد.. دخلت إلى المطبخ .. فتحت البراد .. استخرجت منه الدجاجة التى قد جهزتها وأعدتها بالأمس للطهو .. وضعتها فى قدر من الماء لأجل الغلى .. ثم ذهبت مسرعة إلى غرفتها .. بدلت ملابسها وأدت الصلاة .. وعادت إلى المطبخ مرة أخرى لتستكمل تجهيز وجبة الغداء ..

كانت ميزة هى الأخت الكبرى فى منزل لا أم فيه .. فقد توفيت عنهم والدتهم لتتركها بمجرد بلوغها الواحد والعشرون من العمر على رأس منزل أكبر أفراده أبًا مهمومًا وزوجًا مفجوعًا .. وأصغر أفرادها شابًا فى طريقه إلى بلوغ الثامنة عشر..

تناول الجميع الغداء .. ثم ذهبت فى عجلة من أمرها تفتح شبكة الإنترنت لكى تتلقى اتصالًا من صديقتها سارة كما كانت تتوقع .. إلا أنها شعرت بالخيبة عندما تركت لها الأخرى رسالة تعتذر فيها عن المكالمة اليوم لما عند صديقتها من مشاغل..

- يا ربى .. ليه كده يا سارة بقالنا أسبوع ما إتكلمناش ..

ثم كتبت إليها .. ولا يهمك لعله خير أهم حاجة بس إنتى تكونى كويسة وجوزك كويس.. مع السلامة أول ما تلاقى وقت كلمينى هرد عليكى على طول أنا موجودة ..

***

كان عادل جالسًا يتناول الإفطار على إحدى الطاولات الجانبية المطلة على الشارع فى أحد المقاهى بحى الزمالك ورائحة القهوة الخلابة تفوح من تلك العلبة الزجاجية، التى يجتمع فيها الناس هذه الأيام ويسمونها مقهى.. وعلى الرغم من أنه كان فى الصباح والصباح يحب الهدوء .. إلا أن الزبائن من مرتادى هذا المقهى كانوا يحدثون جلبة كبيرة باستطاعتها أن تشوش على عقل وتفكير أمهر الكتاب وأفضلهم براعة..

حمل عادل فنجانًا من القهوة وقربه من شفتيه وارتشف منه قليلًا ثم وضعه مجددًا على الطاولة.. وقبل أن يشرع فى محاولاته المستميتة للكتابة.. كانت عينيه تجول فى المكان .. يمينًا ويسارًا فى ملل .. يتأمل وجوه الناس .. ثم تلتقط أذنيه الكلام من هذه الطاولة تارة .. ومن تلك الطاولة المجاورة تارة أخرى .. التفت بعينيه فى شرود وأخذ يُتابع مجموعة من الشابات الواقفات على مدخل البناية المجاورة ..

كُن يتبادلن الضحكات .. كانت مجموعة من خمس شابات، جميعهن أجنبيات إلا واحدة فقط تبدو من الخلف مصرية.. ظل يتابعهن بعينيه حتى التفتت تلك الفتاة ..

إيه ده .. دى ميزة .. إيه ده .. إيه اللى جابها هنا دى..

التقط أنفاسه ولسببٍ ما لا يعرفه بعد بدأت دقات قلبه تتسارع .. قرر أن يدير وجهه جانبًا بسرعة ويدعى أنه مشغول حتى لا تلمحه وتفرض نفسها على الانضمام إليه لمشاركته فى جلسته الصباحية المفضلة .. وقبل أن يفعل كانت بالفعل قد لمحته .. رفعت عينها للأعلى قليلًا ومنحته تلك الابتسامة الآثرة ثم لوحت بإحدى يديها .. بادلها التحية ثم أشار لها أن تنتظر وترك موضعه وهبط الدرج على مضض حتى يتحدث إليها ..

- صباح الخير .. إزيك .. عاملة إيه؟

- صباح النور .. الحمدلله كويسة .. وانت كمان عامل إيه؟

- الحمدلله .. أنا قاعد هنا بحاول أكتب .. قالها ثم نظر بعينيه إلى البناية التى خرجت منها ميزة.. فقالت هى له ..

- أنا باخد كورس هنا ..

- كورس ... كورس إيه؟

- كورس إيطالى ..

- إيه دا انتى بتتكلمى إيطالى كمان..؟

- لأ مش قوى كده أنا لسه فى تانى مستوى بس إن شاء الله هكمل واتكلمها برضو..

- أيوه بس إنتى مترجمة أسبانى ..!!!

- أيوه أنا مترجمة أسبانى بس هل دا يمنعنى من إنى أتعلم لغات تانية غير الأسباني؟ أنا على فكرة بتكلم إنجليزى بطلاقة كمان وعندى خلفية كويسة عن العبرى.

- آه طب كويس والله برافو عليكى ..

صمت لبرهة ثم وجد نفسه بدون سابق تخطيط أو إنذار يدعوها للانضمام إليه..

- بقولك هو احنا هنفضل واقفين فى الشارع كده كتير .. ما تتفضلى فوق نشرب قهوة ..؟

ابتسمت له .. ثم قالت ..

- لأ أنا أسفة مش هقدر..

- ليه .. والله عادى أنا أصلًا كده كده مفيش فى دماغى أفكار أكتبها إنتى بجد مش هتعطلينى عن أى حاجة .. ولا انتى وراكى حاجة؟

ضحكت له ثم قالت ..

- لأ هو مش مسألة ورايا حاجة أو كده .. بص هو أنا مش قصدى أضايقك بس أنا متأكده إنك هتتفهم وجهة نظرى .. هى مسألة مبدأ .. أنا ما بخرجش مع حد عشان كده مش هقدر..

obeikan.com

امتعض وجهه .. وساد الصمت للحظة .. ثم ابتسم بتصنع واضح .. قائلًا ..

- لأ عادى خلاص .. أنا متفهم والله وانا كمان بحترم الشخص إللى عنده مبادئ ومتمسك بيها..

ابتسمت له مرة أخرى وقالت ..

- خلاص فرصة سعيدة .. مع السلامة ..

استدارت لتذهب فى طريقها .. بينما هو لايزال واقفًا لبرهة مشدوهًا فى موضعه .. وبعد أن سارت بضعة خطوات التفتت إليه وقالت له ..

- أستاذ عادل .. صحيح .. عشان تلاقى الإلهام إللى بتدور عليه وتلاقى كلام تكتبه ويطلع حلو بجد .. جرب تروح تقعد فى أماكن مفتوحة يكون فيها زرع وشجر وعصافير وطبيعة .. وبلاش الأماكن دى كلها إزاز فى إزاز وكراسى كده وطرابيزات قريبة من بعضها .. هتحبس نفسك وأفكارك فى زواية ضيقة قوى..

ابتسم لها قائلًا .. صح عندك حق .. فكرة حلوة ..

قد يظن المرء أن تغييرًا بسيطًا قد يستغرق شهورًا قبل أن يحدث .. بل وأحيانًا قد يمتد لسنوات .. إلا أنه وفى الحقيقة أن التغيرات الكبرى غالبًا ما تستغرق جزءًا أقل من الثانية .. ولا يدرى المرء كيف أنه باستطاعة امرأة لها مبادئ أن تثير فضول رجل واحد .. بل آلاف الرجال ..

فكم هن كثيرات ذينك النساء اللواتى اعتدن أن يلقين بأنفسهن عند أقدام الرجال .. يفتحن قلوبهن لهم كالكتاب المفتوح .. إنهن كمن يقلن

تعال واقرأنى .. ذلك وأنه لا يوجد أرخص وأوفر من امرأة سهلة المنال .. ومن منطلق منطق رجولى بحت .. اركلها اليوم بإحدى قدميك وكن أكيدًا من أنها ستركض إليك غدًا لاهثة ..

عاد عادل إلى طاولته .. جلس على نفس المقعد بجسده .. ولكن عقله فى الحقيقة كان شاردًا فى مكانٍ ما .. وقلبه كان يترك موقعه لأول مرة راكضًا خلف مكانٍ أخر .. حملته ذاكرته فجأة إلى نسمة .. تلك الفتاة المبتذلة .. التى كانت زميلة له فى الجريدة .. لم يكن يمر يومًا من دون أن تسأله للخروج معها .. بل وتلح عليه أحيانًا .. تذكر كيف كان يرفضها بعنف .. بل ويتسبب لها بالكثير من الإحراج كذلك .. بينما لا تنفك تتوقف هى عن فرض نفسها عليه .. تذكر فى تلك اللحظة كيف استمرت فى فعل هذا الأمر حتى أتى إلى الجريدة زميل جديد لهما .. عندها فقط توقفت نسمة عن ملاحقته ووجهت أنظارها تجاه أحمد الزميل الشاب الجديد .. الذى يكاد يبدو على وجهه أنه قليل الخبرات النسائية .. أوقعته فى شباكها وتزوجته بالفعل.. وتركت العمل وارتاح عادل من احتمالية رؤيتها كل يوم..

تكاد تكون مجرد لحظات تلك التى مرت على عادل فى ذلك المقهى .. ولكن حقًا شريط خبراته النسائية السيئة قد عبر على ذاكرته للتو ..

عاد إلى موضعه .. يتأمل الموقف فى ذهول .. أليست تلك هى الفتاة التى كان منذ عدة دقائق فقط يريد أن يتنكر منها ويدير وجهه حتى يختبئ منها ولا يبادلها التحية !! .. اليست تلك هى الفتاة التى شبهها بالجميع وحكم عليها مسبقًا بأنها نسخة أخرى من فتيات كثيرات ..!! كيف إذًا تجرأ وتخلى عن موقفه ودعاها لتناول القهوة معه ..؟؟

غبى غبى .. إتدلقت زى الجردل بالظبط .... لا بالعكس دا الجردل أحسن منك على الأقل لما بييجى يتدلق بيبقى فى حد ماسكه غصب بعنه بيدلقه بس إنت يا شاطر إتدلقت بمزاجك.. وانت مالك إنت بتسألها ليه .. بتتعلم ولا بتعمل إيه فى المركز ولا انت يخصك فى إيه اصلًا .. آه آه صحيح إنت ما سألتهاش هى إللى قالت من نفسها .. لأ لأ هى إللى قالت اه أنا مليش دعوة .. منظرك إيه دلوقتى واهى واحدة رفضتك ..!!! وانا يعنى بعد السنين دى كلها ومصمم ومتمسك بمبادئى تيجى كده فى ثانية تغير رأيك وتقولها تعالى واشربى واقعدى ومش عارف إيه ..

أيوه يا عادل بس دى ما رفضتنيش .. هى قالتلى دا مبدأ ... يعنى هى طلعت أجدع منك واتمسكت بمبدأها وانت لأ .. يللا خلينى أنا كده بتخلى عن مبادئى واحد ورا التانى لحد ما هبص ألاقى نفسى بقيت بواقى بنى آدم فى الأخر .. هرجع لنفس الحالة إللى كنت عليها زمان بعد نهى وإللى عملته معايا ..

مرت ساعات وهو على هذا المنوال .. جالسًا فى موضعه شارد الذهن.. يتحدث إلى نفسه عن نفسه .. ويلوم نفسه بنفسه ثم يعود ليدافع عنها ..

***

وقفت ميزة كعادتها على شرفة منزلها .. تروى بناتها من الزهور .. نعم بناتها .. هكذا كانت هى تعتقد .. فهى من جلبتهم إلى المنزل بذورًا .. وهى من هيئت لهم موضعًا مميزًا بالشرفة .. وهى من اعتنت بهم .. وهى من كانت تحتفظ لهم بمجموعة جميلة من الصور، فقد كانت تعتقد أنها تحمل ذكرياتها معهم .. فكما منحت هى الزهور الماء والبيت والحياة .. منحوها هن السعادة والعطر والأهم من هذا وذاك .. منحوها الكثير والكثير من

الصبر، عبر كل يومًا كانت تجلس بالقرب منهن وتنتظر أن ترى تغييرًا .. تنتظر أن ترى زهرة تتفتح .. كانت ميزة تؤرخ حياة تلك الزهور بالكاميرا.. فهى تمتلك لكل واحدة منهن صورة فى بداية حياتها قبل أن تنبت .. وصورة أخرى فى بداية نموها .. وصورة أخرى عندما كبرت .. وهكذا .. كانت ميزة أمًا لزهور الريحان والقرنفل والإستر والورد البلدى ...

كانت ميزة واقفة ذلك الصباح فى شرفة منزلها تستمتع بممارسة عادتها السعيدة وتشاهد زهورها كالعادة .. حتى أتاها اتصال متعلق بعادة امرأة أخرى مهاتفتها كل يوم فى نفس الموعد ..

- ميييزة حبيبة قلبى .. إزيك عاملة إيه؟

- أنا كويسة الحمدلله إنتى إزيك يا ندى .. إيه أخبارك ..

- أنا تمام .. بقى كده إن ما كنتش أنا أتصل إنتى ما تتصليش .. كده يا وحشة..

- والله يا ندى غصب عنى وبعدين أنا مشكلتى إنى مش بلاقى كلام نقوله .. يعنى إنتى بتكلمينى كل يوم بالظبط فى نفس الميعاد دا وبنحكى كل حاجة وما بيبقاش عندى كلام تانى أقوله دا غير إنك عارفة أنا أصلا طول اليوم ما بين يا بشتغل يا بعمل شغل البيت ..

- مممممم طيب .. ماشى .. صحيح مفيش جديد؟؟ ما شوفتيش الواد عادل دا المؤلف؟

- لأ ما شوفتوش .. ااا لأ لأ شوفته صحيح شوفته صدفة مرة وانا خارجة من الكورس ..

- إيه بجد واتكلمتوا؟ قلتوا إيه هاه؟

- آه سلمنا على بعض عادى ما حصلش حاجة ..

- بس كده يا شيخة .. مم؟؟ أصل أنا بصراحة عندى ليكى خبر يجنن عملتلك عليه أبحاثى دا طلع مش متجوز وخريج هندسة وكمان بقاله كتير عازب وكاتب بقى ويا حظك يا ستى ..

- ندى بجد هبطل أتكلم معاكى .. إنتى رايحة تعملى عنه بحث موسع ليه واحنا مالنا وماله ما هو حر يتجوز يتطلق أنا مالى بتتكلمى معايا ليه .. مش هتبطلى أسلوبك دا مية مرة قلتلك ما بحبش الطريقة دى ..

- خلاص خلاص .. ولا تزعلى نفسك .. أنا هقفل أهو وأريحك منى خالص يللا سلام ..

***

كان عادل على تزمته .. رجلًا قدريًا من الطراز الأول .. لا يؤمن بالصدف .. يعلم تمامًا أن ما حدث خلال حياته بأكملها أيًا كان لم يحدث بلا سبب أبدًا .. وهكذا وفجأة وبدون سابق إنذار .. وجد نفسه يعود مراهقًا مرة أخرى .. كمن يرى امرأة لأول مرة فى حياته .. كمن يهتم للوهلة الأولى .. كمن لا يمكنه كبح جماح تفكيره عن لهفته للقائها مرة أخرى .. لا يعلم كيف .. ولا يعلم متى .. أو بالأحرى لم يكن يعلم لماذا يريد أن يلقاها .. فمن الظاهر كان عادل يظن أنه أقوى من أن يعترف لذاته بحقيقة إعجابه بامرأةٍ ما .. ولكن فى أعماق أعماقه كان يعلم أن شيئًا ما بداخله قد تغير بعد لقاءه بهذه المرأة للمرة الأولى .. وشيئًا أقوى قد تغير بعد أن

تعثر بها للمرة الثانية .. فكما قال نزار قبانى .. كل شىء يمكن اخفاؤه إلا خطوات حب تتحرك بداخلنا ..

بدأ صبره ينفذ كعادته .. وعلى اعتبار أن القدر يصنعه الله وحده .. قرر هو أن يصنع صدفة جديدة من نوع خاص .. حتى يلتقى بها مرة أخرى لعله بذلك ينجح فى اختلاس خمس دقائق أخرى من عمر الزمن ليتحدث إليها ..

تناول هاتفه واتصل بالمعهد الثقافى الإيطالى متظاهرًا أنه أحد طلاب اللغة الإيطالية ليستعلم عن مواعيد الصفوف الدراسية .. فلقد كان شوقه للقائها أقوى من أن يعينه على الانتظار أسبوعًا كاملًا وصولًا إلى نفس اليوم ونفس الموعد الذى رآها فيه .. عرف المواعيد واستعد للموقف مرة أخرى .. حتى يبدو للجميع لها ولنفسه انه لم يخطط للقاء .. بل جاء الأمر عفويًا كأول مرة .. وفى نفس المقهى .. ومن على نفس الطاولة.. وضع جهاز الكمبيوتر الشخصى الخاص به أمامه .. وبجانبهم بضعة أوراق حتى يكتمل المشهد فى مثاليته وتصدق هى عندما تراه أنهم التقوا من قبيل الصدفة للمرة الثانية على التوالى..

جلس منتبهًا ينظر عبر اللوح الزجاجى إلى الخارج .. عينيه متعلقة ببوابة البناية .. حتى عندما أتاه النادل يسأله عن الذى سوف يتناوله .. قال له بدون أن ينظر حتى إليه ..

- أى حاجة .. هات أى حاجة ..

- زى إيه يا افندم ..

- قهوة .. قهوة هاتلى قهوة أمريكانى..

لمحها تخرج من البوابة ... كانت وحدها هذه المرة .. بدون مجموعة الشابات اللواتى كانت تقف معهم فى المرة الاخيرة.. تأهب وهو على مقعده.. وجه وجهه صوب جهاز الكمبيوتر بينما كانت عيناه لازالت موجهة نحوها.. وبدون أن يشعر كان يهلل فرحًا فى أعماق أعماقه .. يشعر بالحماسة الغريبة ..

إلا أن هذا اليوم لم يكن مقدرًا لهم أن يلتقوا كالمرة السابقة.. فقد خرجت ميزة من البوابة وهى تنظر إلى هاتفها النقال .. وذهبت بعيدًا فى خطى سريعة وواثقة ..

يا إلهى .. شعر عادل بخيبة رهيبة .. يا للقدر .. الذى لا يمكن لأى إنسان أن يعانده .. ففى المرة السابقة عندما أراد أن يتجنبها ويتجنب الحديث إليها لمحته .. وففى هذه المرة عندما أتى بملء إرادته مستعدًا ومتأهبًا للحديث .. طارت بعيدًا كالعصفور ..

أدرك عادل فى هذه اللحظة أن ما حدث قد حدث لأنه يريد أن يعاند أمرًا أكبر منه .. أراد أن يصنع صدفة .. ولا يوجد فى الحقيقة شيئًا اسمه الصدفة .. بل هناك فقط أقدار .. مجرد أقدار وهكذا فإن الإنسان عادة ما يكون أفقر من أن يرتب أقداره لنفسه ..

جمع أغراضه بائسًا من المقهى .. وطلب الفاتورة .. ثم حمل نفسه واتجه عابثًا كالعادة للجريدة .. التى ما لبث أن وصل إليها حتى تلقى مكالمة هاتفية من هيثم .. كانت كفيلة بفك عبوثه لبقية اليوم ..

***

اقتربت الساعة الثامنة مساءًا .. كانت ميزة فى غرفتها عندما انتهت لتوها من ترجمة أخر عدة أوراق من ذلك الملف .. ثم اعتدلت عن كرسيها.. وقفت فى تعبٍ واضحٍ، تضع إحدى يديها على خصرها والأخرى على الكمبيوتر .. ثم عادت لتنحنى مرة أخرى أمام جهاز الكمبيوتر ومدت أصابعها بغرض إغلاقه .. وقبل أن تضغط أتاها اتصال عبر الإنترنت قد طال انتظاره من صديقتها سارة..

ردت ميزة فى ابتهاج ..

ساااااااااااااااارة إزيك عاملة إيه ... إيه أخبارك .. وحشتينى قوى على فكرة..

- أنا كويسة الحمدلله ... وانتى عاملة إيه ..؟

- أنا تمام الحمدلله .. كل أمورى كويسة وبخير .. مش ناقصنى غير حاجة واحدة بس هى إنى أشوفك ..

- والله وأنا كمان عايزة أشوفك جدًا .. معلش والله يا بنتى غصب بعنى.. بجد إنتى ما تعرفيش الأيام إللى فاتت دى كانت إزاى ..

- ليه خير..

استمرت الفتاتان فى حديثهما لمدة ساعتين .. ولم يقاطعهما شىء سوى صوت نغمات هاتف ميزة وهو يدق..

- إستنى كده يا سارة خليكى معايا عالخط دا هيثم بيتصل شكل فى حاجة ..

تناولت الهاتف ثم جاءها صوت هيثم عبر الهاتف .. أيوه يا ميزة إزيك.. بصى معلش هكلمك بسرعة ما عنديش وقت .. دلوقتى إنتى حضرى نفسك هتسافرى إسبانيا كام يوم كده مع عادل فؤاد فاكراه؟

- أه فاكراه بس ليه؟

- هو المفروض عنده 3 حفلات توقيع فى إسبانيا .. للجالية العربية المقيمة هناك .. المهم إحنا ما نقدرش نجيبله مترجم من المقيمين فى البلد هيكلفونا كتير وكمان ما نقدرش نبعته لوحده لازم حد معاه .. وانتى عارفة البلد ورحتيها قبل كده كذا مرة وبتتكلمى اللغة .. هتسافرى كمترجمة على حسابنا والدار هتحاسبك باليوم .. تمام معاكى ..

- آه ماشى تمام ..

أغلقت الهاتف وهى تطير من الفرح .. سااارة سارة شفتى .. إنتى وشك حلو قوى عليه .. أنا كأن ربنا خد الكلمة مننا وحققهالى .. هاجى عندك فى إسبانيا وهنتقابل إن شاء الله .. سبحانك يارب .. أنا مبسوطة بجد أنا فرحانة قوى ..

***

وفى مطار القاهرة .. دخل عادل قبل موعد طائرته بحوالى ساعتان وربع تقريبًا .. هو الذى على غير عادة جميع المسافرين .. قد امضى معظم اوقاته فى الاستعداد للقائها .. فى تحضير كلمات منمقة لأجل إبهارها .. ولفت أنظارها .. بدأ عادل يخطو خطوات داخل المطار .. ومع كل خطوة يخطوها كانت دقات قلبه تتسارع .. لا يعرف كيف تنتابه تلك المشاعر وهو الذى أمضى أيامًا يستعد ويستعد .. ويعيد تلك اللحظة فى خياله مئات

المرات .. ماذا سوف يقول .. ماذا سوف يفعل .. ارتدى أفضل ما يملك .. بعد أن امتلأت حقيبة سفره بالملابس الجديدة التى ركض لشراءها قبيل سفره.

وفجأة لمحته ميزة من بعيد .. التى كانت تجلس على كرسى من كراسى الانتظار .. رفعت يدها وبدأت تلوح له ليأتى .. وعلى الرغم من اعتياد عادل على العبوث لعمرٍ بأكمله .. إلا أنه لم يكن يملك أمام وجهًا ضاحكًا كوجهها إلا أن يتخلى عن عبوثه ويبادلها الابتسام ..

- ميزة إزيك .. عاملة إيه ..؟

- أنا الحمدلله كويسة .. كنت مستنياك .. الحمدلله إنك ما إتأخرتش..

يا خبر كانت مستنيانى .. هكذا فكر عادل .. فقد قالتها ميزة وهى لا تعلم كيف كان وقع هذه الكلمة على أذنه .. فقط بدا كالمراهق الذى يتحسس الكلمات التى يسمعها .. ويفهمها كما يريد هو .. وليست بمعناها عندما قيلت .. شرد عادل لوهلة .. ثم عاد للواقع مرة أخرى .. وعندما عاد لمح شخصين يقفون إلى جانبها .. كان من فرط انتباهه وانشغاله بها لم يلمحهم فى النظرة الأولى ..

ميزة – أحب أعرفك بعيلتى الصغيرة قوى .. أستاذ أحمد المسعدى .. بابايا طبعًا بيشتغل محامى وعنده مكتبه .. ودا مصطفى أخويا الصغير والوحيد كمان .. حقوق إنجليزى وبيشتغل مع بابا فى مكتبه ..

كانت منشغلة بتقديم عائلتها له .. واحدًا تلو الآخر .. بينما هو كان منشغلًا بابتسامتها الدائمة .. يا إلهى لِمَ أنتِ دائمة البهجة هكذا يا ميزة ..

لِمَ أنتِ هكذا !! وتُرى أين هى أمك؟ رد عادل قائلًا مبادلهم التحية .. – تشرفت بمعرفتكم .. أهلا بيكم.

كان والدها على وشك الخوض فى حوار معه .. إلا أن صوت المضيفة باغتهم من الخلف مطلقًا نداء الرحلة التالية ..

وترك والدها على الفور فكرة مبادلة أى إنسان أخر سوى ابنته الكبرى الحديث .. فلقد ضمها بين ذراعيه لبرهة .. وبدون أن ينطق بأى كلمات .. كان عادل يتابعهم بعينى رجل .. فرجلٌ وحده قد يفهم ما يراه البعض أن أبًا يحتضن ابنته ليُشعرها بالأمان.. بينما قرأ عادل المشهد قراءة صحيحة فى لحظة.. كان والدها يحضنتها لأجله هو .. لا لأجلها هى .. كان يحضنتها ليستمد هو شعوره بالأمان منها .. كان ذلك المشهد ليبدو لأى إنسان أخر مشهدًا عاديًا .. ولكن بعين إنسان لم يختبر يومًا سوى مشاعر الأب القاسى .. الأب المتجهم الوجه الجامد القلب... كان يراقب فى صمت .. بل كان يستشعر إحساس أبوها فى صمت.. ذلك المشهد الذى قد تيقن عادل أنه مهما طال به الزمن لن ينساه ابدًا ..

أمسكها والدها بين ذراعيه مرة أخرى ثم قال لها بصوتٍ حنون يملؤه الحب .. حبيبة قلب بابا .. خلى بالك من نفسك ..

- وردت هى بفخر .. بوجه يحبس دموعه خلف قناعٍ من البسمة .. حاضر يا بابا ما تخافش بنتك راجل ..

وهكذا انتقلت ميزة من أحضان أبيها .. إلى أحضان أخيها .. بينما كان عادل يقف بالقرب منهم أثناء تبادل الوداع، كأنه لا شىء .. حقًا شعر أنه لا شىء .. وأن الهواء الموجود فى المكان قد يكون أكثر أهمية منه فى هذه

اللحظة .. فلقد كانوا يودعون بعضهم بدون أن يوجه إليه أحدهم كلمة وداع واحدة .. بل كانت نظرات أعينهم تتناثر من حوله ذهابًا وايابًا، وتعبر من خلاله كما لو كان غير مرئى .. ما هذا العذاب الذى شعر به عادل فى تلك اللحظة .. فهو الرجل الذى قد اعتذر أخاه الوحيد عن توصيله بالسيارة إلى المطار .. ومنحته أمه سلامًا عاديًا جدًا قبل أن يسافر .. لدرجة أنه قد كرر على مسامعها كلمة .. أنا مسافر عدة مرات .. حتى تأكد أنها كانت تعى جيدًا حقيقة أنها لن تراه لفترة من الزمن .. ومع ذلك كان سلامها باردًا كالثلج ..

خفق قلب عادل لسماع صوت عجلات الطائرة وهى تحتك بالأرض قبل الإقلاع .. عادل الذى كانت أقصى معرفة له بالطائرات هى تلك المرة الوحيدة التى قد اصطحب فيها والدته لقضاء العمرة .. ظن عادل أن قلبه قد خفق لصوت الطائرة .. ولم يكن يعلم أن قلبه قد خفق لاقترابه من ميزة حدًا كبيرًا .. فقد جاءت بهم الأقدار ليجلسا جنبًا إلى جنب على مقعدين ملتصقين فى الطائرة .. شعرت ميزة أن هناك خطبًا ما بشأن عادل .. فسألته وهى تتصفح كتابًا بين يديها..

- عادل .. مالك فى إيه .. إنت اول مرة تركب طيارة ..؟

- لأ مش أول مرة .. سافرت السعودية قبل كده ..

- آآه لأ أنا افتكرتك من الناس اللى ممكن يكون عندك فوبيا من الطيران ..

- لأ مفيش فوبيا ولا حاجة أنا بس افتكرت إنى نسيت حاجة مهمة أجيبها معايا..

- خلاص مش مشكلة هناك بيبعوا كل حاجة إن شاء الله تقدر تشترى إللى إنت عايزه ..

وهكذا كانت ميزة على وشك أن تُنهى الحوار .. الذى لم يكن قد بدأ بعد .. إلا أن عادل قرر أن يأخذ المبادرة ويبدأ الحديث فى أى موضوع .. ولكن فى تلك اللحظة تحديدًا كان قد نسى كل ما جهز من كلمات وموضوعات ليتحدث إليها فيهم .. فقرر أن يتصرف بعفوية مثلما تفعل هى دائمًا ..

- بس على فكرة .. اسمحيلى أهنيكى .. على عيلتك الجميلة دى ما شاء الله ربنا يخليكوا لبعض.. دول شكلهم بيحبوكى قوى ..

- آه بيحبونى قوى وانا كمان بحبهم .. ميرسى ربنا يخليك .. بس عادى يعنى كل العائلات بيحبوا بعض ..

- لأ بصراحة لأ .. أنا أسف بس بعارضك فى دى .. مش كل العائلات كده يعنى أعتقد إن فى ناس لما حد من ولادهم بيبقى مسافر .. بيبقى رد فعل بقية العيلة عادى .. كأن وجود الشخص دا زى عدمه .. بس أنا كمان الحمدلله عيلتى مش كده .. أنا مامتى بهدلت الدنيا عياط النهاردة عشان أنا مسافر .. وكانت حالفة تيجى توصلنى بس أنا ما رضيتش عشان هى تعبانة ..

- آه .. آه ربنا يخليهالك ..

- بس صحيح فين والدتك .. ما جاتش معاهم ليه .. كنت اتعرفت عليها هى كمان ..

- لأ والدتى متوفية الله يرحمها ..

- أنا أسف .. لو ..

- لو إيه مفيش حاجة عادى بتعتذر ليه .. ماما متوفية من ست سنين تقريبًا..

فتحت ميزة الكتاب الذى كانت تحمله بيديها .. وأخذت تقرأ .. بينما شعر هو وللمرة الثانية على التوالى فى نفس اليوم .. أن وجود الهواء الذى يحيط بوجهها الآن .. أكثر أهمية من وجوده .. مرت الرحلة .. وكانت هى تسبح فى فضاءٍ أخر .. فى عالمٍ موازٍ .. فى ذلك الكتاب الذى كانت تحمله فى يدها .. ويحملها هو بين أوراقه .. وجد عادل نفسه يشعر بالغيرة المفرطة نحو كتاب .. جماد .. لا يتحرك .. ولا يتكلم ولا يتنفس .. ولكنه ومع ذلك قد استطاع أن يشغلها به أكثر منه هو الإنسان ..

كان عزاء عادل طوال تلك الرحلة التى قد انشغلت فيها ميزة عنه أنه يراها عن قرب .. يراقبها .. وكل عدة دقائق كان يدعى أنه ينظر إلى الخلف حتى يدير وجهه فيقترب منها وتصادف أنفه رائحة شعرها .. الذى كانت تفوح منه رائحة شامبو الفواكه العطرة ..

أخذ يتفحصها بعينين يملؤهما الفضول نحوها .. نظر إلى حقيبتها الجلدية البنية اللون .. وبلوزتها الرمادية اللون .. البسيطة التى تخلو من كل ما قد يكون له علاقة بالتكلف .. ووشاحها الزهرى اللون، الذى كانت منذ قليل فقط تخبئ فيه رقبتها الطويلة .. كانت ملابسها عادية جدًا .. تخلو من التكلف والتزين المبالغ فيه ...تمامًا كوجهها الذى كان يخلو تمامًا من التبرج.. ولكنها ومع ذلك كانت جميلة جدًا .. أو على الأقل .. بعين

عاشق.. كان يراها هو هكذا .. كان يرى فيها صورة أخرى للطبيعة فى أجمل اطلالتها ..

قاطعته عن تأملها عندما اقتربت لحظة الهبوط فى مطار مدريد .. وبدأت تبادله الحديث ..

- عادل .. إيه رأيك تيجى تقعد مكانى .. جنب الشباك ..؟

- لأ طبعًا إزاى يعنى أنا جنب الشباك وانتى تقعدى على الحرف .. ليه يعنى؟

- عشان تشوف إسبانيا من فوق واحنا نازلين .. بتبقى عبارة عن كتلة خضرا كبيرة .. إنت أول مرة تيجى هنا لكن أنا جيت هنا مرتين قبل كده .. المنظر دا أنا متأكدة إنه هيأثر فيك جدًا عشان إنت كاتب ..

- طيب تمام نبدل .. غلبتينى بكلامك .. ابتسم ثم قام من موضعه وقامت هى الأخرى واستبدلوا كراسيهم ببعض .. وقرر عادل أنه فى هذه اللحظة سوف يفوز فى معركته على هذا الكتاب الصغير الذى كانت تنشغل به عنه هو ..

- بس إنتى شكلك بتحبى إسبانيا قوى صح .. ليه كده ..؟؟

- أه بحبها قوى .. بس السبب إيه ما أقدرش أحدد بصراحة .. وما أقدرش برضو أقولك بحبها عشان جميلة .. أو بحبها عشان أنا شايفاها جنة الله على الأرض .. أنا بحبها بدون أسباب .. لأن الحب عشان يبقى حب من وجهة نظرى لازم يكون مالوش اسباب ..

- إحكيلى بقى جيتى إسبانيا قبل كده ليه؟

- جيت هنا مرة دراسة لمدة شهر مع أعز صاحبة ليا .. ومرة تانية سياحة دى جيتها لوحدى بصراحة لأن كان فى معالم كتير ما لحقتش أشوفها فى المرة الأولانية..

- ممم .. بس إنتى شوقتينى ليها قوى .. أنا بدأت أحبها من قبل ما أشوفها أنا كمان ..

- طب استنى بقى لما تشوفها ونشوف رأيك هيبقى إيه .. بص بص بسرعة بسرعة .. أهو المنظر إللى كنت لسة بقولك عليه ..

كانت تتحدث بعفوية مطلقة .. وهى لم تكن تعلم أن ما تظن أنها مجرد كلمات بالنسبة إليها .. كان يستمع إليها هو بأذن عاشق .. تعزف حبيبته بكلماتها على أوتار قلبه .. فجأة وجد نفسه مفتونًا بها .. بكل ما تتفوه من كلمات .. بنظراتها البريئة العفوية المفعمة باللامبالاة .. كان مغرمًا بتجاهلها إياه .. فأى امرأة ترضى كبرياءه بقدر ذلك النوع النادر من النساء .. المثقفات .. الذكيات .. الغير مباليات بوجوده..

وهكذا كلما كانت هى لا تكترث لأمره .. كلما انجذب هو أكثر .. فأكثر ..

***

هو .. قد يكون رجلًا خمسينى العمر إبيَضَّ شعره .. إلا أنه لم يفقد يومًا رونقه .. كانت طلعته تجسد مقولة "الشباب فى القلب" .. فلفرط ما مارس الرياضة على مدار حياته .. بل لفرط ما مارس لعبة حب الحياة .. كان قد تعود على لعبة خداع الزمن ..

كم عمرك اليوم ..؟؟ لقد أصبحت اليوم يا أحمد فى اواخر خمسينياتك ولكن مع ذلك لازالت عين من تلقاك تمنحك عبثًا عشر سنواتٍ أصغر.. ولما كنت دائمًا شابًا مختلفًا .. لما أصبحت وستظل دائمًا رجلًا مختلفًا .. شرقيًا ولكن مع ذلك لا تعبأ لكلام الناس ..

منهم من قالوا انظروا كيف يفسد ابنته ..!! انظروا كيف يدللها ويترك لها حق اختيار مصيرها..!! انظروا كيف يتركها تسافر بعيدًا وحدها ..!! إنه يؤذى سمعتها .. لن تتزوج أبدًا تلك التى سافرت بعيدًا وحدها..!!! ومنهم من قالوا إن رجلًا توفيت زوجته ولم يتزوج بعد هو بالتأكيد رجلًا خاطيًا.!! فعلى الرغم من وفاة زوجته على كِبر .. بعد أن نشأ وتربى أبناؤه بالفعل .. إلا أنه لم يسلم من المحاولات المستميتة لأفراد عائلته لإقناعه بالبحث عن زوجة أخرى .. بعد زوجته العزيزة التى توفيت وتركت له ابنة جميلة فى الواحدة والعشرين من عمرها .. وابنًا فى الثامنة عشر آنذاك..

وهذا هو عهد ابنتك بك .. وهذا هو عهد أبنائك بك .. فقد علمك حب الحياة عدم الاكتراث بما يؤذيك.. وعلمت أولادك كذلك أن حب الحياة يبدأ من تجاهل آراء الناس ..

عندما تقف على مفترق طرق .. عندما تشعر بالتيه .. فقط اتبع قلبك وأحلامك ولسوف تصل بالتأكيد إلى مبتغاك فى نهاية المطاف..

***

كان هذا هو أحد أيام مارس الجميلة فى بداياتها والمحيرة فى نهاياتها .. تلك التى تقف تمامًا على الحدود بين الصيف والشتاء .. الدفء والبرودة.. الليل والنهار .. وهكذا كانت ميزة من عشاق هذا الشهر المفعم

بالتناقضات .. الذى لا يتوقف عن خداع البشر .. فتارة يلوح لهم بالصيف.. وتارة أخرى يلوح لهم بالشتاء ..

كانت قد وصلت للتو إلى غرفتها فى أحد فنادق مدريد العريقة .. التى تعود فى تاريخ إنشائها إلى العصور الوسطى .. كان الفندق قد تم تصميمه تمامًا على الطراز المعمارى المفضل لها.. عندما دخلت غرفتها وضعت الحقائب على الأرض ..ثم ركضت ببهجة لتقف على الشرفة .. تراقب حركة الطيور .. وتستمع إلى اصواتهم فى شغف.. بل وتحاول أن تحصيهم عددًا .. ثم تستشعر الرياح على وجهها ...

ذات يومٍ ليس ببعيد .. شُبِهَت النساء بالغرف .. منهن من وصِفَت بغرفة الجلوس، تهوى التيبس طوال اليوم فى مكانٍ واحد على الأريكة أمام التلفاز .. ومنهن من وصَفَت بغرفة النوم، وتلك هى التى لن يتسنى لك أن تراها أبدًا بدون رؤية آثار النوم على وجهها .. ومنهن من تشبه المطبخ فى ولعها بالطعام وحبها للطهو وشهيتها المفتوحة دائمًا .. وبدانتها الملحوظة التى هى نفسها لم تعد تكترث إليها أكثر من ذلك .. وأخرى لفرط عنايتها بنظافتها أصبحت تقضى نصف يومها فى دورة المياه..

وهكذا ... تبقى دائمًا امرأة الشرفة هى امرأة الحياة والطبيعة .. امرأة الهواء والشمس والقمر .. امرأة تقف فى اعتدال صفاتها فوق خط رفيع بين الاختلاط والانعزال .. بين حب المنزل وحب الخروج منه .. امرأة تعشق الشرفة وتقضى فيها معظم أوقاتها هى امرأة بالتأكيد تعشق بيتها وفى نفس الوقت تعشق الطبيعة .. وهكذا حققت ميزة المزيج الممتاز بين وجودها فى البيت وخارجه فى آن واحد.

أتاها صوت عادل عبر هاتف الفندق الداخلى .. يتعجلها بالنزول ..

- ولكن لسة بدرى جدًا .. ميعاد حفلتك بليل .. إنت مش شايف الساعة كام ..

- أيوه بليل بس هو احنا جايين هنا ننام ولا إيه .. أنا قدامى ربع ساعة ونازل يلا ..

- تمام .. هقابلك تحت ..

بينما ذهب عادل ليحضر نفسه ويرتدى ملابس أخرى .. ويتجمل ... ركضت هى أيضًا لتفتح حقيبتها .. أحضرت ميزة معها نصيبًا وافرًا من الحبوب .. طعامًا للطيور .. كما اعتادت أن تفعل دائمًا فى مصر .. وهنا أيضًا كذلك فى المرتين السابقتين على هذه المرة ..

وقفت فى حركة سريعة تنثر الحبوب على حافة الشرفة .. نثرت الكثير والكثير منهم .. ثم عادت بخطى مسرعة إلى الداخل .. وأحضرت كوبًا من الماء وضعته بالقرب من الحبوب ..

وهكذا وضعت الكاميرا فى حقيبة يدُها .. ثم ركضت مسرعة إلى الأسفل .. فهى تكره عدم الالتزام بالمواعيد .. وعلى عكس كل النساء .. كانت لا يشعرها انتظار الرجال لها بأى نوع من أنواع الأهمية أو الإحساس بالفخر .. لذا تحركت وهى تأمل ألا ينتظرها عادل كثيرًا ..

نزلت إلى قاعة الاستقبال فى الفندق .. نظرت حولها يمينًا وشمالًا فلم تجده ... نظرت إلى الساعة .. لسة قدامه خمس دقايق كمان .. هكذا فكرت ميزة ..

كان عادل يعتنى بنفسه لأول مرة منذ سنوات .. هو نفسه لم يكن يدرى ماذا أصابه .. هل أصبح اليوم فجأة متصابيًا .. أم طفلًا سعيدًا بنزهة سوف تصطحبه أمه إليها بعد طول انتظار.. كان يشعر أنه على وشك الانفجار من فرط السعادة .. لأسباب هو نفسه لم يكن يفهمها كثيرًا ولم يكترث حقًا أن يرهق نفسه للتحقق منها .. ولكن كل ما كان يعرفه .. وكل ما كان قد بدأ فى إدراكه للتو .. هو أن مشاعره أثناء علاقته النسائية السابقة الوحيدة .. التى انتهت بخيانة .. لم تكن بمشاعر حبٍ أبدًا .. فهو لم يذكر ولو للحظة طوال تلك السنوات .. أنه قد شعر تجاه تلك الفتاة بنفس القدر الذى يشعر به الآن من السعادة تجاه وجود ميزة حوله ..

سار عادل بخطى مسرعة طوال الرواق .. كالطفل يكاد أن يركض .. استقل المصعد نزولًا .. وعندما فتح الباب مصراعيه بدأ يتأنى فى خطواته.. محاولًا أن يخفى سعادته .. لعلمه أنها كانت تجلس فى مكانٍ ما فى الاستقبال وتنظر إليه فى تلك اللحظة .. وقف لدقائق ثم نظر يمينا وشمالًا.. حتى فوجئ أنها ليست فى قاعة الاستقبال .. التفت يمينًا وشمالًا بطريقة ملحوظة حتى رآه موظف الاستقبال .. وأشار له من بعيد إلى مدخل الفندق .. لقد قال الموظف شيئًا ما ولكن عادل لم يسمعه .. خرج من الباب ليجد ميزة تقف فى وسط الحديقة .. ممسكة بيدها كاميرا سوداء معقولة الحجم يلتف طوقها حول رقبتها .. تنظر للأعلى وتلتقط بعض الصور ..

لطالما اعتاد عادل على أن يظن أن النساء يقضين ساعات وساعات أمام المرآة .. لدرجة أنه قد تأخر فى غرفته ظنًا منه أنها لن تترك غرفتها قبله ... إلا أنها فاجأته كالعادة بنفس الملابس التى حضرت بها على متن الطائرة .. فى حين أنه فتح حقيبته عن أخرها واختار أفضل ما يملك ..

وتعطر وتهيأ للخروج برفقتها .. جاءت هى بنفس الملابس التى عبرت بها البحر من مصر إلى هنا .. شعرها الأسود الناعم فى نفس وضعه وهيئته .. وبينما كان هو يتأهب لموعد .. كانت هى تتأهب لأداء عمل .. مجرد عمل .. كانت هى فى عينيه امرأة جميلة وقصة حب آتية .. وكان هو فى عينيها مجرد نصًا جديدًا عليها أن تنهى ترجمته لترسله فى الموعد المحدد إلى صاحبه ..

اقترب منها بخطٍ ثابتة .. ولم تلحظ وجوده إلا عندما قال مبتسمًا ميزة .. بتعملى إيه ..؟

- بصور العصافير .. تعالى بص كده ..

اقترب عادل من الكاميرا .. وشاهد صورًا كثيرة أبطالها فقط من الطيور .. ثم رفع عينيه إلى الأعلى لتقع عينه على إحدى شرفات الفندق .. التى كانت تعج بالطيور .. ثم قال ..

- والله منظر حلو جدًا .. كويس إن حظك حلو ولحقتيه ..

ابتسمت والهواء يداعب خصلات شعرها يمينا وشمالًا .. وتركت الكاميرا من يدها فأصبحت حرة تتدلى من على عنقها .. ثم رفعت عيناها للأعلى فانعكس ضوء الشمس على عيناها العسليتان..

- لأ مالحقتوش .. دى بلكونة أوضتى أنا أصلًا .. حطيتلهم الأكل أول ما دخلت..

انبهر عادل فى ذهول .. ثم سألها ..

- أكل .. أكل إيه؟ هو إنتى جيبتى معاكى من مصر أكل للعصافير؟؟

- آه دى زى ما تقول كده عادة قديمة .. وراثة عندنا فى العيلة .. أنا متعودة بحط أكل للعصافير هناك فى بيتنا فى مصر .. وبحطلهم كل مرة باجى فيها هنا .. عشان بحب إسبانيا ..

- مش فاهم إيه علاقة حبك بإسبانيا بالأكل بتاع العصافير بصراحة..

- هفهمك بس ما تقولش عليه مجنونة اتفقنا؟

- لازم تكونى عارفة إنى عمرى فى حياتى ما هقول عليكى مجنونة ..

فى تلك اللحظة .. منحته ميزة نظرة اطمئنان وسعادة .. كان يراها لأول مرة فى حياته ثم نظرت للأعلى وتابعت التصوير مرة أخرى وهى تتحدث..

- أنا دلوقتى لما بحط لعصافير ربنا أكل ياكلوه ببقى إتسببت ليهم فى رزق .. ولما أتسبب ليهم فى رزق هما هيحبونى وهيدعوا من ربنا إنى أحطلهم كل يوم .. وكل يوم ييجوا المكان إلى أنا فيه يلاقونى .. وساعتها ممكن ربنا عشان كده يسبنى أعيش فى إسبانيا .. أنا بعمل كده كل مرة باجى فيها هنا.. لأنى طول عمرى حاسة إن مصيرى هنا مش فى مصر .. وبعدين العصافير دول فيهم ميزة حلوة قوى .. تتلخص فى جملة الشاعر مش عارفة مين .. امنحهم القليل من الحبوب يمنحوك الكثير من السعادة ..

انتهت هى من حديثها ثم تركت الكاميرا مرة أخرى ونظرت إليه .. تتابع بعينيها قسمات وجهه وتنتظر الرد .. ضحك عادل ثم سألها ..

- ودا مين الشاعر إلى قال المقولة دى بقى ..

- ودى عايزة كلام .. أكيد أنا طبعًا ..

ردد عادل عبارتها بافتتان .. وقال لها وبدون أن يدرى كانت الطيور قد خطفت عينيه بالفعل ونظر للأعلى هو أيضًا ..

- إنتى خيالك واسع قوى يا ميزة .. عمرك ما فكرتى تكتبى قبل كده؟

ردت وفى صوتها نبرة ساخرة ..

- ممم عايزنى أكتب ومش خايف إنى أنافسك ..

- لأ مش خايف .. وصدقينى يوم ما هلاقى نفسى خايف من منافسة بنت ذكية زيك .. ساعتها بس هتأكد إنى فعلًا مش راجل بجد ..

فى هذه اللحظة .. تركت ميزة رؤية الطيور .. ونزلت بعينيها من أعلى إلى أسفل .. نظرت إليه .. كانت ميزة فى هذه اللحظة قد تركت النظر إلى عالم الأحلام .. وهبطت بعينيها إلى عالم الواقع .. نظرت اليه وكأنها لأول مرة تراه.. بل وكأنها لأول مرة ترى رجلًا فى عمرها ..

ميزة التى من فرط حبها فى الخيال استبدلت عشق الرجال بعشق الطيور .. استبدلت عشق الواقع بعشق الخيال .. قالت له خلصت تصوير يللا بينا .. وباللسخرية .. عندما قررت الذهاب كان هو قد عشق تلك البقعة لتوه .. كان قد أراد هو أيضًا الجلوس ومراقبة الطيور ..

فقد بدأ عادل لتوه يرى العالم بعينيها .. كان ينظر إلى شرفتها التى يجتمع عندها الكثير والكثير من الطيور .. وبدت له كشرفة تجتمع عندها العصور .. كائنات صغيرة قد وقعت لتوها فى عشق صاحبة الطبيعة .. كان يتأمل بعينيه حركة الطيور .. وبخياله ذلك الرابط العاطفى الذى قد يجمع بين إنسانة ومجموعة من الكائنات الصغيرة اللطيفة..

قاطعته مرة أخرى .. عادل .. عادل .. يلا نمشى عشان نلحق ناخد جولتنا زى ما اتفقنا .. أنا خلاص صورتهم ..

كانا فى سيارة الاجرة .. عندما عرضت ميزة على عادل أن يشاهد أفضل لقطاتها المحفوظة على ذاكرة الكاميرا بالفعل .. أمسك الكاميرا بيده.. أخذ يشاهد صورة تلو الأخرى .. إحداهم كانت للطيور .. والأخرى للنباتات من زوايا مختلفة .. كان يشاهد الصور وتروى له هى عن قصصهم .. ظل يتابع صورة تلو الأخرى حتى تعثر فى طريقه بالمصادفة على عدة صور لأخيها .. وفى تلك الرحلة .. أعنى رحلته داخل كاميرتها .. وليست رحلته القصيرة معها بالسيارة .. اكتشف عادل أنه قد رأى لتوه العالم عبر عينيها .. قل لى ماذا تُحب أن تصور .. أقل لك من أنت ..!! هكذا فكر عادل ..

أنتِ يا ميزة ملكة اللامبالاة .. كنت فى البداية أظن أنكِ تتقنعين بها .. ولكن الآن اتضح لى أنها محور حياتك .. أنتِ تُبالين لأجل الجميع ماعدا نفسك .. انظرى إلى ألبومك المفضل .. لم أعثر خلال رحلتى فى الكاميرا على صورة واحدة لكِ .. أنتِ صاحبة الكاميرا..

لا ترى عيناكِ سوى من تُحبين .. لذا لا تلتقط عدستك سوى صورهم .. ولأنكِ من إحدى الكائنات القادرة على منح الآخرين الحب .. امتدت دائرة حُبك حتى أصبح بمقدورك منح الحب لكائناتٍ أخرى غير البشر .. أصبحت عيناكِ تُدرك إنسانية الأشياء .. أرواح الطيور .. وسعادة النباتات ..

جالت بخاطره أفكار كثيرة داخل سيارة الأجرة .. حتى سَمِع صوت ميزة وكأنها تطلب من السائق التوقف ..

بالفعل توقفت السيارة .. وقالت له فى بهجة هيا بنا ..

اندفع عادل يركض خلفها .. كالطفل يركض خلف أمه .. ويستمد منها الأمان .. الذى قد ظن هو للحظات أن سبب هذه المشاعر تجاهها هو فقط أنها مرشدته الوحيدة فى بلدٍ لا يعرف لغتها سواها .. إنما فى الحقيقة .. كان يستمد شعوره بالأمان منها فعلًا .. ليس لأنها مرشدته الوحيدة فى هذه البلد فقط .. وانما لأنها هى مرشدته فى الحياة كذلك ..

شَعر عادل بأمان فى تلك اللحظات .. كان قد نسى إطلاقًا متى كانت أخر مرة زارته فيها مشاعر مماثلة .. لدرجة أنه قد قرر الاستسلام .. ولم يعبأ حتى أن يسألها عن وجهتهم ..

كان المشهد الغالب على المكان .. هو اللون الأخضر .. لما امتلأت إسبانيا بحدائق وأشجار يسكنها عددًا لا يحصى من الطيور .. فى ميدان كبير وعريض تتوسطه ساعة كبيرة مُهيبة .. أخبرته ميزة فيما بعد أن هذا الميدان من أشهر الميادين الإسبانية .. يُسمى بميدان باب الشمس.. وهكذا راقب حركة شفتيها وهى تتأنق بنطق الكلمات الإسبانية " لابويرتا ديل سول " قالتها ثم ابتسمت فى سحر..

سألها بينما كانت كاميرتها لازالت فى يديه ..

- ميزة .. إنتى ليه مالكيش هنا ولا صورة .. مش حاجة غريبة دى .. دا إنتى صاحبة الكاميرا!!

- آه بص بصراحة من غير تأليف يعنى أنا بيكون شكلى وحش قوى فى الصور..

ضحك بسخرية .. ثم قال ..

- شكلك إيه ..!! شكلك بيبقى وحش فى الصور .. أمال العبد لله يبقى إيه .. عفريت ..

- آه والله شكلى بيبقى وحش فى الصور .. وبعدين إنت لو عرفت هدفى من التصوير يمكن تفهم أنا ليه مش بحب أتصور ..

- وإيه هدفك ..؟

- دايمًا عندى إحساس إنى هبعد .. معرفش هبعد إزاى بقى هروح حتة بعيدة .. بلد تانية .. أسافر.. أتجوز .. أشتغل الله أعلم .. المهم إنى هبعد .. عشان كده دايمًا بصور أى لحظة عايزة الزمن يقف عندها .. عشان أقدر دايمًا أرجعلها فى أى وقت وأقف وافتكرها .. واضحك بسببها .. يعنى أنا بصور ذكرياتى إللى مش عايزة أنساها أبدًا وهو ده هدفى، وعشان كده مش شايفة إنها هتمثل أى نوع من أنواع الذكريات إنى أحتفظ بصور ليا لوحدى .. أنا الحالة الوحيدة إللى بتخلينى أوافق أتصور هى إن يكون فى حد بحبه موجود وأنا عايزة أتصور معاه عشان أحتفظ بالذكرى .. أو صور ال 4×6 العجيبة إللى بطلع فيها سوابق دى .. بس كده ..

- لعلمك وجهة نظر تحترم برضو .. بس دا ما يمنعش إنى مش مقتنع بجزء مهم منها ..

ثم رفع الكاميرا فى وجهها .. فضحكت هى ورفعت يديها لتخفى وجهها وقالت له..

- لأ .. لأ بجد ما تصورنيش .. مش عايزة بجد أتصور .. هات الكاميرا ..

- لأ هصورك .. وبعد ما هصورك هصور نفسى عالكاميرا بتاعتك كمان وإياكى تمسحيها .. عشان كل ما تشوفى صورتى تعرفى يعنى إيه شخص صورته طالعة سوابق يا أستاذة ميزة ..

أمسك عادل الكاميرا بيده .. وركض خلفها وركضت هى .. بينما كان إصبعه يضغط على صورة تلو الأخرى .. التقط لها مجموعة من الصور مفعمة بالحياة ..

ثم وقف وهو يلتقط أنفاسه .. وعكس الكاميرا .. والتقط صورة لنفسه .. وهكذا .. تأكد عادل أنها سوف تراه الآن .. لاعتقاده أن عدسة كاميرتها هى عينيها .. وذاكرة كاميرتها هى ذكرياتها .. وهكذا وبدون أن يعبأ بشكله .. ولا يكترث كيف بدا فى الصورة .. ترك لها صورة له على كاميرتها.. وهو سعيد لمجرد قناعته أنها سوف تراه فى كل مرة تتصفح فيها ألبوم صورها ذهابًا وعودة على كاميرتها ..

كانت ميزة امرأة رياضية .. اعتادت بالفعل أن تمارس رياضة المشى السريع منذ سنوات .. بينما كان عادل شابًا يتمتع بلياقة معقولة .. لذا لم يكن يعبأ بالذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية إلا كلما شعر بأنه قد اكتسب عدة كيلوجرامات ..

لقد تجولا معًا فى شوارع مدريد لعدة ساعات .. عبرا خلالهما على لاجرامبيبا وبلاسكيس وغيرهما من هذه الشوارع الكبرى التى قد اشتهرت بها المدن العظيمة مثل مدريد .. ولفرط ما استمتع عادل بالجولة، نسى آلام قدميه .. بل ونسى كذلك آلام معدته التى كانت تنذره بالجوع .. وعلى الرغم من شعوره بالاستنكار لما أخبرته ميزة أنها تشعر بأن مصيرها سوف يكون فى هذا البلد .. إلا أنه قد بدأ لتوه يرى إسبانيا عبر عينيها .. بلدًا

يقف على خط المنتصف .. بين الحضارة والتاريخ .. وبينما تسير فى شوارعه.. تزورك مشاعر مختلفة ... تارة تشعر أنك فى العصور الوسطى..حتى يكاد يبدو لك أنك كمن يقف بين الناس آنذاك .. ويسترق السمع إلى أحاديثهم الغير مفهومة ... بينما تتلقف عيناك على بعد عدة خطوات فقط من نفس موضعك مشهدًا لبناية يعود تاريخها إلى ذاك العصر .. وتارة أخرى تصادف عيناك أبراجًا عالية توحى لمن يراها بقدر التقدم التكنولوجى المنتشر فى أرجاء المدينة ..

هذه هى حقًا مدريد وشوارعها .. عبارة عن كتلة خضراء كبيرة تعج بشوارع تعود إلى القرون الوسطى فى بنائها ... وشوارع أخرى حديثة البناء فى عمر الزمن ..

قاربت الساعة السادسة مساءًا .. قالت له ميزة ..

- عادل ... إنت اكيد جعان .. صح؟

- آه جدًا ..

- طب أنا بقى هأكلك أكلة تحفة .. أنا متأكدة إنها هتعجبك جدًا ..

كان المطعم على الطراز القديم .. يحتوى على طاولات داخلية وأخرى خارجية .. سألته أين يحب أن يجلس .. قال لها فى لامبالاة شخص يتضور جوعًا ..

- أى حاجة .. إللى يعجبك .. المهم ناكل ..

- تمام يبقى نقعد برا .. وما لبثوا أن جلسوا حتى حضر النادل .. وطلبت هى الطعام .. ثم استطردت بالحديث .. بص الأكلة إللى هناكلها

دلوقتى دى من أشهر الأطباق الإسبانية .. فعلًا كل الناس بتيجى من برا عشان ياكلوها هنا ..

- ياااه . وعبارة عن إيه الأكلة دى بقى ..؟

- عبارة عن رز أصفر كده .. بص هو شبه الرز البسمتى بتاعنا بس هو برضو مش رز بسمتى قوى يعنى .. المهم وبيتحط عليها بسلة ومأكولات بحرية كتير قوى بقى جمبرى على قواقع وحجات تانية كتير ..

وفجأة اختفت ملامح التعب من على وجهه .. وتهلل مبتسمًا ثم قال..

- بتتكلمى بجد والله العظيم .. إحنا هناكل الكلام دا دلوقتى ..؟

ضحكت ثم قالت .. كنت متأكدة إنها هتعجبك .. المهم فى معلومة مهمة إنت لازم تعرفها عن الطبق إللى هينزلنا دلوقتى ..

- إيه؟ قولى ..

- الأكلة دى اسمها بالأسبانى البابيا .. كلمة البابيا دى مأخوذة من الكلمة العربية (الباقية) دا عشان تاريخ الطبق دا بيعود للعصور الأندلسية لما كان العرب المسلمين بيحكموا إسبانيا .. والعرب بطبيعتهم بيحبوا الرز والمأكولات البحرية .. فكانوا بيعملوا موائد ضخمة ومليانة أكل .. والخدم بتوع العرب كانوا من الأسبان فى الوقت دا .. كان الخدم بيستنوا لحد مالعرب يخلصوا أكلهم وبعدين ياخدوا كل الأكل الباقى من كل الأطباق ويحطوها على بعض فى طبق واحد.. شوية من هنا على شوية من هنا بقى وكده طلعلنا طبق كبير اسمه الباقية .. يعنى الأسبان بيقولوها البابيا لأنهم ما بيعرفوش ينطقوا حرف القاف .. فهمت..

- يااااه بتتكلمى جد .. يا نهار أبيض .. إنتى عايزة تفهمينى إن كل الهلومة إللى إحنا فيها دى .. البلد الطويلة العريضة الخطيرة اللى تجنن دى .. والناس النضيفة إلى حوالينا دى كانوا زمان خدم عندنا إحنا العرب!!! .. وكمان أشهر أكلة عندهم دلوقتى تاريخها بواقى الأكل بتاعنا ..!!

- آه والله .. تخيل ..

صار عادل يقلب كفيه على بعضهما .. حتى حضر الطعام .. وبدأ كليهما فى تناول غدائه ..

***

كانت الساعة قد أصبحت السادسة والنصف مساءًا .. عندما انتهوا من تناول الطعام .. عرضت عليه ميزة العودة إلى الفندق لتغيير ملابسه إذا أراد .. قبل التوجه إلى المكتبة، التى من المفترض أن يتم بها حفل التوقيع .. صمت لوهلة عندما سألته .. ثم قال .. لأ .. مالهاش لازمة هنضيع وقت..

- نضيع وقت ليه مين قالك .. هنا مش زى مصر الشوارع مش زحمة .. ميعاد الحفلة الساعة سبعة ونص .. لسة قدامنا ساعة ..

رفض عادل معللًا رفضه برغبته فى تناول القهوة .. إلا أنه فى الحقيقة كان قد رفض رغبة منه فى قضاء أطول فترة ممكنة برفقتها .. تناولا القهوة ثم أشارت ميزة إلى تاكسى .. وطلبت منه أن يصطحبهما إلى شارع لابالما .. حيث توجد المكتبة، التى كان من المفترض له أن يعقد حفل توقيعه بها.. كان الشارع بأكمله هادئًا فيما عدا المكتبة .. التى كانت مستنيرة ويوضع بالقرب من مدخلها صورة لعادل كُتبت أعلاها كلمات باللغة الإسبانية لم

يفهمها هو .. وهنا تسنى لعادل للمرة الثانية على التوالى .. أن يجد فرصة ليضع صورة له على كاميرا ميزة .. فقد طلب منها لتوه أن تلتقط له صورة بالقرب من صورته الموضوعة على مدخل المكتبة ..

استقبلتهم مديرة المكتبة بحفاوة .. وقضيا معًا أمسية جميلة .. برفقة العديد من المغاربة والعرب القاطنين بمدريد .. فى البداية بدأت ميزة بالترجمة عند الضرورة ... ولكن عندما بدأ عادل الحديث .. كان بالفعل معظم الجلوس من العرب .. لذا قررت أن تجلس فى المقعد الوحيد الذى وجدته شاغرًا فى أخر صف بتلك القاعة الصغيرة ..

كان محور الأمسية يدور حول روايته الأخيرة بعنوان " كل شىء وعكسه "، تلك الرواية التى كانت ميزة قد قرأتها مسبقًا بالفعل .. إلا أن هذا لم يمنعها أن تتسلل خلسة بدون أن يلحظها عادل .. وتشترى لنفسها نسخة أخرى من الرواية .. خبأت الرواية فى حقيبة يدها .. ثم التفتت يمينًا ويسارًا .. ونظرت إلى عادل فتأكدت أنه لم يلحظها.. ثم عادت إلى مقعدها مرة أخرى .. وهكذا انتهت أول أمسية ثقافية بنجاح بعد أن قام عادل بتوقيع عددًا لا بأس به من كتب الحضور.

***

وفى تلك الليلة.. أسندت ظهرها إلى وسادة عريضة على سريرها بالفندق .. كانت أبواب الشرفة مفتوحة بالفعل .. والهدوء يعم المكان .. فلا تكاد تَسمع صوتًا من الحديقة سوى صوت نداء بعض الحشرات العابثة .. وصوت الرياح الخفيفة .. التى كانت تعبث بأحد أبواب شرفتها .. تارة تقذفه إلى الأمام .. وتارة أخرى إلى الخلف .. وصوت ازيز الباب بدأ يزداد شيئًا فشيئًا ليعلو ضجيجه على صوت الحشرات والرياح..

نظرت ميزة إلى باب الشرفة بملل .. ثم نفخت وقامت وهى تتحدث إلى نفسها بصوتٍ لا هو عالٍ ولا هو مسموع .. ياربى .. ياربى معقول مش عارفة أرتاح شوية .. ثم أغلقت الباب بقوة لتتأكد من أنه لن يزعجها أكثر من ذلك .. وعبر خطوتين قفزت مرة أخرى بسرعة إلى أحضان سريرها الدافئ.. وعلى الرغم من شعورها بالتعب والإرهاق ومعرفتها بأنها سوف تستيقظ فى الصباح الباكر .. الا أن فضولها أبقاها يقظة فى تلك الليلة ..

كانت ميزة شخصية سريعة الملل .. من المستحيل بالنسبة إليها أن تقرأ الكتاب ذاته مرتين .. الا أن اليوم كان الأمر مختلفًا .. فقد قررت ألا تقرأ الكتاب بأكمله .. وأن تقرأ مقاطع منه .. وقد قررت ايضًا ألا تختار بنفسها ما سوف تقرأ .. بل ستدع القدر اليوم يقرر لها ما تقرأه فى عادل نفسه .. وليس ما تقرأه فى كتابه .. عادل الذى قد بدأ لتوه يثير عندها علامات استفهام .. ولطالما كانت علامات الاستفهام لدى امرأة فضولية مثلها كفيلة بجرها إلى قصة لم تكن فى الحسبان ..

مالت برأسها نحو المصباح الصغير الموضوع بالقرب منها .. ممسكة بيدها كتاب عادل .. فتحته وقررت أن تبدأ بقراءة عادل نفسه، لا الكتاب.. لعلمها أن كل كاتب مهما بلغت مهارته الأدبية .. ومهما بلغ وسِع خياله .. دائمًا ما يترك شيئًا منه فى كتبه .. ولما كانت الأوراق أصدق من البشر .. وأوسع صدرًا منهم .. لما صادقها الكُتاب واستمتعوا برفقتها عن رفقة البشر.. لذا تُحتم الطبيعة البشرية على كل كاتب أن يُفصح عن خبايا أسراره .. وعن أعمق الاجزاء المظلمة بداخله على صفحات كتبه .. وهكذا تبقى هذه الأسرار وهذه الأجزاء معلقة على صفحات الكتب .. بانتظار ذلك القارئ الذكى الذى بوسعه أن يكتشفها ..

أمسكت الكتاب .. أغمضت عينيها .. مدت إصبعها بداخل الكتاب .. اختارت صفحة عشوائية وبدأت تقرأها من جديد لا بعين قارئة عادية .. وإنما بعين إنسانة تبحث فى دواخل إنسان هذه المرة .. ووضعت بمتناول يدها ورقة وقلم .. لتكتب كل جملة تشعر أنها تتحدث عن عادل نفسه .. لا عن أحد أبطاله .. وهكذا بدأت فى لعب لعبتها مع رسائل القدر حول عادل ..

ظلت تقرأ وتقرأ .. ثم أمسكت القلم وكتبت ..

{كل ما حَلُمتُ به يومًا هو بيت .. بيتٌ تفوح من إحدى حجراته رائحة الطعام المنزلى المُعد بعناية، ومن الحجرة الأخرى تفوح رائحة الملابس الرطبة المغسولة حديثًا .. ويعلوه صوت ضجيج إخوتى الكثيرون المختلط بصوت التلفاز .. وصراخ أمى وهى تتحدث إلى أخى تأمره بترتيب خزانة ملابسه .. هذه كانت كل أحلامى فى يومٍ من الأيام .. إلا أننى لم أعثر يومًا عليها .. وكيف يكون لى بيتٌ بلا أم ..!! وهل يُسمى البيت بيتًا بدون أم؟}

استكملت القراءة .. حتى عثرت على عبارة أخرى رنانة .. وقررت كتابتها..

{أحيانًا قد يتحتم على المرء أن يفقد الكثير قبل أن يبدأ فى أن يدرك معنى وجوده، وهذه فى حد ذاتها حقيقة .. ولكن ماذا عن الحقيقة الأخرى.. الحقيقة المخفية .. التى قد تقلب الصورة تمامًا .. فتجعل من الأحياء أمواتًا .. ومن الأمواتِ أحياء .. وهكذا دائمًا وعلى ما أظن يموت المرء، عندما يتخلى أحبائه عن وجوده .. ويصبح بقائه بلا معنى .. وغيابه كذلك بلا أثر..

كيف تخيلتُ يومًا فكرة رحيلى .. هل سوف تكون مثل رحيلها ..؟؟ وهل يجب أن يعنى الرحيل بالضرورة الموت ..؟؟ أنا أموت فقط عندما لا يعنى غيابى شيئًا لأى إنسان أخر .. }

كتبتها ثم استشفت أمرًا كانت أكيدة منه .. ألا وهو أن عادل يشعر بالخيبة لعدم تعلق حياة الأخرين على وجوده .. وأنه يشعر بالخواء، يشعر أنه وإن مات اليوم لن يستمر أحدهم بالحزن على فراقه لمدة تكثر عن أسبوع .. وسوف ينساه الجميع ..

استكملت التصفح والقراءة .. حتى وصلت إلى المقطع التالى ..

{ ردًا على سؤالِك يا عزيزتى .. كيف يتسنى لكِ يومًا رؤية الشياطين..؟ أقول لكِ أن الشياطين لا يمكن أن ترى الشياطين .. نعم ..!! لم تتعجبين؟ الشياطين ليس باستطاعتها أن ترى أقرانها من الشياطين .. ولِمَ تُبدى نفسها لمن هو فاسد مثلها ويشاركها رسالاتها فى دمار وهلاك البشرية..!!

إنما تظهر الشياطين فقط للملائكة .. وقبل أن تسألينى .. نعم هناك ملائكة تعيش معنا هنا على الأرض .. وأنتِ بالطبع لستِ واحدة منهم.. فكما هناك شياطين على هيئة بشر .. هناك أيضًا ملائكة على هيئة بشر .. وهؤلاء يجتمع حولهم الشياطين والملائكة معًا .. الملائكة تنجذب بطريقة تلقائية إلى الملائكة .. والشياطين كذلك قد تمضى حفنة من السنوات البشرية بأكملها بالقرب من ملاكٍ واحدٍ بغرض إفساده .. ثم تفشل ..

وهكذا أعود لأحكى لكِ عن نفسك وعن نفسى .. وعن معاناتى معك .. يوم ظننت إنك كنتِ ملاكًا.. والآن بعد أن عرفتك كما أنتِ .. بصفتك الحقيقية .. سقط القناع عن وجهى أنا أيضًا أمام نفسى .. بِتُّ ضائعًا لا

أعرف من أنا .. هل أنا ملاك أم شيطان ..؟؟ ما هو تصنيفى يا عزيزتى ..؟؟ أو كيف هو تصنيفى؟؟ هل أنا منكم أم أنا منهم ..؟؟ وماذا لو كنتُ لا أنا منكم ولا أنا منهم ..؟؟ إذًا من أين أنا ..؟؟ حدثينى عن نفسى يا عزيزتى، أو يا من كنتِ عزيزتى .. لأننى لم أعد أعرفها أكثر من ذلك .. }

انتهت من نسخ هذا المقطع الأخير .. ثم طوت الورقة ووضعتها داخل الكتاب، الذى ألقته دون أن تدرى بالقرب من وسادتها ثم غابت عن العالم وغطت فى نومٍ عميق ..

***

كانت الساعة التاسعة والنصف صباحًا .. دق الهاتف بالقرب من سريرها .. ردت بصوتٍ نائم

- آلو ..

- ميزة إنتى لسة نايمة .. إنتى عارفة الساعة كام دلوقتى تسعة ونص .. إنتى مش قلتيلى إمبارح إننا هنركب القطر الساعة عشرة ونص؟؟

قفزت فجأة من موضعها .. – إيه .. يا نهار ابيض .. إنت لميت حاجتك طيب..؟

- أه أنا صحيت من بدرى ولميت حاجتى وفطرت كمان ..

- طب إقفل بسرعة يلا هجيلك بسرعة .. وفى ظرف خمسة عشر دقيقة .. كانت ميزة قد جمعت كل أغراضها .. ارتدت ملابسها .. وضعت الحبوب على حافة الشرفة مجددًا .. ثم فتحت باب الغرفة وأخذت تركض للأسفل .. حيث وجدت عادل ينتظرها فى قاعة الاستقبال .. ذهبا معًا

ليقوما بعمل تسجيل خروج من الفندق .. وقبل أن يَهما بالرحيل ... استأذنته ميزة أن تدخل إلى دورة المياه .. وفى هذه الأثناء حضر أحد الخدم مسرعًا لا يكاد يلتقط أنفاسه .. أعطى عادل كتاب ميزة وبداخله الورقة .. وقال له شيئًا باللغة الاسبانية لم يفهمه عادل .. فمد يده فى جيب جاكيته ومنح هذا الخادم يورو نظير خدمته ..

ذهب الخادم وبدون أن يدرى عادل مد يده بداخل الكتاب وفتح الورقة وقرأها .. ثم وضعها بسرعة داخل الكتاب لما شعر أن ميزة على وشك العودة .. وبالفعل عادت فى لحظات .. فسلمها الكتاب وقال ..

- ميزة .. فى واحد من خدمة الغرف جيه دلوقتى وادانى الكتاب دا وقالى حاجة ما فهتمهاش..

وأعطاها الرواية .. احمر وجهها خجلًا .. ثم قالت له .. أه دا بتاعى ... قصدى يعنى مش بتاعى دا واحدة إدتهولى إمبارح فى المكتبة نسيته معايا ..

قالتها ثم أشاحت بوجهها بعيدًا عنه .. لتخفى عينيها .. وهى توبخ نفسها على ذلك المبرر التافه، الذى قالته لتوها .. بنت إدتهولى إيه الغباء دا وهى بنت هتديهولى ليه .. دا كنتى قولتيله الحقيقة أرحم .. بطلى غباء .. يارب ما يكونش أخد باله إنك بتكدبى ..

تم الأمر ووصلا إلى محطة القطارات الداخلية فى مدريد فى الموعد .. وهكذا لحقا بقطارهم المتجه إلى مدينة ميليا فى سلام .. كانت سعادته هذا اليوم أكبر من أن تمنحه فرصة الاندهاش بجمال المكان ..

وما أن ركبا القطار معًا .. حتى شعر أن حرجه تجاهها قد زال .. وأنه قد أصبح بمقدوره مكالمتها كما يريد ..

- بقولك إيه يا ميزة .. ممكن أسألك سؤال ..؟

- إتفضل .. قالتها وكانت آثار التحفظ لازالت باقية فى صوتها منذ أن أعطاها عادل الكتاب .. بينما كان هو لازال محتفظًا بضحكته، التى يعتريها الفضول الواضح..

- مم .. لو ما فيهاش رخامة يعنى .. هو إنتِ عندك كام سنة كده؟؟

- مم لو مفيهاش رخامة إزاى .. دا السؤال دا هو الرخامة نفسها .. بس أنا هرد عليك عشان الموضوع دا ما يفرقش معايا زى بقية البنات .. عشان تبقى فاهم بس مش أكتر .. أنا عندى 28 سنة .. يارب تنام مرتاح النهاردة ..

- أه هنام مرتاح وليه ما أنامش مرتاح .. يعنى هتعب بالنهار وكمان بالليل عايزانى أحط راسى عالمخدة ما أنامش .. عامة أنا أسف لو كنت أزعجتك ..

- لأ عادى ما أزعجتنيش .. قلتلك أنا ما بيفرقش معايا الكلام دا ..

- بس إنتى على فكرة شكلك أصغر من سنك دا بكتير .. أنا مستحيل لو شوفتك أديكى أكتر من 22 أو 23 .. قالها فنظرت إليه ميزة نظرة تحمل معنى كف عن خداعَك ومجاملاتك .. فاستطرد هو ..

والله العظيم بتكلم جد مش بجاملك .. أنا سألتك عن عمرك عشان كده شكلك أصغر من دا بكتير..

- ميرسى .. شكرًا ... قالتها ثم تابعت النظر عبر النافذة ..

حقًا يشيخ الناس مبكرًا بفعل الهموم .. بفعل الأحزان .. أو بفعل القرارات الخاطئة .. لذلك أفهم الآن لماذا يبدو على وجهك أنه يصغر عمرك الحقيقى بسنوات .. أنتِ لم تتذوقى بعد آثار الاختيارات الخاطئة يا ميزة .. لم تجربى حتى الآن عواقب السير فى اتجاهٍ مغايرٍ لطبيعتك .. هكذا فكر عادل فى تلك اللحظة ..

- طب ميزة بقولك إيه .. لو ما فيهاش رخامة يعنى .. ممكن أسألك سؤال تانى..

- قول .. قالتها وقد إضيَقَّت عيناها بالفعل ..

- هو إنتى إزاى واحدة زيك لحد دلوقتى كده ما إتجوزتش ..؟؟

- لو ما فيهاش رخامة ..!! بص يا عادل هقولك على حاجة .. أنا هرد على السؤال بتاعك على الرغم إنى المفروض ما أردش وانى شايفاه سؤال شخصى جدًا.. وعلى الرغم برضو إنى شايفة إن ردى أكيد هيضايقك كراجل جدًا .. بس لو ما فيهاش رخامة عليك اسمحلى أرد ..

- لأ عادى أنا مش هزعل خدى راحتك ..

- أنا لسه ما إتجوزتش لعدة أسباب منطقية جدًا .. أولها أنا لسة ما لقيتش الراجل إلى هيخلينى أحس إن وجوده فى حياتى أهم من حريتى .. ثانيًا أنا لسة ما لقيتش الراجل إللى يقدر يحسسنى إنى لما أبعد عنه هيوحشنى الكلام معاه .. ثالثًا وهى الأهم أنا لسة ما لقيتش الراجل إللى عمره ما بيحس إنه مهدد بسبب ذكاء مراته .. وكمان أنا من وجهة نظرى العمر المناسب للجواز هو العمر إللى البنت بتختاره لنفسها وبتحس فيه إنها مستعدة لخطوة كبيرة زى دى وقد مسؤولياتها .. مش العمر إللى

الناس والمتجمع بيحدده ليها .. فهمتنى .. دا ردى باختصار شديد .. طبعًا بالإضافة إن الجواز قسمة ونصيب ..

أنهت كلامها ثم أشاحت نظرها بكبرياء صوب النافذة .. وهى تظن أن هذه هى اللحظة التى سوف يبدأ فيها عادل بسرد ردود الرجال العادية جدًا والمتوقعة كذلك .. والتى لطالما اعتادت أن تسمعها من الكثير والكثير من الرجال من قبله .. عبارات مثل .. مش كل الرجالة زى بعضها .. إنتى بس إللى بيتهيألك عشان متشائمة .. ياريت تبقى مرنة شوية عشان الناس تعرف تتعامل معاكى .. والست مالهاش الا بيت جوزها .. والست حريتها مع جوزها..

إلا إنه قد خيب ظنها بصمته .. نعم بصمته .. فقد آثر الصمت لما سَمِعه منها .. آثر الصمت ليقينه أن الرد على امرأة مثلها فى هذا الصدد خصيصى يتطلب العمل ولا يتطلب الكلمات .. وليقينه أنه مهما قال لها الآن ومهما وصف لها فهى لن تصدق إلا أعماله .. وليست كلماته .. وقد كان ظنه صدقًا فى محله .. فقد أثار صمته فى تلك اللحظة لديها فضولًا عظيمًا تجاهه .. ومشاعر دفعتها للانجذاب نحوه بقوة ..

وهكذا أحيانًا .. يظن المرء أن الكلام فقط هو من يحمل معانٍ كثيرة.. إلا أن فى هذا اليوم .. جلس كلاهما متقابلين فى القطار .. ينظر كل منهما عبر النافذة بعينيه .. ولكن بقلبه كان كلًا منهم يوجه أنظاره صوب الآخر .. ساد الصمت المكان ..وهكذا ولو كان للفكر صوتًا .. لكان قد أحدث جلبة قد يصل صداها إلى أخر بلاد العالم ..

وهكذا أيضًا .. لم يكن عادل فى تلك اللحظة يعبأ بمحاولة فهمه لتلك المقاطع المحددة التى قد اختارتها ميزة لنقلها من روايته .. لأنه قد بدأ

يقتنع أنها بالفعل تفهمه .. تفهم ما لا يقوله ولا يريد أن يقوله .. لقد قرأتك ميزة .. لقد قرأتك بالفعل يا عادل ..

***

ها هو .. لقد وضع قطارهم القادم من مدريد لتوه أقدامه فى مدينة ميليا فى تمام الساعة الواحدة .. بينما كانت شمس مارس لازالت ساطعة.. وهوائه لازال ينقل عبير الأشجار فى المكان .. ورائحة الزروع الرطبة تتخبط ما بين أنف عادل وعيناه وجبينه .. اتجها إلى الفندق، الذى سوف يمضيان فيه هذه الليلة ..

كان الفندق هذه المرة .. فندقًا عاديًا جدًا .. يشبه جميع الفنادق، التى سوف تتعثر بها عيناك فى كل مدينة ترسى أقدامك بها .. تناولا الغداء .. رتبا أنفسهما .. ثم غادرا الفندق قبيل غروب الشمس فى الطريق إلى المكتبة، التى سوف ينعقد فيها الحفل ..

أخبرته ميزة أنها سوف تتركه وحيدًا لبضع ساعات فى محطتهم التالية الأخيرة .. سبته ..حيث سوف يتوجب عليها الذهاب للقاء صديقتها العزيزة سارة ..

- أنا آسفة بجد .. أنا عارفة إنى المفروض جاية هنا مرشدة ومترجمة والمفروض أبقى معاك كل الوقت .. بس بجد أنا آسفة .. بص لو عايز تيجى معايا تتعرف عليها وتقابلها تمام أنا ما عنديش مانع ..

- إنتِ بتهزرى .. ما تعتذريش من حقك تروحى تشوفيها .. وانا مش هروح معاكِ طبعًا .. ودا إختيارى وانا مش طفل عشان تتحملى مسؤولية

وجودك معايا هنا .. اتفضلى روحى قابلى صاحبتك وانبسطى .. إنتى لحد دلوقتى عملتى اللى عليكى وزيادة ..

أمضيا أمسيتهما الثقافية الثانية بنجاح على الأراضى المغربية التى ترفع العلم الإسبانى .. وفى طريق العودة .. أخبرته ميزة أن هناك مكانًا أخير يجب أن يزوراه قبل مغادرة هذه المدينة ..

وبالطبع استسلم عادل لرغبتها بدون حتى أن يعبأ بسؤالها إلى أين .. هكذا ترك لها الحق فى مفاجأته .. لما رآه من سعادة ظاهرة حتى فى خطى قدميها .. التى كادت بفعلها أن تطير من على الأرض..

يُقال .. أن هناك أماكن تحفر ذكراها حفرًا فى ذاكرة الإنسان لمجرد عبوره بها مرة واحدة .. فهناك أماكن تذكرها لجمالها .. وهناك أماكن تذكرها لجمال من جمعتك بهم جدرانها .. وهناك أيضًا أماكن تذكرها لرائحتها الذكية .. نعم لرائحتها الذكية والفريدة جدًا كذلك.. وماذا لو اجتمعت كل هذه العناصر جميعها فى مكانٍ واحد ..!!

كان الشارع ضيقًا بما يكفى ليسقط عنه وصف شارعًا .. ويُسمى بدلًا من ذلك بحارة، رُصفت أرضيته بالكامل بالحجارة التى تعود فى الطراز والتاريخ إلى القرون الوسطى .. ولكنها ليست كتلك الحوارى الزلقة المعبأة بالروائح الكريهة التى قد اعتاد عليها عادل طوال حياته ..

ما إن اقتربا من أولها .. حتى توقفت ميزة بسعادة .. أغمضت عينيها وتنشقت نفسًا عميقًا والابتسامة العريضة تعلو وجهها ..

- شامم ..؟؟

- آه شامم .. ريحة حلوة فعلًا ..

رائحة سائل الشوكولاتة الدافئ ممزوجة بلمسة من رائحة القهوة الرائعة .. وعلى الرغم من أن هذه رائحة قهوة .. وتلك رائحة شوكلاتة .. إلا أنهما كانتا رائحتان مختلفتان تمامًا .. كانت رائحة عميقة .. وغنية .. ومركزة .. تجتاح صدرك وأنفاسك .. وتملأ المكان من حولك ..

وهكذا شعر عادل للمرة الأولى فى حياته .. أن هناك رائحة تحمله على كفيها .. وتلقى به بعيدًا فى الفضاء ..

اقتربا معًا فى خطٍ سعيدة .. بعد أن قذفت ميزة عادل بعدوى السعادة وجعلته من دون أن يشعر سعيدًا يطير فرحًا مثلها ..

محل ضيق وصغير .. شوكولاتريا .. شوكوليتيرا .. شوكلاتاااااا

ضحكت ميزة بصوتٍ مسموع على معالم وجه عادل وهو يحاول بائسًا أن ينطق عنوان المحل بطريقة سليمة .. ثم قالت ..

- شوكولاتيريا يا عادل .. شوكولاتيريا ..

- طيب ياستى براحتك واحنا هنيجى إيه فيكى ..الحق عليا إنى بحاول..

- إعمل أى حاجة إلا إنك تحاول تبوظ لغة المشاعر فى عينيه ..

لاشك أن ميزة كانت فى غاية السعادة فى تلك اللحظة .. كانت سعيدة لأنها على وشك أن تتناول حلوتها الإسبانية الشهيرة المفضلة .. المعروفة بإسم (تشوروس) بينما كان هو سعيدًا لأجلها .. سعيدًا فقط لمجرد رؤيتها سعيدة ..

- بص يا عادل .. الحلويات إللى إحنا هنطليها دلوقتى دى إسمها تشوروس .. دى من أشهر الأكلات الحلوة هنا .. ودا كمان من أحسن المحلات إللى بتعملها ..

- بصى هى باينة من ريحتها إلى جايبة أخر الشارع بس هى إيه برضو أحب أعرف عبارة عن إيه؟

- حاجة بسيطة خالص .. عبارة عن كوباية مليانة شوكلاتة سائلة .. ومعاها كده صوابع زى إكلير بس سادة .. بتغطسهم فى الشوكلاته .. واممم بتاكلها ..

- بصى هو أنا مش من عشاق الشوكلاتة .. بس إنتى شكلك بتحبيها صح؟

- أووووووه جدًا .. وغالبًا الحالة الرهيبة إلى أنا بمر بيها دى دلوقتى بسبب الشوكلاتة إلى جاية فى السكة ...

نظر إليها عادل بسعادة .. وآثر الصمت والمشاهدة .. بينما وصلًا معًا وأخيرًا إلى مقعدين بداخل ذلك المتجر الصغير جدًا .. المملوء بطاولات ومقاعد قديمة نوعًا ما .. وديكورات ولوحات على الطراز القديم تملأ المكان ..

لقد تعلم عادل على يد ميزة حرفة جديدة .. ألا وهى حرفة الحياة .. أو بمعنى أدق حرفة عيش الحياة .. التى كان يراها الآن فى عينى ميزة .. ميزة هى تلك الفتاة التى علمته أن هناك أكثر من مائة طريقة لتذوق جمال الحياة .. بل علمته أن هناك أكثر من مليون طريقة لحب الحياة.

عادة ما يتناول البشر الطعام .. لنفس الدوافع ولكن بطرق مختلفة .. هبط كوبى الشيكولاتة السائلة أمامهما .. وبينما تناول عادل وجبته فى دقيقتين .. تلذذت ميزة فى تناول الشيكولاتة .. أصبحت تأكلها ببطء .. تتذوقها بسعادة .. أغلقت عيناها وظلت تلتهم أصابع التشوروس بالشيكولاتة واحدة تلو الأخرى ..

ثم حملت معها بقية كوب الشيكولاتة الخاص بها خارج المحل .. بينما اكتفى عادل بالسير خالى الوفاض بالقرب منها .. يراقبها بشغف ..

وفجأة .. فتحت ذراعيها وركضت قليلًا .. ثم جلست على أحد الأرصفة.. ومدت ملعقة صغيرة كانت قد حصلت عليها من صاحب المطعم بداخل الكوب .. وأخرجتها ممتلئة بالشيكولاتة .. وضعتها فى فمها وأغلقت عيناها وبدأت تتنهد .. ثم قالت له .. هل هناك فى الحياة ما هو أثمن من عشق الشيكولاتة ..!! ثم فتحت عينيها لتجده جالسًا بالقرب منها .. يرد على سؤالها بلا .. لأ مفيش .. ما أفتكرش إن فى ..

هو الرجل الذى قد علمته التجارب ألا يثق بامرأة تنكر حبها للشيكولاتة .. أو بالأحرى علمته التجارب ألا يثق بامرأة باستطاعتها أن ترفض إغراءًا مثل إغراء الشيكولاتة .. لأن امرأة تعشق الشيكولاتة وتجاهر بحبها هى امرأة تُحب الحب .. وما الحُب سوى قطعة من الشيكولاتة تذوب فى الفم ..!

جلس عادل بالقرب منها ولكم تمنى أن يُعانقها فى هذه اللحظة .. ولكنه كان يعلم يقينًا .. أنه لايزال ينقصه مشوارًا طويلًا قبل أن يبلغ تلك اللحظة .. مشوارًا هو لا يعلم فى هذه اللحظة إن كانت سوف تسمح له يومًا بأن يسيره جنبًا إلى جنب معها .. أم لا..!! ثم سألها ..

- ميزة صحيح ..انتى ما قولتليش .. ليه إسمك ميزة ..؟ دا إسم غريب قوى أنا أول مرة أسمعه فى حياتى كلها ..

- إسمى ميزة .. عشان زمان لما ماما الله يرحمها كانت حامل فيه .. أهل بابا وكل الناس كانوا متوقعين إن أول طفل دا هيطلع ولد .. وكانوا محددينله إسمه كمان .. وفرحانين قوى .. وساعتها ما كانش فى سونار بالصورة كان السونار ساعتها بالصوت بس .. وكانت تيتا مامة بابا قاعدة عندنا فى البيت وكل ماما ما تتعب من الحمل تقولها دا ولد .. إلى جاى ولد .. دا تعب ولد .. دا إنتى حامل فى ولد .. وبس عملوا حسابهم على كده واشتروا هدوم ولاد كمان.. وفجأة اتقلبت الموازين .. أنا اتولدت بنت .. طبعًا كلهم اتصدموا ماعدا بابا وماما .. ماما حالتها النفسية تعبت عشان تيتا مامة بابا حملتها المسؤولية واتخانقت معاها .. كأنه ذنب إن ست تجيب بنت.. كأنه ذنب سبحان الله .. بس بابا ما سكتش .. كان فرحان بيا جدًا.. وقالهم بكرة بنتى دى تبقى ملكة .. تبقى أحلى بنت .. وقالهم أنا هسميها ميزة .. عشان هى ميزة .. وعشان لما تكبر كل مكان تروحه وكل ما تقابل ناس .. أكيد هيسألوها إسمك ميزة ليه .. زى إنت ما عملت كده دلوقتى هيكون ردها أنا إسمى ميزة عشان بابا بيحبنى .. وعشان أنا ميزة بابا .. وعشان بابايا دايمًا بيقولى إنى إسمى ميزة .. وإنى أنا ميزة ..

***

انتهى يومهم فى ميليا .. وها هى سبته .. تُبدى ابتسامتها الحزينة لهم من بعيد .. أو بالأحرى تُبدى له هو وحده ابتسامتها الحزينة من بعيد .. ابتسامة الوداع .. وداع المحطة الأخيرة من الرحلة، التى من الممكن أن تكون المحطة الأخيرة من لقائه بها ليس فقط فى إسبانيا، وإنما فى الحياة..

استيقظت ميزة فى الصباح .. هاتفت عادل وأخبرته أنها ستذهب لقضاء اليوم فى منزل صديقتها المقربة سارة وستعود قبل موعد حفلة التوقيع بساعة .. للقائه فى الفندق ...

سألته إن كان بحاجة إلى شيءٍ ما؟؟ عرضت عليه مرة أخرى مرافقتها عوضًا عن الجلوس وحيدًا فى بلد لا يتحدث لغته .. ولكنه تمسك برفضه.. واستأذنها فى استعارة كاميرتها هذا اليوم فقط .. ووافقت هى على منحه إياها ..

وكما فى الأيام الخوالى .. عندما كانت ميزة تستيقظ من فرط البهجة والحماس مبكرًا بساعتين قبل الموعد المحدد لاستيقاظها فى تلك الأيام التى من المفترض لها أن تقابل سارة بها.. حدث معها بالمثل فى ذلك اليوم .. استيقظت بساعتين مبكرًا عن موعد استيقاظها.. مما منحها وقتًا وفيرًا لتناول القهوة والإفطار وارتداء ملابسها برفق بلا عجلة .. وهكذا ارتدت ميزة أفضل ما تملك ... ارتدت فستانًا صيفيًا طويلًا أصفر اللون واسع الأكمام .. يتلائم مع الطقس المشمس الرائع الذى كان يعم الأجواء فى هذا اليوم .. تركت شعرها الأسود الطويل يسبح فى تناغم مع الرياح على ظهرها.. تزينت بابتسامتها كالعادة .. حملت حقيبتها .. والحقيبة الأخرى التى تحتوى على الأشياء التى قد جلبتها لصديقتها وزوجها معها من مصر ..

أما عن سارة .. فقد كانت ليلة غير عادية على الإطلاق بالنسبة لها هى وزوجها .. قضتها وهى تسترجع ذكرياتها مع ميزة .. فتحت حقيبة الصور القديمة قبل أن تنام .. وأمسكتهم بيديها واحدة تلو الأخرى .. انظر هذه لنا عندما كنا فى مدينة شرم الشيخ .. وهذه لنا معًا هنا فى قصر الحمراء قبل

أن ألتقى بك بعدة ايام .. تخيل .. كنت معها دائمًا والآن أصبحت دائمًا معك أنت..

انظر تلك الصورة لنا أنا وهى عندما كنا فى الجامعة معًا .. انظر كيف كنا نبدو حينها ..

عادة ما يقضى الرجل الشرقى وقتًا فى إقناع زوجته المستقبلية بضرورة الانفصال عن صديقاتها قبل الزواج منه .. إلا أنه وفى الحقيقة .. لا يقنعها فقط بالانفصال عن صديقاتها وإنما هو يقنعها بالانفصال عن الحب برمته .. نعم الحب .. ولا تسألنى ما هى علاقة الحب بالصداقة .. لأننى سوف اقول لك أن الحب هو الصداقة .. والصداقة هى الحب .. وكيف لحب أن ينشأ بدون صداقة بين رجل وامرأة .. ذلك وأن الأصدقاء يتحدثون إلى بعضهم البعض.. يحسنون الاستماع إلى بعضهم البعض .. فالصداقة تقوم على لغة الحوار .. وهل من الممكن أن يتزوج رجلٌ من امرأةٍ بلا لغة حوار !!! وأىُ زواجٍ هذا الذى تنقصه لغة الحوار وبهجة مشاركة الأحاديث الليلية والصباحية .. أى زواج هذا الذى تنقصه بهجة مشاركة المواقف والضحكات .. تنقصه بهجة السخرية من المواقف المحرجة .. بل بهجة الحزن معًا كذلك..

وهكذا سوف يرجع دائمًا شعورك بالوحدة اليوم إلى أن أحدهم قد نجح يومًا ما فى إقناعك أنه هو وحده يستطيع أن يلعب جميع الأدوار بحياتك .. وهكذا أيضًا تُحرَم المرأة من الكثير عندما تصدق رجلًا أخبرها لتوه أن حبه لها يكفيها ويغنيها عن كل صداقات العالم ..!!

اترك لها صديقتها كما تفعل لنفسك .. وتحتفظ بأصدقائك على الرغم من علمك بشرورهم ونواقصهم ..

فى يوم من الأيام .. سافرت الصديقتان إلى إسبانيا .. بعد أن تعهادتا على مواجهة الحياة معًا .. على تكملة الطريق معًا .. جمعتهن الأحلام كما جمعهن الواقع .. إحداهن ترتدى الحجاب والأخرى لا .. ويشاء القدر أن تقع الفتاة المحجبة فى حب مدرس اللغة الإسبانية خاصتها .. يحدث كل شىء بسرعة .. يعتنق الرجل الإسلام .. يتزوجا .. وهكذا تفرق الأماكن بين الصديقتان .. ولكن القلوب المُحبة لا تفترق أبدًا ..

اليخاندروا الجميل .. الذى قد تساءل جميع من عرفوا بقصته هو وسارة .. لِمَ قد يترك رجلًا مثله حسناوات بلاده ويلتفت إلى عربية مسلمة محجبة .. لا يكاد يرى من خلال ملابسها أمرًا سوى وجهها وكفيها.. تساءل جميع من فى مصر آنذاك .. ما هو الملفت لهذه الدرجة فى وجهك فقط يا سارة .. حقيقة الأمر أن ما رآه اليخاندروا فيها .. كان بالفعل أبعد وأعمق من وجهها .. لقد اغرم الرجل بروحها .. وهل يوجد شىء أجمل من أن يُغرم رجل بروح امرأةٍ ما ..!!

قيل قديمًا .. إن فكرت يومًا فى الإقدام على الزواج .. عليك أن تسأل نفسك قبلًا .. هل هذا الشخص هو الذى سوف استمتع برفقته عندما يصبح عمرى سبعون عامًا ..؟؟ هل سنجد حديثًا مشتركًا يجمعنا حينها؟؟

مدت ميزة يدها لتفتح الباب الحديدى .. الذى يتوسط السياج الخارجى المحيط بالمنزل .. دقت الجرس .. فتحت لها سارة واستقبلتها بعناق طويل ودافئ .. واليخاندرو يقف فى الخلف مبتسمًا فى صمت .. مستمعًا لكلمات تلك اللغة التى قد بدأ يُفك طلاسمها مؤخرًا شيئًا فشيئًا.. بعد الدروس المكثفة التى خاضها مع زوجته سارة ..

- وهشتينا يا ميزة .. قالها ثم استكمل حديثه بالإسبانية .. ادخلا إلى البيت هل ستقفان على عتبة المنزل كثيرًا .. ادخلا البيت يتسع لنا جميعًا ..

دخلت الصديقتان .. أخبرهما اليخاندرو أنه سوف يتركهم للقليل من الوقت وسوف يذهب إلى المطبخ لتحضير بعض حلوى المارينجى الإسبانية الشهيرة، التى أخبرتها سارة أنه بارع للغاية فى إعدادها .. وأنه قد صمم أن يُعدها احتفالا بوصول ميزة .. وهكذا جلست الصديقتان تتبادلان أطراف الحديث ..

- وحشتينى قوى يا سارة .. والله العظيم انتى من ساعة ما مشيتى وأنا حاسة بوحدة فظيعة .. بجد ساعات كتير بكلم ندى عشان أملى الفراغ إللى عندى ..

- إنتى وحشتينى أكتر .. أنا مش هقولك إنى حاسة بوحدة .. تخيلى على الرغم إنى عايشة فين وأهلى وأصحابى كلهم فين .. بس فعلًا .. دايمًا بقول لنفسى الحاجة إللى هتكمل سعادتى دايمًا هى وجودك إنتى وأهلى هنا معايا ..

- طمنينى عاملة إيه فى سبته .. هنا أحلى ولا الحياة فى مدريد ..؟

- لأ بصى بصراحة الإتنين حلوين .. بس أنا حبيت مدريد أكتر، على الرغم من إن هنا أسهل بكتير نلاقى أكل حلال عن مدريد بنتهدل على ما نلاقيه وبيبقى غالى جدًا .. بس سيبك إنتى .. الناس فى إسبانيا كلها فعلا بحس إنهم طيبين وودودين وما عندهمش أى نوع من أنواع العنصرية .. عمرى ما حسيت بالتمييز بسبب حجابى أو لبسى المتغطى .. أنا بمشى فى وسطهم عادى ..

- ولقيتى الإجابة على سؤالك ولا لسة تايهة؟؟

- أى سؤال تقصدى ..؟

- فاكرة يا سارة سؤالك .. لما زمان كنتى بتقوليلى إنك بتحسى إنك مش بتنتمى لمصر .. ولا بتنتمى لإسبانيا .. كأنك واقفة فى مكان فى النص بينهم إنتى مش عارفاه .. هاه عرفتى بتنتمى لمين دلوقتى .. ولا لسة؟

- بنتمى لجوزى طبعًا، مفيش مكان فى الدنيا دى كلها ممكن انتميله ويكون أحن عليا من حضن جوزى .. المهم سيبك منى شوية ... إنتى عاملة إيه؟؟

- كويسة الحمدلله ..

- ميزة عايزة أقولك على حاجة .. نصيحة بلاش تقعدى تسدى فراغك بالكلام مع ندى عشان بجد مالوش لازمة صدقينى ... ونصيحة تانية .. حاولى ما تروحيلهاش البيت كتير..

- إيه أروحلها البيت يا بنتى .. أنا بقالى بتاع تلت شهور أهو لا دخلت بيتها ولا هدخله بعد ما جوزها الندل عمل الحركة بتاعته دى معايا.. يا بنتى المفروض قالتلى إنى هروحلها ومحدش هناك غيرها حتى الولاد فى المدرسة .. والأستاذ آدم كان عارف إنى جاية من بالليل ومفهمها إنه مش هيبقى موجود .. بس هوب لقيناه طب علينا فى نص اليوم .. وداخل بالمفتاح كمان مش بيرن الجرس .. أنا الحمدلله ما كنتش مغيرة هدومى ولا حاجة .. بس الحركة ضايقتنى لأن معروف إن فى بنات لما بيقعدوا مع بعض بيخففوا فى اللبس .. المهم .. يا بنتى من ساعة ما دخل ونظرات مقرفة بقى وأسلوب وحش وبعدين بيوزعها يقولها إدخلى هاتيلى مش

عارف إيه من جوا .. دى دخلت وانتى عارفاها باردة وبطيئة طول عمرها قعدت ساعة تدور وتقلب وهو شغال بصبصة واستهبال .. حسسنى بالقرف والاشمئزاز بجد .. قمت مشيت بسرعة وانا ماشية بيبص نفس البصات برضو وشغال يقولى تعاليلنا تانى .. ولا أقعدى إتغدى .. حاجة قرف .. بنى آدم ما عندوش ريحة الدم وما بيتكسفش وهى ولا واخدة بالها من حاجة .. وعمالة ترسم فيه وتقولك بيحبنى وبيجبلى هدايا وطاير بيه فى السما .. وطبعا أنا ما أقدرش أتكلم معاها ولا أجيبلها سيرة ..

- مين دى إللى تجبيلها سيرة .. بغض النظر عن حوار خراب البيوت دا واللى احنا عارفين كويس قوى ومتأكدين إنها حتى لو عرفت إنه بيبص برا عمرها ما هتسيبه، إنتى لو اتكلمتى هو هيقلب الطرابيزة عليكى وهيروح يقول إن إنتى عينك منه وبصالها فيه .. لأ وهو راجل حلو قوى ويتبصله بصراحة .. إيه القرف دا .. أنا بسمع منك الكلام أهو وحسيت بالقرف .. بس كويس إنك ما بقيتيش بتروحيلها .. بس صحيح هى مش بتجيب سيرتى فى حاجة؟

- يووووه هتموت وتعرف منى خبر واحد بس عنك .. بجد يا بنتى مش ممكن حشرية جدًا .. كل شوية سارة جابت ولاد؟ سارة ما خلفتش ليه؟ هى سارة ما بتخلفش ولا إيه؟ روحى قوليلها تعمل تحاليل وفحوصات .. مش ممكن مملة عمرها ما بتزهق من الأسئلة..

- لأ هى مش مملة .. هى دى ندى هتفضل طول عمرها كده .. عايشة جوا جدول مقارنة كبير قوى بينها وبين كل الناس .. مش فالحة فى حاجة غير إنها تفضل مركزة مين إتجوز ومين إتطلق ومين بيحب مين .. ومين اشترى لمراته دهب .. والدهب عيار كام .. والشبكة شكلها عامل إزاى ..

ومين ولاده أحلى وأشطر وأذكى من ولادها .. فظيعة يا ساتر الحمدلله إنى خلصت منها ومن زنها .. عقبالك إنتى كمان ..

استكملا حوارهما حتى قاطعهما اليخاندروا .. قائلًا لقد انتهيت من إعداد الحلوى .. هيا بنا نُعد الغداء .. وهكذا قضيا ثلاثتهما وقتًا ممتعًا فى المطبخ .. اشتركا معًا فى إعداد الغداء .. ثم تناولا الغداء معًا .. وجاء موعد عودة ميزة إلى الفندق .. كانت سارة على وشك الذهاب لتُقل صديقتها إلى الفندق بالسيارة وحدها .. الا أن اليخاندرو تمسك برأيه وذهب معهما .. ليُقلهم هو بينما يستكملان هما حديثهما فى تلك الأثناء .. فى الطريق أخبرت ميزة صديقتها عن عادل .. فكان رد سارة .. كويس إنى جيت معاكى بقى أما تعرفينى عليه .. المرة الجاية إن شاء الله لما أروح المكتبة هبقى أشترى كتابه دا أما أشوف فيه إيه مادام بتقولى عليه حلو كده وعاجبك ..

لقد شعرت ميزة بحركة غريبة فى الفندق .. منذ اللحظة التى دخلا فيها من الباب الرئيسى .. وفجأة .. أغُلِقَت الأنوار .. وظهر عادل فى المنتصف مُحاط بدائرة من الضوء .. مسلطة عليه هو وحده .. ممسكًا بشىءٍ ما فى يده .. بينما لمحت ميزة قبل انغلاق الأضواء أحد العاملين بالفندق ممسكًا بكاميرتها فى يده ويوجهها نحوها .. كان جميع من فى الفندق محدقون فى صمت .. يشاهدون الموقف بسعادة بالغة .. خيم الذهول على وجه كلا من ميزة وصديقتها سارة .. والسعادة غمرت وجه اليخاندروا كذلك .. بدأ عادل فى الحديث باللغة الإسبانية .. قال لها وهو يتلعثم...

ميزة .. أنا أحبك .. لقد اخترت البوح لكِ بحبى باستخدام اللغة الإسبانية .. التى سميتيها أنتِ لغة الحب .. أحبِك وأريد أن أتزوج منكِ ..

ولأنك تُحبين الطبيعة .. لقد أعددتُ لكِ هذا الخاتم من أوراق الشجر .. مؤقتًا .. حتى نعود إلى مصر واشترى لكِ أجمل خاتم .. لأجمل عروس..

ثم اقترب منها .. وجلس على إحدى ركبتيه .. ومد إليها يده .. آملًا أن تمنحه يدها هى ايضًا.. شعرت ميزة بالتوتر الزائد عندما اقترب منها عادل.. وأصبحت هى أيضًا تقف معه داخل دائرة الضوء ..

نظرت إلى صديقتها التى كانت تقف بالقرب منها ... ولكن لشدة العتمة لم تر وجهها .. فأمسكت بيد سارة من ناحية .. ومن الناحية الأخرى.. شعرت أن الجميع ينتظر موافقتها .. والجميع ينظر إليها .. توترت وأرادت ألا تتعمد إحراجه .... فقالت نعم .. أوافق .. وفى هذه اللحظة وضع عادل الخاتم فى إصبعها .. أنيرت القاعة .. وصفق الجميع .. وبدأ بعض الموجودن بتبادل القبل .. وها هى كعكة الشيكولاتة المستديرة الكبيرة التى قد طلب عادل بإعدادها منذ الصباح قد حضرت وبدأ العاملون بالفندق باقتسامها وتوزيعها على الجميع.. وبينما كان اليخاندروا سعيدًا .. كان وجه زوجته يعلوه شيءٌ من الغرابة .. وشيءٌ من الاستنكار..

أما ميزة .. فشعرت بالتورط الغريب .. وقبل أن يبدأ عادل فى الحديث منفردًا إلى ميزة .. تدخلت سارة .. وقدمت نفسها إليه .. مدت يدها قائلة ..

- أنا سارة صاحبة ميزة الأنتيم .. أهلًا بيك ..

- وأنا عادل .. معلش أنا عارف إنك اتعرفتى عليا بطريقة غريبة ..

منحته سارة ابتسامة باردة .. ثم قالت ...

- لأ عادى مفيش مشكلة الأيام جاية كتير .. ألف مبروك .. ربنا يسعدكم ..

نظرت ميزة إلى الساعة .. ثم قالت .. إحنا لازم نمشى دلوقتى .. عندنا ميعاد ما ينفعش نتأخر..

فنظرت سارة لعادل .. أستأذنك بس فى ميزة عايزة أقولها حاجة قبل ما أمشى..

ثم أمسكت صديقتها وشدتها جانبًا ..

- ميزة إنتى إتجننتى .. إزاى تورطى نفسك كده .. الراجل لسة عارفاه ما كملتيش تلت أيام، وتوافقى عليه كده .. كده مرة واحدة .. دا جواز يابنتى هو لعب عيال ..!!

- أنا إتورطت يا بنتى .. أنا عارفة إن إنتى معاكى حق .. بس هعمل إيه أحرجه قدام كل الناس دول .. أنا قلت أوافق دلوقتى وبعدن هقوله إنى محتاجة وقت أفكر وإنى قلت إنى موافقة بس عشان ما أسببلوش الإحراج قدام كل الناس دول ..

- أه زى ما توقعت بالظبط .. بتوافقى على طلب الجواز مرة واحدة فى ثانية عشان ما تحرجيش حد .. هتفضلى لحد إمتى ما بتعرفيش تقولى كلمة لأ .. لأ لأ .. أنا ما بقولكيش ارفضيه ولا بقولك وافقى .. بس كل إللى عايزة أقولهولك إن دا قرار كبير قوى ومسؤوليته كبيرة ما ينفعش توافقى عليه فى ثانية ..

- عندك حق .. أنا هقوله النهاردة إن شاء الله أول ما نخلص إللى ورانا ..

- أه قوليلوا وبعدين اتصلى بيا فى التليفون إحكيلى .. إحكيلى قبل ما تسافرى يا ميزة وفى سؤال حطيه قدام عينيكى كده قبل ما تفكرى وتقررى فى أى حاجة .. لو عادل دا كان إتقدملك بطريقة تقليدية .. كنتى هتوافقى عليه برضو ولا لأ؟؟ يعنى ياريت تشيلى من دماغك الطريقة الرومانسية الفتاكة إللى إنتى طول عمرك بتحلمى بيها دى وانتى بتفكرى توافقى ولا لأ.. فاهمة ..؟

***

وعبر عينان إنسانة ينقصها الكثير .. كانت ندى لا ترى فى الناس سوى ما ينقصها فقط .. تمامًا تشبه فى مشاعر انتقاصها للكثير .. مشاعر الرجل الأصلع الذى دائمًا ما تكون رؤوس الناس هى أول ما تقع عليه عيناه أينما ذهب ..

تشبه فى مشاعر انتقاصها للكثير .. عيون الجائع الذى لا تقع عيناه أثناء الطريق سوى على محلات الطعام .. والمأكولات التى يتناولها المارة ويحملونها فى أيديهم ..

هكذا كانت عينا ندى .. لا ترى سوى ما ينقصها هى فقط ..

ولأن ندى ينقصها الكثير.. كانت ترى فى الآخرين الكثير .. بل بالأحرى كانت ترى كل شىء فيما عدا تلك الاشياء التى تملكها هى بالفعل..

ما إن عادت ميزة إلى مصر .. قررت ندى كعادتها استغلال تلك الفترة الصباحية التى تخلو فيها إلى نفسها كل يوم فى الذهاب إلى بيت ميزة هذه المرة .. حتى تتحرى منها معلومات عن عادل وكيفية طرحه لطلب الزواج منها .. أرادت أن تعلم كل شىء وعَلِمت أن الهاتف وحده لا يكفى لإرضاء رغبتها هذه المرة ..

وبينما هى هناك .. فى بيت ميزة يتبادلان أطراف الحديث .. دق جرس المنزل .. ذهبت ميزة لتفتح الباب فوجدت باقة كبيرة من الورود البيضاء .. يحملها العامل .. وعلى رأسها تجد بطاقة بيضاء كبيرة ... فتحته ميزة لتقرأة بينما وقفت ندى بالقرب منها تختلس النظر إلى محتوى البطاقة .. التى كُتب فيها ..

عزيزتى ميزة .. أظن أنه من العبث أن أهديكِ باقة من الزهور الحمراء الفاضحة، ذات العطر الفواح المنتشرة فى كل مكان .. والتى يفوح عطرها ليبدو كدعوة لأى عابر أن يقترب منها .. ولأننى أظن أن كل امرأة تشبه زهرةٍ ما .. أهديكِ باقة صباحية من زهور الجلاديوس البيضاء .. التى تُشبهك كثيرًا .. فهى بيضاء اللون كبياض قلبك وروحك .. وهى خجولة مثلك تخبئ عطرها بداخلها .. ولا تمنحه هكذا بسهولة إلى أى عابر سبيل..

عزيزتى ميزة .. أتمنى أن أكون جديرًا يومًا ما بالعثور على عطرك ..

صباحُ الخير ..

ابتسمت ميزة ابتسامة دافئة .. ثم حصلت على نفس عميق .. وعانقت الباقة .. ثم نظرت إلى ندى، التى كان لا يُخفى من على وجهها علامات الفوران .. التى بدأت تُخبئها باستخدام ضحكة مصطنعة .. قبلت ميزة على وجنتيها .. وقالت ..

- ألف ألف مبروك يا حبيبتى .. والله العظيم فرحتلك خالص .. وآدم كمان فرحلك ربنا يتمملكم بخير .. دا الواحد كان خلاص قرب يفقد الإمل إنك ممكن فى يوم من الأيام تتجوزى .. يلا عامة ألف مبروك ..

- شكرًا يا ندى .. الله يبارك فيكى ..

- مع السلامة بقى أنا همشى عشان الحق أطبخ ورايا حاجات كتير..

- مع السلامة ..

استقلت ندى سيارتها .. أغلقت نافذتى السيارة .. بينما بدأت تتحدث إلى نفسها بصوت مسموع من فرط الغيرة ..

غبية .. غبية .. شايفة بيكتبلها إيه .. يا بختها .. هى دى الجوازات ولا بلاش ... الراجل مؤلف وبيكتب فيها أشعار .. وأمور وطويل وظروفه حلوة.. باضتلك فى القفص يا ميزة .. وبعد ما كنت قلت خلاص الحمدلله هشفى غليلى منك وهتفضلى طول عمرك عانس .. أديكى هتتجوزى واحد برقبة النطع اللى أنا متجوزاه .. بكرة تعيشى أحلى عيشة وافضل أنا الخدامة إلى ما وراهاش حاجة غير الطبيخ والغسيل .... منك لله يا آدم .. منك لله .. ضيعت عمرى معاك .. أدينى أهو إللى كنت خايفة منه ومتوقعاه حصل .. أنا أول واحدة إتجوزت فيهم .. وأكتر واحدة باخد على دماغى .. والتانيين كل واحدة فيهم صبرت ونالت .. يا ميلة بختك يا ندى .. هتفضلى طول عمرك كده .. حظك زى وشك .. حسبى الله ونعم الوكيل فيك يا آدم ..

***

لقد أوشك مارس على الانتهاء الآن .. وقد بدأت نسمات الهواء العليل فى النفاذ مع اقتراب نهاياته .. فقد بدا هذا اليوم يومًا خانقًا من بداياته ..

السماء تميل إلى الاصفرار، شاحبة اللون .. غابت عنها شمسها .. .. رائحة التراب تفوح فى الأجواء .. وعلامات التعاسة لا تخفى نفسها من على وجوه المارة، الذين ضاقت عيونهم حتى أوشكت على الانغلاق فى محاولة بائسة منهم لمنع الأتربة من اغتيال أبصارهم ..

أوشكت الساعة أن تدق الثالثة .. بقى على موعد انتهاء عادل من عمله بالجريدة ثلاث ساعات .. وها هو يتسلم زهرة وردية اللون موضوعة فى وعاء نباتات صغير تحمل بطاقة ..

عزيزى عادل .. لقد أهديتنى زهورًا جميلة هذا الصباح .. ولكنها وعلى الرغم من جمالها الباهر إلا أن هذا لا يمنع حقيقة أنها كانت قد ماتت بالفعل لحظة اقْتِلَعت من وعائها .. وهكذا و دون أن تشعر قد منحتنى الموت فى أبهى إطلالاته .. لذا آثرتُ أن أمنحك الحياة فى صِباها .. أمنحك الآن إحدى بناتى .. زهرة فى بيتها .. فى وعائها ... لازالت حية تتنفس .. وهكذا وسواء تزوجنا أو لا .. سوف تذكرك هذه الزهرة دائمًا بى .. فى كل مرة تُسقيها القليل من الماء سوف تتذكرنى .. وهكذا ومع الوقت ... سوف تتعلم أن تحبها فى كل مرة ترعاها .. وبهذا أكون قد أهديتك الحب فى أجمل أشكاله ..

***

تناول الأولاد الطعام وذهبا لينالا قسطًا من الراحة .. بينما كان آدم عائدًا لتوه من العمل .. عابثًا كعادته .. لا يعبأ بشىءٍ سوى الطعام .. لذا قد تعودت ندى ألا يسأل على شىءٍ سوى الطعام .. جلس إلى طاولة الطعام منهكًا كعادته .. لم يلتفت إلى شىءٍ سوى يد ندى زوجته وهى تلقى بطبق الطعام بإهمال أمامه .. مد يده ليبدأ بتناول طعامه .. ثم بدأ فى

حشر الطعام حشرًا سريعًا فى فمه.. وبينما كانت ملعقة كبيرة مملوءة بالأرز والخضروات تحفر طريقها داخل فمه رفع آدم رأسه قائلًا والطعام يتدلى من فمه ..

- إيه مالِك ..؟ قالبة وشك ليه يا ولية..؟ ولا أه صحيح أنا نسيت إن النكد بقى عادة عندك ..

- النكد .. أه صح أنا دلوقتى إللى نكدية .. بص لنفسك .. فوق لنفسك يا أستاذ .. تقدر تقولى إحنا متجوزين بنعمل إيه فحياتنا ..؟؟ تقدر تقولى ليه إنت ولا مرة فى حياتك كلها .. عمرك ما جيبتلى ورد؟؟ مثلًا مثلًا يعنى .. بقالنا أد إيه متجوزين ..؟

- على فكرة نبرتك فى الكلام مش عاجبانى .. وصوتك ابتدى يعلى .. وعامة أنا برضو هعمل بأصلى .. وهرد بالذوق .. عشان أنا طيب ومحترم .. بقى شوفى بقى يا بنت الناس ... عايزة ورد يا ست ندى .. حاضر من عينيا.. لو كنتى كلمتينى النهاردة كنت عديت على أمى فى البيت قطفتلك شوية ورد من الجنينة إللى وراها .. خلاص كده .. فوكى وشك بقى خلينى أعرف أطفح .. أنا تعبان ومش ناقصك ..

- إيه .. إنت بتقول إيه .. هو دا أخرك فى الورد .. مش هاين عليك تطلع فلوس من جيبك وتروح تجيبلى شوية ورد .. إنت هتفضل لحد إمتى بخيل كده .. أنا مش قادرة أستحمل بخلك أكتر من كده .. حرام عليك ضيعت عمرى معاك ..

وهنا قرر آدم ترك الطعام بعد أن أوشك على الانتهاء منه .. وقال لها بصوتٍ عالٍ ..

- بقولك إيه يا ولية .. أنا ساكتلك من بدرى .. وعمال أقول دى هتتهد وتقعد دلوقتى .. بس حيث إنك بتتكلمى بقى وبتقولى بخلك ومش بخلك ومن ساعة ما إتجوزنا فبصى بقى يا بنت الناس .. أنا والله ما جريتش وراكى وقعدت أترجاكى واتحايل عليكى عشان تتجوزينى .. أظن بقى لو بنتكلم فى مين إللى ضيع عمره على مين .. يبقى بلاش إنتى .. أنا إللى ضيعت عمرى مع واحدة جريت ورايا بالمشاوير هى وامها .. وبلفتنى ووقعتنى فى شباكها عشان تضحك عليه وتخلينى أتجوزها .. وانا من طيبتى عشان أنا طيب وابن ناس محترمين وقعت واتجوزتك... وإن كنتى ناسية أفكرك إن إنتى إللى إتعرفتى عليا زمان .. وان إنتى اللى طلبتى منى آجى أخطبك .. وأفكرك كمان أيام ما كانت أمك بتسهى أبوكى الغلبان وتعزمنى عندكوا عالغدا فى البيت من وراه وما كناش لسه أيامها لا مخطوبين ولا فى بيننا حاجة رسمية .. فا والنبى ياختى بطلى غيرة من صاحبتك اسمها إيه دى وفوق لنفسك وخليكى فى عيشتك وما تقعديش تعمليلى فيها الضحية.. أما بقى لو العيشة دى مش عاجباكى .. أحب أقولك إن الست بتندفن مع جوزها ..

- أه فعلا عندك حق .. دى أكتر كلمة صح إنت قلتها فى حياتك كلها أنا فعلًا إتدفنت معاك..

- والله لو مش عاجبك الباب يفوت جمل ..

جلس مرة أخرى إلى الطاولة لاستكمال طعامه .. ثم قال .. آه هو دا كلامى وإن كان عاجبك، وعلى صوتك عليا مرة تانية كمان عشان أروح ملبسك الطبق إللى قدامى دا فى وشك واقوم أوريكى علقة حلوة من بتوع زمان أصل شكلك بقيتى بتنسى كتير اليومين دول ..

وضعت ندى الطعام على الطاولة .. وجلست تتناول معه الغداء كما اقتضت العادة ..

***

وحشتينى قوى .. ياااه بجد وحشتينى قوى .. أنا مفتقداكى جدًا .. يمكن تكونى بعيدة فعلًا .. بس على الأقل أنا عارفة إنتى قد إيه حبيتينى أنا ومصطفى .. وازاى قضيتى عمرك كله بتهتمى بينا .. بس عادل .. يااااه ... دى أصعب حاجة أنا ممكن أتخيلها .. يمكن حتى ما أقدرش أتخيلها ..

هذا ما كان يدور بخلد ميزة فى تلك اللحظات تحديدًا .. فقد بدأت الأمور لتوها تتكشف أمامها .. بدأت تتعرف إلى عادل وعائلته أكثر فأكثر .. أخبرها الكثير والكثير عن نفسه وعن عائلته وعن ماضيه .. أخبرها الكثير من الأسرار المحكية .. والكثير و الكثير من الأسرار الغير محكية، التى اكتشفتها هى بعينها ..

عرفت ميزة عن أبو عادل .. المهندس القاسى، ذو الملامح الصارمة .. الرجل الذى أجبر ابنه الأكبر عادل على الالتحاق بكلية الهندسة .. أملًا فى أن يحذو حذو أبيه .. وهكذا انصاع عادل إلى أمر أبيه فى البداية والتحق بالفعل بكلية الهندسة .. بل والأكثر من ذلك قضى سنواته الخمس فيها بنجاح .. حتى تخرج وعندها فقط أعلم أباه بعدم رغبته فى العمل بمجال الهندسة .. وبأنه سوف يتبع قلبه ورغبته فى الكتابة .. وسوف يعمل فى المجال الصحفى ..

كانت هذه هى المرة الأولى فى حياة عادل، التى يستطيع أن يستجمع فيها قواه وشجاعته ليقف فى وجه أبيه ويعلن عن رأيه الخاص .. فقد رباه

والده هو وأخوه تربية تكاد تشبه التربية العسكرية.. كذلك قد تمكن هذا الرجل من أن يصنع من زوجته إنسانة باردة القلب والمشاعر .. سلبية ومسلوبة الإرادة بالكامل .. ليس لها صوت .. ولا تملك أن تُبدى رأيًا .. وهكذا ومع الوقت .. عرفت ميزة من خلال أحاديث عادل أن والده قد أمر والدته منذ زمنٍ أن تقطع جميع الصلات التى تربطها بأفراد عائلتها .. حتى إخوتها .. وانصاعت هى لأوامره .. وها هى الآن .. تحولت مع الوقت من فتاة جميلة فى الشباب .. إلى امرأة هزيلة ضعيفة قهرها الزمن .. ومحى شخصيتها عنها زوجها .. وقطع عنها صلاتها بأعز أحبابها ..

جلست ميزة بالقرب منها ما يقرب الثلاث ساعات فى محاولة لخوض حوارٍ ما .. فى أى موضوع إلا أنها مع ذلك لم تصل إلى أى نتيجة حتمية ..

فقد اكتفت والدة عادل طوال الجلسة بالكامل بالرد باستخدام الكلمات المختصرة .. آه .. صح .. نعم .. عندك حق والله يا بنتى ..

نوعًا ما .. كان عادل مفتونًا بعائلة ميزة .. أو بمعنى أخر .. كان مفتونًا بأبيها .. ذلك الأب الذى لم ولن يعثر عليه يومًا .. وحتى تلك اللحظة .. هو نفسه لم يكن يعلم هل يُحب ميزة أم يُحب عائلتها .. هل يريد أن يتزوج من ميزة نفسها .. أم يريد العثور لنفسه على عائلة أخرى بديلة ..؟؟ وهكذا .. ليس بمقدور أى إنسان أن يُقدر حجم مأساة إنسان قد ولد فى رحم الصمت والقسوة .. ليس بمقدور أى شخص أيًا كان أن يُقدر على أى أساس يُحب هذا الرجل .. وعلى أى أساس يختار..!!

فكم هى غريبة هى الحياة .. تأخذ منك أمرًا ما .. حتى تجعلك تمضى بقية عمرك أسيرًا له .. مولعًا بالبحث عنه .. وغريبون هم البشر كذلك .. لا يقدرون سوى ما ينقصهم .. ولا يبحثون سوى عنه ..

وبينما تأمل عادل بطريقة أو بأخرى فى شخص والد ميزة صورة أخرى لأبٍ حنون بديلًا عن والده القاسى .. لم تتأمل ميزة لوهلة .. أن تبحث عن بديلًا لأمها .. ولأنها لم تتأمل ذلك .. هى لم تعبأ بكون أم عادل امرأة لا تعرف كيف تكون أمًا لأبنائها هى .. حتى تمتلك مهارة احتضان الآخرين ..

***

أوشكت الساعة على الثالثة صباحًا .. بينما كان مصطفى لازال ممسكًا بهاتفه .. مختبئًا تحت غطائه .. والظلام الدامس يَعُم الغرفة .. يتحدث إلى مها خطيبته عبر الهاتف ..

- مصطفى .. بجد حرام عليك أنا ضميرى بيأنبنى جدًا كل مرة بنعمل فيها الحاجات دى بحس إنى مكسوفة من نفسى .. ومكسوفة من ربنا كمان .. ومكسوفة من بابا ..

- إيه يا ستى كل طابور الكسوف دا .. فى إيه يعنى هو حصل إيه لدا كله .. إنتى هتبقى مراتى أصلًا .. دا عادى إحنا المفروض ناخد على بعض عشان ما نتفاجئش بعد الجواز إن شاء الله..

- أيوه بس دا حرام .. أنا مش مراتك أنا خطيبتك .. حرام .. يعنى إنت ترضى إن عادل يعمل مع ميزة أختك كده ..؟

- لأ طبعًا .. إنتى إتجننتى ولا إيه .. هو إيه دا إللى عادل يعمل كده مع ميزة.. خدى بالك من لسانك وشوفى إنتى بتقولى إيه ..

- يا سلام .. يعنى زعلتك قوى الكلمة وما زعلتش من إللى إنت بتقعد تزن عليا عشانه ومش بتسكت غير لما بتعمله معايا ..؟؟

- يا عبيطة .. أنا طبعًا ما أرضاش إن حد يعمل فى أختى كده عشان أنا ما أضمنش إنه يتجوزها ولا يحافظ عليها زى أنا ما بحافظ عليكى .. وبعدين إيه عادل وميزة يعنى هو احنا مش قلنا إحنا غير كل الناس وما ينفعش نقارن نفسنا بيهم؟؟ إحنا حالة حب مختلفة يا بنتى ..

***

من نفس المقهى فى الزمالك .. أول مقهى التقوا عنده بالصدفة .. قررا أن يلتقيا اليوم .. وفى الصباح الباكر كذلك .. فى نفس الموعد تقريبًا .. فما أجمل من أن يُجدد الإنسان ذاكرته ببعض الأماكن التى تحمل بين أبوابها بعض أوراق الحب المُبعثرة ..

- بص يا عادل .. أنا مش عايزاك تفهمنى غلط .. أنا والله العظيم مش بحب الواسطة .. بس هعمل إيه .. إنت مش متخيل أنا بعد ما إتخرجت عملت البدع عشان أشتغل .. قدمت تقريبًا فى كل حتة إنت ممكن تتخيلها .. واترفضت .. فين فى الأخر اضطريت أقول لهيثم يشوفلى شغل .. والحمدلله مرتاحة جدًا فى الفلوس بتاعتهم كويسة أو على الاقل بتكفينى وبكمل حاجاتى باخد من بابا مصروف ..

- أنا عارف إنك صاحبة مبدأ .. بس للأسف الواسطة دى دلوقتى بقت عاملة زى الرشوة كده .. نظام عام ماشى فى البلد إحنا مش عارفين نلغيه ومجبرين نتعامل بيه .. ربنا ينجينا يا بنتى.. بس قوليلى .. ما جربتيش تشتغلى مدرسة مثلًا .. بيتهيألى الوظيفة دى حلوة قوى للبنات خصوصًا بعد الجواز .. بتبقى تخلصى شغلك بدرى وتقدرى تاخدى ولادك معاكى المدرسة .. ومرتب كويس وممكن تدى دروس كمان .. والأهم من دا كله إنتى معاكى لغات..

- آه .. يووووه جربت تصدق وبجد ما عمرتش فيها أكتر من يومين .. اشتغلت مدرسة فى حضانة ست أيام فى الأسبوع بمرتب 400 جنيه فى الشهر ساعتها .. حرفيًا روحت يوم واليوم التانى سيبتهم ومشيت .. الوظيفة دى لو بعشر آلاف جنيه ما أقدرش عليها .. مش شغلتى ..

- فهمتك .. أهم حاجة إن الإنسان يعمل الحاجة إللى هو بيحبها وبيحسها وبس.

***

نام الولدين .. ودخل آدم ليحصل على حمام دافئ قبل النوم .. بينما جلست ندى تُمارس عادتها المفضلة .. تختلق كذباتها المثيرة للشفقة التى لا تنفك تعرضها عبر صفحتها الشخصية على موقع التواصل الاجتماعى فيس بوك عبر الإنترنت .. ثم تقضى بقية سهرتها فى التفحص والتنقيب عن أخبار جديدة على صفحات صديقاتها ..

قامت بتحميل صورة لباقة ورود حمراء كبيرة من على الإنترنت .. ثم نشرتها على صفحتها الشخصية على الفيسبوك .. ورسمت أعلى الصورة ثلاثة قلوب حمراء .. وكتبت بالقرب منها .. ربنا يخليك ليا يا حبيبى .. يا أحلى وأحن راجل فى الدنيا كلها .. وتعيش وتجيبلى .. ثم ذكرت اسم زوجها بعد ذلك..

قامت من موضعها .. ووقفت بالقرب من باب دورة المياه .. بينما كان هو لازال يحصل على حمامه .. طرقت الباب فسمعت صوته يرد من الخلف ..

- نعم عايزة إيه ..؟

- بقولك إيه بص أنا نزلت صورة دلوقتى على الفيس بوك للورد .. إعمل نفسك إشتريتهولى النهاردة ولما تطلع رد عليه بكومنت واكتبلى انك بتحبنى فاهم ..؟

- يخربيت تفاهتك ..

- تفاهة إنت بتسمى دى تفاهة .. أنا الحق عليا إنى بعملك منظر قدام الناس.

عادت مرة أخرى إلى نفس الاريكة التى كانت تجلس عليها واستكملت رحلتها الليلية فى التطفل على الآخرين .. فتحت صفحة سارة .. وبدأت بتفحصها .. وجدت صورة حديثة لسارة واليخاندرو كانت سارة قد نشرتها لها هى وزوجها معًا .. كانوا فى حديقة يقفان بالقرب من بعضهما البعض.. ويبتسمان فقط .. وبينما هى تتفحصهم .. أتاها صوت آدم من الخلف مناديًا ..

- ندى .. ندى .. إنتى يا هانم ياللى إسمك ندى ..

- شششش هتصحى العيال عايز إيه ..؟

- عايز إيه؟؟ حصلينى يا هانم إنتى نسيتى إن النهاردة الخميس ..!!!

تكررت الكلمة .. حصلينى .. حصلينى .. حصلينى ..!!!

ابتسمت ندى ابتسامة تعلوها نظرة فخر .. ثم تركت الحاسب وركضت إليه ..

***

استيقظ مصطفى متأخرًا فى هذا اليوم .. لأنه قد حصل على إجازة مسبقًا حتى يتمكن من الحصول على قسطٍ من الراحة .. دخل إلى المطبخ.. وجد إفطاره معدًا بطريقة مسبقة وموضوعًا فى البراد كما تعود..

حصل على طعامه ثم جلس على الأريكة .. وطبق الطعام فى متناول يده .. وفى اليد الأخرى ممسكًا بكمبيوتره اللوحى .. الذى فتحه لتوه .. كان صندوق البريد الخاص بحسابه على موقع فيس بوك ممتلئًا بالرسائل .. التى كانت بالفعل جميعها من فتيات ..

- هاى أنا نونة الشقية ممكن نتعرف؟؟

- نتعرف طبعًا بس الأول أعرف إنتى طالعة شقية كده لمين ..

وهكذا بينما كانت تمضى ميزة أوقات فراغها بين القراءة وترتيب المنزل والحديث إلى صديقتها عبر الإنترنت .. اعتاد مصطفى أخوها أن يمضى أوقات فراغه عبر استخدام شبكة الإنترنت بطريقة سيئة .. وعلى الرغم من أن ما يفعله يُعتبر خيانة لمها .. إلا أنه كان يعتقد أن هذه نقرة .. وهذه نقرة أخرى .. تلك للزواج والأخريات للتسلية .. ولا مانع له أن يتبدل بين هذه وتلك .. بغرض التسلية والترفيه .. لأنه رجل .. وهن نساء ..

***

حضر اليوم الموعود .. ليلة العمر .. بل ليلة الحياة .. بداية البدايات .. ومهد الحب الجديد.. منحت ميزة أخيرًا موافقتها على الزواج من عادل .. بعد مرور فترة كافية من التعارف بينهما .. وعلى الرغم من رغبة عادل فى إقامة حفل زفاف كبير يجمع فيه بكل من عرف كلاهما فى يوم من الأيام .. إلا أن ميزة خالفته الرأى .. فكل ما أرادته هو زفاف بسيط وصغير يجمع

بين عائلتيهما فقط .. وصديقتها سارة .. هؤلاء فقط هم كل من أحبت ميزة فى يوم من الأيام ..

أرادت ألا ترى فى أهم أيام حياتها سوى هؤلاء, من أحبتهم وأحبوها .. من كانت على تمام الثقة من أنهم سوف يبادلونها السعادة .. ويمنحونها أفضل أمنياتهم ..

حفل الزفاف فى أحد الفنادق الشهيرة فى مدينة دهب الساحلية .. على الشاطئ فى النهار .. كان الطقس رائعًا .. لا هو بارد ولا حار .. فى منتصف أول بوابات الشتاء .. فى منتصف شهر أكتوبر العزيز ..

ذهب أحمد ليحمل يد ابنته ويسير معها من غرفتها إلى الشاطئ .. بدت تمامًا كالأميرة فى ذلك الثوب الأبيض الخلاب، الذى يضيق أكثر ما يضيق عند الخصر .. ثم يتسع بعد ذلك حتى يغطى قدميها .. وشعرها معكوفًا بأكمله لأعلى .. ووجهها مغطى بذلك الوشاح الأبيض الشفاف .. بدت بسيطة وجميلة وهادئة .. وبدت كذلك سعيدة ..

كانت سارة ترافقها فى غرفتها .. فى حضور هدى خالة ميزة وخبيرة التجميل ومصففة الشعر ..

- ياااه يا ميزة .. أنا مش مصدقة عينيا .. بقيتى عروسة زى القمر ..

- ربنا يخليكى ياسارة ... أنا مبسوطة قوى إنك هنا .. كنت خايفة لحسن ما تعرفيش تنزليلى ..

- إنتى بتهزرى يا بنتى .. ولو ما كنتش أنزل مخصوص عشانك .. أنزل مخصوص عشان مين .. دا إنتى صاحبة عمرى ..

- آه والله .. سبحانك يارب .. فات علينا كام سنة كده أصحاب .. ما كانش حد يتخيل إن صداقتنا هتكمل أصلًا كلهم كانوا بيقولونا أول ما هتتجوزوا هتقطعوا علاقتكم ببعض..

- مالكيش دعوة بالناس .. خلينا فيكى دلوقتى.. النهاردة يومك .. أنا مش عايزاكى تفكرى فى أى حاجة سلبية .. عايزاكى تفرحى وبس .. فاهمة ..

طرق أحدهم باب الغرفة .. كان هذا هو والد ميزة ..

- ها إدخل ..؟

- إتفضل يابابا ..

دخل مبتسمًا .. وعيناه تدمعان .. أمسك بابنته بين يديه قائلًا ...

- ياااه أنا مش مصدق نفسى بجد .. مش مصدق عينيا .. مامتك لو كانت هنا كانت هتفرح بيكى قوى .. كان نفسها تفرح بيكى جدًا .. الله يرحمها ..

- آه يا بابا ربنا يخليك .. بس إنت هنا .. وانا فرحانة إنك شايفنى ... دلوقتى .. إنت بتعيط ليه بس .. مش إنت كنت دايمًا تقولى نفسى أفرح بيكى ..

عانقها والدها ثم قال لها ..

- آه افرح بيكى .. بس ما كنتش أعرف إنى لما أفرح بيكى هزعل عشان هتسيبيلى البيت وتمشى..

- وبعدين يا بابا بجد هتخليني أطلع أفركشلهم الفرح كله دلوقتي أهو..

ضحك أحمد في لحظة .. ومسح دموعه .. ثم قال ..

- لأ لأ .. تلغي الفرح إزاي وهو لعب عيال .. دا عادل كان يروح فيها .. ألف مبروك يا حبيبتي ربنا يهنيكي عقبال لما أشيل ولادك قريب إن شاء الله ..

***

وماذا عن الأستاذ عماد ..؟؟

هو صاحب متجر البقالة المجاور لمنزل ميزة وأسرتها ... رجل خمسيني طيب القلب .. أو على الأقل هكذا يقول عليه جيرانه .. طويل القامة، داكن البشرة .. أصلع الشعر .. يشبه في هيئته الكثير والكثير من الرجال .. ولكنه وعلى طيبة قلبه يتمتع بقدرٍ كبيرٍ من الروح الفضولية .. هوايته المفضلة كانت دائمًا ولاتزال تتبع آثار وحكايا السكان من حوله .. والذين بعد مرور فترة زمنية كبيرة .. كان قد حفظ أسمائهم واحدًا تلو الآخر بالفعل عن ظهر قلب .. بل أكثر من ذلك .. أصبح الآن الأستاذ عماد صاحب متجر البقالة بعد قضاء الكثير من السنوات في متجره .. يعرف الكثير والكثير من أسرار بيوت الجيران .. بحكم سكنه القريب، وعمله هنا كذلك .. ومعرفته الوطيدة بالكثير والكثير منهم ..

كان جميع السكان المجاورون له يعرفونه جيدًا بدورهم .. ويعلمون طباعه .. حتى أنهم كانوا يلاحظون نظراته التي تكاد تخترق الحقائب البلاستيكية التي يحملونها معهم أحيانًا أثناء عودتهم إلى المنزل ومرورهم

من أمام متجره.. لعله بذلك يلمح شيئًا ما بداخل الحقيبة يؤكد له شكوكه أن فلانًا قد تجرأ واشترى بقالته من متجرٍ أخر...

فقد كان متجر الأستاذ عماد ظاهريًا بمثابة متجرًا للبقالة .. وإنما فى باطنه كان يعتبر مركزًا لنقل وتداول الشائعات والمعلومات المعروفة فى الشارع .. يمكنك أن تتفقد عنده أخبار أخر طلاقات الشارع .. وآخر زواجاته كذلك .. وأخبار أبناء الشارع ونتائجهم فى الثانوية العامة .. وغيرها من الأخبار التى يحب البعض أن يتداولها فيما بينهم ..

لطالما ربطت الأستاذ عماد علاقة طيبة بأحمد .. والد ميزة ومصطفى.. وكذلك ربطته علاقة طيبة بميزة ومصطفى .. اللذان قد اعتادا أن يتبادلا معه السلام والتحية بل وأحيانًا الكلام كذلك.

كان مصطفى فى طريقه إلى أحد المقاهى الشهيرة بحى المهندسين ليلتقى بأصدقائه .. عندما مر على الأستاذ عماد ليشترى منه السجائر .. ثم ذهب بعد ذلك فى طريقه ..

بينما استطرد الأستاذ عماد حديثه إلى إحدى زبائن متجره من الجيران .. التى كانت بالفعل تقف فى متجره تشترى بضعة أشياء فى ذلك الحين ..

- شايفة يا مدام عبير .. والله الواد مصطفى دا إبن الأستاذ أحمد .. والله شاب محترم .. وأخلاق .. ومتدين ويعرف ربنا ...دا من صغره كل جمعة بينزل مع أبوه يصلى معانا فى المسجد ويحضر الخطبة كلها كمان .. وطول عمره كده عينه فى الأرض وتشوفيه ما يرفعش عينه فى وش بنت أبدًا .. بيتكسف من خياله .. أه والله .

- والله ونعم الاخلاق يا أستاذ عماد .. دا الشباب دلوقتى بقوا حاجة تكسف اللهم احفظ ولادنا وبناتنا والله .. الواحد بقى بيسمع كلام يشيب..

- لأ لأ لأ .. ما تقوليش كده .. كله إلا مصطفى .. دا متربى على إيدى آه والله .. دا أهله ناس محترمين وامه الله يرحمها كانت سِت كُمَّل تتحط عالجرح يطيب .. دا أنا لو عندى بنت والله العظيم ما كنت اتكسفت وروحت طلبت منه يتجوزها .. كنت قلتله خدها ببلاش كده... أمال إيه دا مصطفى دا ابنى واكتر من ابنى كمان ..

- ربنا يخليه لأهله ..

قالتها بنبرة ملل .. ثم وضعت يدها فى حقيبتها لاستخراج بعض المال .. ثم استطرد هو بالحديث بنبرة يعلوها الفخر ..

- طب إنتى عارفة يا مدام عبير .. أقولك على حاجة .. مصطفى دا أنا إللى مجوزه .. آه والله .. هو آه لسة ما إتجوزش بس لولايا ما كانش عرف يخطب .. أصل ديك النهار لما أبوه راح يخطبله أبو العروسة واخوها جم لحد عندى هنا وسألوا عليه وعلى أخلاقه هو وأهله .. بس أنا قلتلهم كلمة الحق ... قلتلهم مصطفى دا طول عمره ماشى سليم وشاطر فى دراسته وعمرنا ما سمعنا عنه حاجة وحشة و أهله بياكلوا فراخ ولحمة طول السنة.. وقلتلهم كمان إنه واد كُمَّل و زى الفل وخجول جدًا آه والله .. حتى السجاير ما مسكهاش إلا على كبر، وما يدخنش قدام أبوه ابدًا.

- ربنا يقدرك على فعل الخير يا أستاذ عماد ..

وهكذا قد تُذهلك تلك التفاصيل العجيبة الغريبة .. التى قد يستأثر بها لنفسه رجلًا يعمل فى مثل موقعه .. والتى تبدأ من متابعته لهوية

الأشخاص الزائرين لكل بيت من بيوت السكان .. وتنتهى عند ما الذى سوف تتناوله كل أسرة اليوم على الغداء ..

وهكذا أيضًا .. ومن قلب مجتمع مولعً بالمظاهر .. ومن قلب رجل يشعر بالكثير والكثير من الدونية التى تدفعه لاعتبار مرور أحد الجيران بالقرب منه دون إلقاء التحية جريمة يُحرمها القانون .. أصبح الأستاذ عماد يُقيم كل إنسان طبقًا لمعاييره هو الخاصة .. هذا إنسان ذو خلق، لأنه لا ينسى أبدًا إلقاء التحية عليه أثناء مروره .. وذاك يفتقد للكثير والكثير من التربية، لأنه أحيانًا يعبر دون إلقاء التحية ..

هذه أسرة رفيعة المستوى، لأنها تتناول إما وجبة من الدجاج أو وجبة من اللحم كل يوم .. وتلك الأسرة عكسها تمامًا .. لأنهم يتناولون أطباقًا مثل الكشرى والعدس وغيرها ..

وهكذا أيضًا .. قد تذهلك حقيقة أن مستقبل فتاة بسذاجة وبراءة وطيبة قلب مها .. كان ولازال وسيظل دائمًا مستقبلها متوقفًا على كلمة تخرج من فم رجل مثل الأستاذ عماد ..!!!

نعم .. إنها الحقيقة ..!!

***

مها .. هى تلك الفتاة العادية جدًا .. البريئة .. او بالأحرى التى كانت بريئة .. كانت كذلك قبل أن تُعقد خطبتها على مصطفى .. تبلغ من العمر اثنان وعشرون عامًا .. ولازالت لم تختبر فى حياتها ولا قصة ارتباط عاطفى واحدة .. صدقًا .. لم تفعلها على الرغم من أنه لطالما كان أمرًا متاحًا وملقىً أمام عينيها .. إلا أنها لم تفعلها .. لأنها كانت ولازالت تكره أكثر ما

تكره فى الحياة فكرة أن تقدم على فعل شىءٍ فى الظلام .. الحياة فى الخوف .. وكيف لحبٍ نقيٍ وصادقٍ وحقيقىّ أن يولد فى رحم الظلام ..

إن المشاعر الجميلة فقط هى تلك التى تزورنا فى النور .. هكذا كانت تظن هى .. حتى تعثر بها مصطفى صدفة فى زفاف إحدى أصدقائه .. ومنذ أن وقعت عيناه عليها قرر الزواج منها.. ذلك وأن شابًا قد تقلب فى الحياة يمينًا ويسارًا.. وقضى وقتًا ليس بهينًا فى تجربة كل شىء وأى شىء .. أصبح يتمتع الآن وعلى صغر سنه هو الآخر بعينان فاحصتان .. يكاد يعلم من النظرة الأولى فقط طبيعة و معدن كل فتاة .. أخبرها أنه طلب الزواج منها لأنه وقع فى حبها منذ النظرة الأولى .. إلا أنه وفى الحقيقة لم يقع فى حبها هى .. بل وقع فى حب أخلاقها .. وطيبة قلبها .. أو بالأحرى قد يكون وقع فى حب تلك السذاجة التى كانت تُطل من عينيها بوضوح، لقد عَشِقَ مصطفى سذاجتها التى نبأته أنها ستعمل على تسهيل مهمته فى السيطرة عليها فيما بعد..

أما عن مها .. الفتاة التى لا تنام بسبب وجع الضمير .. إن ضميرها يقتلها الآن .. تشعر بالانحطاط .. تشعر بالتدنى .. والأكثر من ذلك تشعر بالتناقض .. كيف فقدت هويتها إلى هذه الدرجة برفقتك يا مصطفى ..؟؟ لقد حصلت على فتاة بريئة وحولتها إلى فتاة تفتقر إلى العفة .. هكذا كانت هى .. فتاة بلا تجارب .. نشأت على أسلوب تربوى محافظ .. وكَبُرَت لتعرف أن تلك النشأة وتلك التربية وتلك الأوامر المشددة بالاحتفاظ بالدين كانت فقط سارية فى الصغر .. أما فى الكبر .. اختلف الأمر .. أمسى على الفتاة الآن أن تُحارب لأجل الفوز بنصيبٍ جيدٍ من الزواج .. كانت مها خاطئة وتعلم أنها هى ومصطفى مخطئون .. لدرجة أنها انقطعت عن الصلاة .. أصبحت تستحى من لقاء ربها الآن بعد أن كانت فى الماضى لا تترك ركعة ..

إنها نفس الفتاة التى كانت فى الكثير من الأحيان تحرص على أداء صلوات السُنة كلما سنحت لها الفرصة بالماضى ..

ضاق بها الحال .. وضاق عليها صدرها .. ولم تكن تعرف إلى من يمكنها أن تشكو سوء خلق مصطفى .. فكرت أن تُخبر أخته ميزة .. إلا أنها عادت عن قرارها فى نفس اللحظة .. ولا تعلم السبب .. هل تكون مها قد استحت من ميزة .. أم فقط تكون خافت من ردة فعل مصطفى عندما يعلم أنها قد كشفت أمره أمام أخته الكبرى، التى يعتبرها بمثابة أمًا له ..؟؟

لقد توصلت إلى حل وسط .. اتصلت مها بخالة مصطفى وقررت أن تذهب لزيارتها فى البيت .. ثم أخبرتها عن كل ما تفعله هى ومصطفى معًا .. أخبرتها بالحقيقة وهى تبكى بحرقة من فرط الخجل .. ومع ذلك كان رد فعل خالته، غريبًا جدًا من امرأة فى مثل عمرها ومكانتها ..

- يا عبيبيطة .. حد يقول كده .. وانا اللى لما كلمتينى اتخضيت وحطيت إيدى على قلبى، وقلت دى أكيد مشكلة كبيرة .. بطلى عياط بقى ما تزعلينيش منك .. وهى فين المشكلة دى يعنى.. دا بيعمل كده من مشاعره ... أه والله .. مشاعره .. عارفة بيعمل كده عشان بيحبك، لو ما كانش بيحبك ما كانش طلب يعمل معاكى الحجات دى.. انتى بس إلى مزوداها حبتين .. شكلك هبلة وخام وما تفهميش فى حاجة ..

يووووه .. طب بطلى عياط بس خلينى أعرف أتكلم معاكى .. إنتى عايزانى يعنى أقولك تقوليله لأ ..؟؟ عشان يروح يبص لبرا ويسيبك .. أنا عمرى ما هقولك كده عشان أنا بخاف عليكى وانتى زى بنتى بالظبط .. يا حبيبة قلبى لازم تعرفى إن البنت الشاطرة هى إللى تعرف توقع الواد

وتربطه بيها وتفضل فى نفس الوقت محافظة على نفسها برضو .. أمال إيه .. إنتى لازم تخليه ما يعرفش يستغنى عنك ابدًا ..

- أيوه يا طنط .. بس دا كده حرام قوى .. ما ينفعش .. حرام وعيب ..

- يا حبيبتى إنتى سهل عليكى تقولى كده عشان إنتى بنت .. إنما هو راجل .. هما غيرنا .. إنتى لازم تعفيه وتصونيه .. وخليكى حاطة فى دماغك كده إن إللى إنتى بتعمليه دا بتخليه ما يبصش برا وعشان تضمنى إنه يفضل معاكى .. وبعدين بكرة إن شاء الله لما تتجوزيه وتبقى فى بيته إبقى ساعتها توبى براحتك .. إنما دلوقتى لأ .. هو حد لاقى عرسان .. وبعدين مصطفى دا متربى على إيدى .. أنا عارفاه دا طول عمره طيب وقلبه أبيض وميح هو كمان .. فيها إيه يعنى لما يتشاقى معاكى شوية .. ما إنتوا فى فترة الخطوبة ودا وقتكم .. وهى دى أحلى فترة وأكتر فترة كل العرسان بيتشاقوا فيها ..

- يا طنط بس ..

- بلا بس بلا ما بسش .. إعقلى كده .. أنا يعنى عليا من الكلام دا بإيه.. مانا ممكن دلوقتى أقولك اعترضى وقوليله لأ ومش لأ وعيب وحرام .. وكلها كام يوم ويسيبك ويروح يدور على غيرك ودا شاب زى الورد وهيلاقى بدل الواحدة ألف يا حبيبتى .. وبعدين النصيحة دى بقى مش عشان مصطفى ولا مش مصطفى أنا بنصحك لوجه الله .. اه ما إنتى لو كملتى على كده هتعنسى ياختى وهتقعدى جنب أمك فى البيت .. المبادئ بتاعتك دى ما بتأكلش عيش دلوقتى عشان تبقى عارفة يعنى .. البنات كلها حالها واقف وعلى قفا من يشيل .. والعرسان قليلين ودا سوقهم .. هتقوليله لأ

النهاردة هيقولك هاتى دبلتى وحاجتى وهيروح دوغرى يخبط على أول باب قدامه..

- بس دا بيتعصب عليا فى الشارع يا طنط وبيزعقلى وساعات كمان بيشتمنى أنا وأهلى وانا بتحرج جدًا وساعات كتير بعيط ...

- معلش يا حبيبتى بكرة بعد الجواز يتغير..

تلك العبارة الشهيرة التى لطالما تراوحت ما بين " إستحمليه دلوقتى بكرة بعد الجواز هيتغير " و " معلش هو طايش ومجنون وبكرة بعد الجواز هيعقل "، " خديه بايظ وبكرة بعد الجواز حاله هيتعدل " .. جميعها كانت دائمًا ولازالت عبارات مختلفة فى الكلمات .. موحدة فى المعنى .. ولكم دمَرَت تلك العبارة بيوتًا .. ولكم أتعست من حيوات .. ومع ذلك .. لازالت تلك العبارات متداولة حتى يومنا هذا .. تتداولها النساء وتتناقلها فيما بينهن حتى يتأكدن من وصول تعاستهن المغلفة من واحدة إلى الأخرى فى دائرة مفرغة بلا نهاية، تلك التعاسة العذبة التى فى ظاهرها فستان الزفاف الأبيض .. وفى باطنها العذاب ..

ومن أخبركِ عبثًا يا حواء أن بوسع رأس البصل أن تتحول فجأة إلى تفاحة رائعة المذاق وجميلة الحمرة بمجرد وضعها فى البراد ..!!

ومن أخبركِ عبثًا يا سيدتى أن بوسع ذلك الحِمار البسيط، الذى لاحول له ولا قوة أن يتحول فجأة إلى حصان عربى أصيل .. رشيق القوام.. جميل الطلعة بمجرد حصوله على بقعة مميزة فى إحدى إسطبلات الخيل الشهيرة..!!!

ومن أخبركِ عبثًا يا سيدتى أنه بوسعك التغاضى عن مذاق وأضرار الطعام الفاسد بمجرد طهوه والإغداق عليه بالكثير والكثير من التوابل.!!!

وهكذا من أخبرك يا عزيزتى أن الزواج ساحرة عملاقة تستطيع بضربة واحدة من عصاها السحرية أن تحول رجلًا فظًا إلى أمير ساحر لَبِق طيب القلب ..؟؟ ومن أخبرَكِ يا عزيزتى أنه بمقدور مجرد جرة قلم فى توقيع الرجل لعقدٍ بالزواج أن يُغير خصاله السيئة المتأصلة فى أعماقه منذ الصغر ويحولها فجأةً إلى حسنات ومميزات؟؟

يا عزيزتى إن البشر لا يتغيرون ... وإنما هى أعيننا فقط هى التى تُجملهم لتغيب عقولنا وتُعمينا عن الحقيقة عندما نكون فى أمس الحاجة إلى تلك الكذبات التى سوف تساعدنا على البقاء حولهم ..

وهكذا يبقى السؤال .. أو بالأحرى التساؤلات .. حول من أخبرَكِ يا حواء .. ومن أخبركَ يا آدم .. أن الزواج هو مباراة كبرى للتغيير؟؟ يتصارع فيها الطرفين لإحداث أكبر أثر من التغيير على حياة الآخر ..

تتصارع حواء على إجبار خاطِبُها على ترك الدخان .. والمواظبة على الصلاة، التى فى أغلب الأحيان تكون هى نفسها لا تواظب عليها كذلك .. ولكنها تفعل ذلك بحكم العادة .. العادة الجماعية التى تحولت مع الزمن إلى تيار يتبعه بطريقة لا إرادية الكثير والكثير من البشر ..

أما آدم .. يتصارع لفرض سيطرته .. لتغييرها كذلك ولكن للأقبح بالفعل .. فيبدأ فى خوض معركة العزلة التى تنقسم على ثلاث مراحل .. فيفرض على فتاته أولًا ارتداء ملابس معينة ثم تَشرد عيناه بعد ذلك وهو

معها بعيدًا ينظر على الأخريات اللاواتى يرتدين ملابس أكثر وضوحًا من ملابسها هى .. التى ويالللغرابة قد انتقاها لها هو بنفسه ..

يأمرها بالانفصال عن صديقاتِها .. ثم يُكِنُّ بعد ذلك حقدًا دفينًا لأقربهن إليها .. ويضع التفريق بينهن هدفًا واضحًا نصب عينيه .. بحجة أنهن يَغَرنَ منها .. لأنها كانت الأوفر حظًا منهن فى العثور عليه .. كما لو كأن مجرد كونه ذكرًا فى حد ذاته .. يعتبر إنجازًا يُحسد عليه .. وتُحسد النساء لوجوده بقربهن ..

وهكذا .. وبعد أن يقود الرجل معركته بنجاح فى عزلها عن العالم .. من خلال تحديد ملابسها تارةً .. ومن خلال قطع صلاتها بصديقاتها تارةً أخرى .. يدير وجهه إلى أخر الخيوط المتبقية لها .. عائلتها .. أسرتها.. المكان الذى قد خرجت منه هى إلى الحياة .. يعزلها عن الناس اللذين قد أحبوها أكثر من أى شيءٍ أخر فى العالم .. فينجح فى التقليل من زياراتها إليهم شيئًا فشيئًا .. حتى ينتهى بها الحال أن تجد نفسها وبعد سنوات وحيدة بين أربعة جدران .. ليس لها منفذ .. ولا مخرج .. ولا ونيسًا سواه.. وفى تلك اللحظة .. التى لطالما حارب هو لأجل الوصول إليها كثيرًا .. يدير وجهه عنها ويتهمها بحب الحزن والكآبة الدائمة .. ويبدأ بإقناع نفسه أنه تعيسًا وقع ضحية المجتمع .. ثم يجوب فى عالم الاوهام يروج لفكرة أنه مظلوم مع زوجته .. ثم ينتهى به الحال ليلقى بنفسه بين أحضان أول امرأة أخرى تعبر طريقه ..

يُقال أن اللعبة تبقى دائمًا كما هى .. فقط يتغير اللاعبون ... وهكذا بيد أن هذه المقولة فى محلها .. لما تحتويه القصة الوحيدة التى يعيشها

الجميع من هزلية بائسة تُكرر نفسها ولكن فقط فى وجوهٍ مختلفةٍ عبر أزمنةٍ مختلفة ..

أما عن الفائز فى مباراة التغيير الكُبرى .. التى لطالما اعتاد الجميع على لعبها مع الجميع .. فبوسعى أن اقول أن هذه المباراة بالتحديد لا فائز بها .. وإنما فقط خاسرون .. كلا الطرفين دائمًا خاسر.. ذلك وأننا لا نُغير من نُحب .. وإنما نتغير لنُحب .. نتغير لنحبهم كما هم ... نُحبهم لما يمتلكون من مميزات ومن عيوب .. نعم .. نحبهم لما يملكونه من عيوب تمامًا مثلما نحبهم لما يملكونه من مميزات.. وهذا هو الحب الصادق ياعزيزى .. أما عندما تقرر الاقتران بامرأة تحبها على أمل أن تغيرها فيما بعد لأنك تعجز عن تقبل عيوبها الحالية .. إذًا فاعلم جيدًا أنك لا تحبها .. لأنك إن كنت أحببتها لكنت تركت لها بريقها .. فبريق الإنسان دائمًا ما ينبع من طبيعته التى هو عليها .. وليس من تلك الطبيعة التى يحاول عبثًا التشبه بها.

***

كان يقترب .. خطوة فأكثر .. خطوة تلو الأخرى .. وصوتًا ما بداخله .. يطير فرحًا ويؤكد له أنه فى الواقع .. أنه على أرض الواقع ... أن هذه اللحظة حقيقية وليست حُلمًا .. لا يعرف كيف أو لماذا تذكر الآن قصة سندريلًا .. أو بمعنى أخر تذكر مشهد سندريلًا وهى ترتدى الفستان الرائع الذى قد جلبته لها الساحرة حينها .. يااااه ميزة شبه سندريلا النهاردة .. هكذا كان يراها .. وهكذا هى فعلًا بدت .. بل العجيب فى الأمر أنه قد اتضح له أخيرًا .. أن قصة حياته كثيرة الشبه بقصة سندريلًا، التى اعتادت أن تخطف قلوب وعقول الفتيات الصغيرات قديمًا .. فهو الرجل الذى لطالما اعتاد أن تُلقى النساء بأنفسهن تحت أقدامه .. إلا أنه لم يختر سوى

الأفضل.. ولم يقع سوى فى حب الأفضل .. الأفضل والأجمل معًا .. أو على الأقل كان هو لفرط حبه بها يراها أجمل جميلات الكون ..

اقترب عادل من عروسه .. ليتناول يدها من والدها .. رفع عن وجهها شالها الأبيض .. وَقَبَّلَ جبينها .. ثم وضع كفيه حول وجهها .. سالت على وجهه دمعة خفيفة .. وهو يضحك بشدة ويقول ..

أنا مش مصدق نفسى .. معقولة أنا أتجوز القمر دا .. بجد أنا مش مصدق نفسى إنى لقيتك .. ربنا يخليكى ليا أنا هخليكى أسعد واحدة فى العالم ..

سلم عادل على والد ميزة .. الذى قد سَمِعَ لتوه كلمات زوج ابنته الرائعة .. واطمئن وآثر الذهاب للجلوس بعيدًا على طاولته .. بالقرب من مصطفى ومها وأسرتُها، التى وصلت من القاهرة خصيصى لحضور الزفاف الصغير..

كان عادل يطير من الفرح .. وميزة كذلك .. كان كلاهما قد بلغ درجة من السعادة جعلت عيناهما لا ترى أيًا من الحضور .. كانا لا يريان سوى بعضهما البعض .. ولا يكترثان بأيٍ من الحضور كذلك .. لا يعبآن من يتحدث ومن يقول ما .. ولا يعبآن لأى شىء سوى ببعضهما البعض .. فقط تركا أنفسهما لتيار السعادة .. الذى قد جرفهما بعيدًا عن الجميع فى ذلك اليوم.

بينما كانت سارة وزوجها يجلسان على طاولتهما .. يتبادلان نظرات الحب فيما بينهما .. كانت مها تترقب فى غضبٍ مكتوم عينا مصطفى، التى

كانت تتفحص أجساد جميع النساء الأجنبيات الموجودات بالفندق .. اللواتى قد تجمعن لمشاهدة وتصوير حفل الزفاف ..

أما عن ندى كانت تجلس فى صمت هى الأخرى .. حيث كان وضعها لا يختلف كثيرًا عن وضع مها فى ذلك اليوم .. إلا أنه قد يكون أسوأ قليلًا .. فقد كانت بين كل دقيقة وأخرى تلتفت وتعنف زوجها والابتسامة المصطنعة لا تُخفى من على وجهها .. إنت بذمتك دا منظر تيجى معايا بيه.. فضحتنى وخليت كل الناس تتفرج علينا .. مش كنت فكيت كيسك شوية وروحت جبتلك زفت بدلة جديدة .. يا عالم .. يا هووه هصوت واشد شعرى مش كفاية إنك مش دافع مليم فى سفريتنا من القاهرة لحد هنا وإن ماما هى إللى دفعتلنا كل حاجة كمان مش هاين عليك تجيبلك حتة بدلة تشرفنى بيها .. بقى فى حد يروح مناسبة وهو لابس بدلة فرحه إللى بقالها كام سنة متخزنة .. يادى الفضايح ..

أعلن صوتًا فى الأجواء دعوة مفتوحة لمشاركة العروسين الرقصة التالية .. لجميع الأزواج .. وهكذا قفزت سارة واليخاندروا إلى ساحة الرقص .. وتبعتهم ندى وآدم بخطوات مسرعة .. بينما رفضت مها مشاركة مصطفى الرقصة .. ولم يتحرك كلاهما من على الطاولة ..

همس اليخاندرو فى أذن سارة فى تلك اللحظة .. يسألها ..

- أليست هذه هى صديقتكم الشريرة التى تتحدثون عنها دائمًا؟؟

- نعم هذه هى .. ولكن لِمَ تسأل؟؟

- لا أفهم إن كانت هى شريرة .. ولا تحب ميزة .. إذًا لِمَ تدعو ميزة شخصًا ما هى تعلم أنه لا يحبها إلى زفافها ..؟؟

- لقد خجلت منها .. كما أننا نعلم جيدًا أن آدم زوجها بخيل جدًا .. لذلك أنا وميزة ظننا أننا حتى وإن دعوناها لن تأتى .. لأنه لن يقوى على تحمل تكاليف الإقامة فى هذا الفندق لمدة يوم واحد حتى .. ولكنهم فعلوها وحضروا .. انظر كيف تنظر إلينا ... إنها تمتلك نظرة شريرة جدًا.

- نعم .. معكِ حق .. لقد عرفتها من نظرة عينيها ..

***

هو لم يخبرها يومًا عن سر كراهيته للنوافذ .. أو بالأحرى عن سر خوفه القاتل منها .. كان فقط يكتفى بملاحقتها فى البيت .. وإغلاق كل نافذة تقوم هى بفتحها مبكرًا .. كان لا ينام ولا يغمض له جفن إلا بعد أن يتحقق من كل النوافذ و يتأكد من أن جميعها مغلقة عن آخرها ..

لا يعلم لماذا إرهقه إخفاؤه لهذا الأمر عن زوجته كثيرًا.. نظر بالقرب منه .. فوقعت عيناه على وجهها النائم .. ثم راح ينظر إلى تلك النافذة المخيفة .. الموجودة فى غرفته .. لكم كان يتمنى أن يُغلقها تمامًا وإلى الأبد بالحجارة .. تلك النافذة اللعينة، التى لطالما أرقت مضجعه وحرمته النوم فى ليالٍ كثيرة بالفعل منذ أن تزوج .. نظر إلى وجه ميزة مرة أخرى .. كان يشعر بالقلق كثيرًا فى هذه الليلة لسببٍ هو نفسه لم يعرفه بعد .. تابع النظر إلى وجه زوجته النائمة بينما كان يتذكر النافذة الصغيرة التى كانت موجودة فى غرفته فى بيته القديم .. تلك النافذة المطلة على المنور الداخلى للبناية .. ذلك المنور الذى لطالما امتلأ بالكثير والكثير من الفئران والسحالى.

كان عادل قد قضى عمرًا بأكمله وهو على قناعة أن وراء كل نافذة دائمًا يوجد الكثير والكثير من الوحوش الصغيرة والمخيفة، التى تبقى دائمًا فى الظلام .. تتربص أن يفتح لها الباب حتى تدخل وتستوطن بيته .. وهكذا كبر عادل ومرت السنوات ومع ذلك لم ينس أبدًا صوت أمه عندما كانت تنهاه عن فتح أية نافذة .. إوعى تفتح الشباك لحسن الفار يعضك ولا السحلية تقرصك .. هذا الصوت الذى لا ينفك يتكرر فى ذهنه فى كل مرة ترى فيها عيناه نافذة .. هكذا ترسخت تلك العبارة بصوت أمه فى ذهنه .. وترسخت معها كذلك مخاوفه الكبرى فى قلبه ..

نظر مرة أخرى إلى زوجته وطلب من الله ألا يفتضح أمره أمامها .. وألا يفتضح أمر خوفه المرضى من الفئران والسحالى .. تمنى ألا يدخل بيته الجديد إحداهم أبدًا .. تمنى ألا تضعه الأقدار فى مواجهة مثل تلك أمام أعين زوجته أبدًا ..

أراد عادل أن يخبئ خوفه عن زوجته .. لم يردها أن تكتشف أمره أبدًا .. ولكم أَسَرَّتها ميزة فى نفسها .. تلك المرات الكثيرة التى كان يلاحقها هو بأوامر إغلاق جميع النوافذ .. فقد كانت هى ترى كل نافذة كمصدرًا من مصادر الضوء والهواء المنعش والحياة .. وهو يراها مصدرًا لكل تلك الوحوش العجيبة الغريبة، التى يصيبه مجرد تخيل مشهد المواجهة بينه وبين إحداها بحالة من الهلع الغريب ..

ولو أخبر عادل زوجته عن خوفه وهلعه .. لاختلف الامر كثيرًا .. لاختلف للأفضل بالطبع.. ولكن ماذا بوسع رجل شرقى يرى فى خوف الرجال خطيئة كبرى تعيبهم وتنتقص من رجولتهم .. تُرى ما الذى كان

يتوجب عليها فعله لأجل إقناعه بالتخلص من إحدى معتقداته التى نشأ عليها ولا تملك هى أدنى فكرة بشأنها ..!!

***

كان هذا هو الشهر الرابع .. نعم .. الشهر الرابع .. فلقد مضى على زواج عادل وميزة ثلاثة أشهر بالفعل .. قد اختبر كلاهما خلال تلك الفترة أقصى مشاعر السعادة .. التى من الممكن أن يختبرها إنسان ما .. حتى أن ميزة كانت قد بدأت تظن أن زوجها عادل ليس برجلٍ عادى .. وإنما هو هبة قد مُنِحَت إليها من السماء .. بدأت تظن أن هناك خطبًا ما فى هذه السعادة ..

كان عادل فى العمل .. يجلس فى مكتبه عندما شرد بذهنه وتذكر ذلك اليوم .. فى فترة خطبته لميزة .. عندما وجد نفسه مرتاحًا لأول مرة منذ زمنًا أن يروى لشخص ما قصة تعرضه للخيانة من خطيبته الأولى .. التى اكتشف بعد فترة أنها كانت ترافق شابًا أخر أثناء معرفتها به ..

تذكر عادل رد ميزة المقنع جدًا .. والمريح جدًا .. والمقلق جدًا فى نفس الوقت.. عندما قالت له حينها بكل هدوء ..

بص يا عادل .. أنا الكلام إللى إنت حكيته دا فرحنى جدًا .. هقولك ليه .. تعالى نتخيل دلوقتى إنى جيبتلك طبق مِش وطبق بسبوسة .. لو إنت كلت معلقة البسبوسة الأول هتقول آه طعمها كويس .. بس لو كلت معلقة مِش وبعدها على طول معلقة بسبوسة هتحس إن البسبوسة حلوة جدًا .. وهتفضل عمرك كله عايش فرحان إنك كلت مِش الأول لإنك لو ما كنتش كلته الأول ما كنتش هتقدر تِقَدَّر قيمة البسبوسة .. والعكس صحيح ..

- مش فاهمك عايزة تقولى إيه؟؟

- هوضحلك .. يعنى الإنسان دايمًا عشان يعرف يقدر قيمة ومعنى التجربة الحلوة لازم يمر بتجربة وحشة الأول .. وبكده بيكون ربنا خصص لكل إنسان نصيب من التجارب .. نصها حلو ونصها وحش .. الناس إللى ربنا بيحبهم بياخدوا نصيبهم من التجارب الوحشة فى نص حياتهم الأول .. عشان بعد كده يقضوا عمرهم كله فرحانين بالنعمة إللى هى طبعًا التجربة الحلوة .. إللى ما كانوش هيعرفوا يحسوا بحلاوتها من غير المرور بالتجربة الوحشة قبلها ... والعكس صحيح بمعنى .. الشخص إللى مش محظوظ ربنا بيبعتله التجربة الحلوة الأول .. ولما هو بيثبت عدم جدارته بيها .. ومش بيقدر النعمة وبيتنمرد عليها .. ربنا بياخدها منه وبيبدله بدالها تجربة سيئة .. وساعتها بيكون إتكتب عليه يقضى بقية حياته فى الندم على النعمة إللى فرط فيها فى يوم من الأيام ..

تذكر ذلك اليوم .. وذلك الكلام .. كلام ميزة، الذى قد أقلقه بقدر ما أثار الرُعب والقلق بداخله .. ماذا إن كانت محقة فيما تظن .. إذًا فسوف يبقى السؤال دائمًا .. أين هى تجربتك السيئة يا ميزة .. هل يُعقَل أن تكونى قد كذبتى عليه بشأن عدم مرورك بأى تجربة ارتباط قبلًا ..؟؟ إن كانت معادلتِك صحيحة التكوين .. فسوف تظل دائمًا الكفة غير متساوية بينه وبينك .. فلقد مر بكلا التجربتين .. السيئة والجيدة .. أما أنتِ ..؟؟ فلا يعرف ..

هل أنا أول رجل فى حياتِك صدقًا .. هل يجب أن أصدق هذا الحديث..؟؟ هل يعقل أن امرأة فى مثل عمرك لم يعبر على قلبها رجلًا قبلى؟؟ هكذا فكر عادل ..

عاد عادل من العمل فى هذا اليوم وقد جلب فى يده قفصًا كبيرًا يسكن بداخله عصفورين صغيرين .. كهدية لزوجته التى كان يعلم جيدًا أنها تعشق الطيور أملًا فى أن تنال الهدية إعجابها وتهيئ له المجال فى مصارحتها بما يجول فى خاطره .. إلا أنها أخذتهم منه بيدٍ ثم فتحت باب القفص وأطلقتهم للحرية باليد الأخرى ..

فكان تعليقه يُبدى شيئًا من الغضب ..

- إيه دا .. إنتى عملتى كده ليه ..؟؟ طيرتيهم ليه؟؟ حد يعمل كده، أنا جايبهم عشانك تقومى تطيريهم ..؟؟

نظرت إليه وهى تضحك ..

- أيوه بطيرهم يا عادل .. تقدر تقولى إيه المتعة إللى أنا أو إنت أو أى إنسان تانى ممكن يكتسبها من إنه يتفرج على كائن مسلوب الإرادة ومسلوب الحرية .. بياكل وبيشرب أى حاجة إنت بتقدمهاله بس لمجرد إن ما عندوش حل تانى ..؟؟ هما هياكلوا أى حاجة أنا هحطهالهم مش عشان هى عجباهم لأ بالعكس عشان هما ما عندهمش الحرية إللى تخليهم يطلعوا يدوروا على أكلهم لنفسهم ..

- أولًا دول عصافير مش بشر .. ثانيًا إنتى مش واخدة بالك إنى جايبلهم أكبر قفص عند الراجل ..

- ولو .. مهما كبر القفص هيفضل برضو فى النهاية قفص .. هيفضل برضو فى النهاية سجن .. وإيه المتعة من إنى أتفرج على كائن حر فى قفص كبير.. وكونه قفص كبير وشكله حلو دا ما يغيرش حقيقة إنه برضو سجن.. إنت بتتكلم عليهم بتقولى دول عصافير مش بشر .. كأن ربنا ما خلقلهمش

روح زى إللى خلقهالنا .. وكأن حب الحرية اقتصر بس على الروح البشرية.. بس كلامك غلط .. حب الحرية دا نزعة موجودة جوا كل روح ربنا خلقها على الأرض .. ومش من حقك إنت كإنسان عشان إنت إنسان وربنا سخرلك حجات كتير لخدمتك وأكرمك بالعقل إنك تطغى وتسلب الكائنات التانية اللى هما أضعف منك حقها فى الحرية وحقها فى الحياة ..

- يا سلام .. وهو أنا يعنى وحش وشرير وانتى إللى طيبة .. إنتى ليه محسسانى إنى بلاقى الفلوس فى الأرض ولا بسرق .. أنا بشتغل وبشقى يا هانم بالفلوس دى .. ولعلمك هقولك على حاجة أنا غلطان وأستاهل ضرب الجزمة أصلًا إنى فكرت أجيبلك هدية ..

- شايف هو دا الفرق بيننا .. إن إنت بالنسبالك دى مسألة فلوس .. وبالنسبالى أنا مسألة حرية .. وبعدين ممكن أعرف إنت ليه متعصب؟؟ متنرفز ليه؟؟ يعنى هل أنا مثلًا ست مبذرة وباخد منك الفلوس برميها فى الأرض ..؟؟ إنت إللى أسأت اختيار الهدية ودا مش ذنبى طبعًا .. إنت من ساعة ما عرفتنى وعارف إنى بحب أتفرج على العصافير .. وبهتم بيهم وبحبهم .. بس سعادتى بيهم وهما أحرار بييجوا بمحض إرادتهم ياكلوا من بيتى أكبر بكتير من سعادتى بيهم وهما بياكلوا غصب عنهم عشان ما عندهمش حرية الخروج والبحث عن أكلهم بنفسهم .. ومن وجهة نظرى .. إن لقمة مغموسة بالتراب والتعب والحرية .. أشرف بكتير من لقمة نضيفة ومتوضبة وجاهزة للأكل بس للأسف ما تقدرش تاكلها غير وانت فى السجن..

- أه معلش يا ستى أصل أنا راجل جاهل .. أصل أنا ما بفهمش .. وانتى إللى بتفهمى وبتحسى .. أنا وحش وبحب الحبسة والمحابيس وانتى بتحبى الحرية ..

- مش ممكن إنت شكلك جاى تتلكك عشان تتخانق معايا .. أنا حاسة إنى بتكلم مع حد ما بيسمعنيش ..

- أه وكمان ما بسمعكيش .. معلش أصل أنا أطرش .. أصل أنا أطرش.. قوليها دى كمان .. ساكتة ليه قوليها ..

لم تكن ميزة تملك من عمق البصيرة ما يكفى حتى تفهم سبب ضيق عادل من إطلاقها لسراح العصفورين اللذين قد جلبهم عادل لتوه إلى البيت بهذه الطريقة .. عادل الذى لم يشعر بالإهانة لأجل المبلغ الذى قد صرفه على العصفورين، وإنما شعر بالإهانة لأن ميزة قد رفضت لتوها درسًا هامًا من دروسه الرجولية .. هو الذى كان يعلم جيدًا أنها تحب العصافير الحرة .. اشترى لها العصفورين فى قفص يكبر حجمهم بمئات المرات .. فقط ليلقنها درسًا جديدًا عن الحب .. وهو درسًا عن الحب فى قفص .. و عن إمكانية الحياة فى قفص .. وتناول الطعام وقضاء الحاجات فى قفص كذلك .. كان عادل يرى فى ذلك القفص الكبير المزخرف .. صورة أخرى عن بيت الزوجية .. أو بالأحرى عن قفص الزوجية كما كانوا يقولون فى الأفلام .. ذلك القفص الذى قد حاول هو جاهدًا أن يُبقى عليها بداخله قدر المستطاع ..

لقد كان عادل كمن يحاول فى بؤس أن يمد يده إلى الفضاء ويلتقط عصفورًا بريًا حرًا ليرغمه إرغامًا على التعود على حياة الأقفاص .. لم يكن هو أيضًا باستطاعته أن يفهم أنه ليس بوسع الطيور الحرة .. السابحة فى

الفضاء .. أن تتعلم استخدام قدميها لأجل السير جبنًا إلى جنب على الأرض مثل البشر المقيدون بأقدامهم وبقوانين الجاذبية ..!!

شعرت ميزة بالضيق بينما كانت لاتزال لا تفهم حقًا سبب غضبه .. لقد عاد من العمل وهو غاضب عن أخره .. أنا مش فاهمة هو لو عنده مشكلة فى الشغل يطلعها على دماغى ويتلكك فى خناقة ليه .. ما هو ممكن يقعد يحكيلى عنها ونتكلم أسهل، إيه القرف ده ..

عَلِمت أنها لو حاولت التحدث إليه بأى شكل من الأشكال سوف يفور فى وجهها فى تلك اللحظة .. ويتحول الخلاف البسيط إلى مشكلة كبيرة .. لذلك آثرت الجلوس فى أحضان أحد الكتب عن الجلوس فى أحضان زوجها الغاضب .. تركته فى غرفة الجلوس وذهبت لتقرأ على كرسى القراءة الخاص بها الذى جلبته معها من بيت أبيها إلى بيتُها الجديد .. وآثرت وضعه بالقرب من المكتبة الحائطية العملاقة التى قد قامت بتصميمها هى وعادل معًا .. واختاروا لها غرفة نومهم مكانًا..

وهكذا يقولون .. أن الإنسان يرتكب جريمة الانتحار فى حق نفسه مرتين .. مرة عندما يقرر قتل نفسه .. والمرة الأخرى عندما يقرر الانقطاع عن القراءة .. وهكذا كانت فلسفة ميزة فى الحياة قائمة على هذه العبارة .. فقد اعتادت دائمًا أن تلجأ للكتب معظم أوقاتها .. كانت دائمًا ما تقرأ .. بغض النظر عن سعادتها أو حزنها ..

مرت ساعتين على هذا الحال، تاهت ميزة فى أعماق الكتاب .. ولم تشعر بالوقت إلا عندما اقترب منها عادل .. قبلها على جبينها ثم مد يده لإغلاق الكتاب فى يدها وقال لها فى رفق ..

- ميزة .. ميزة .. إنتى هتفضلى قاعدة هنا كتير وسايبانى برا لوحدى ..

قالت له بصوت هادئ ..

- أنا ما سيبتكش تقعد لوحدك يا عادل .. وانت عارف كويس قوى إنى عمرى ما بسيبك تقعد لوحدك أبدًا .. أنا سيبتك عشان تهدا .. ودى فيها فرق كبير.. أهم حاجة إنك تكون هديت بما فيه الكفاية عشان تعرفنى إيه السبب فى إنك راجع من برا أصلًا غضبان .. أقدر أعرف إيه إللى مضايقك..؟

- لأ لأ .. أنا مش راجع غضبان ولا حاجة يعنى هو فى واحد غضبان هيجيب لمراته هدية برضو ..

- عادل .. أنا عارفاك كويس .. فى حاجة مضايقاك أو مخوفاك .. قولى أسهل من إنك تتعصب عليا فى خناقات مالهاش أساس ..

تنهد عادل .. ثم صَمَت لبرهة .. وذكرها بحديثها إليه عن أقدار البشر .. وعن قناعاتها بأن لكل إنسان تجربتين إحداهما سيئة والأخرى سعيدة ..

- آه فاكرة كلامى يا عادل .. ما نسيتوش ولسة مقتنعة بيه .. فى إيه بقى ..؟

- أنا عايزك تكونى صريحة معايا .. أنا بحبك وانتى مراتى .. ومش ممكن أبعد عنك أبدًا .. إنتى كنتى على علاقة بحد تانى قبلى؟؟

انتبهت من موضعها .. وبدأ الغضب يبدو على قسمات وجهها هى هذه المرة..

- عادل .. إنت بتقول إيه؟؟ إنت بجد بتقول إيه وازاى بتفكر بالطريقة دى .. إنت سألتنى السؤال ده قبل ما نتجوز على فكرة وانا رديت عليك .. وشرحتلك ظروفى ووجهات نظرى فى كل حاجة كويس وانت إقتنعت ساعتها.. أقدر أفهم حاجة .. لو إنت شاكك فيا وشاكك إنى كنت مرتبطة بشخص تانى قبليك أصلًا إتجوزتنى ليه؟؟ وبعدين أصلا أنا مش فاهمة لو أنا حبيت واحد تانى قبليك مش هقولك ليه ..؟؟ إيه العيب فى الحب يعنى..؟؟

- العيب مش فى الحب .. العيب فى اللى الناس اللى بيحبوا بعضهم بيعملوه مع بعض قبل الجواز..

- آه يبقى تصحيح .. بلاش تقول العيب إللى الناس بيحبوا بعض بيعملوه .. قول الحرام اللى هما بيعملوه عشان فى فرق كبير قوى بين الكلمتين .. وبعدين إنت إزاى تشكك فى أخلاقى ..!! والله بقى أنا طول عمرى أعرف إن الحب ده مشاعر نضيفة .. إنت إللى مفهومك عن الحب محتاج يتناقش مش أنا .. بتتهمنى بحاجة أنا ما عملتهاش ليه .. روح شوف نفسك بقى أيام ما كنت خاطب إنت كنت بتعمل إيه إنت وخطيبتك..

قالتها ثم أشاحت بوجهها إلى الجانب الآخر من الغرفة .. بعيدًا عن عينيه ..

- إيه !!! .. أنا لا سمح الله .. أنا عمرى ما عملت حاجة تغضب ربنا أبدًا وخطيبتى دى عمرى ما لمستها أصلًا كنت بمسك إيدها بس .. ما حصلش بيننا أى تجاوزات أيام الخطوبة على فكرة .. (قالها وهو فى أعماقه يدعو الله ألا تنظر ميزة إلى وجهه فى تلك اللحظة حتى تعرف أنه يكذب) ..

نظرت إليه وعلامات التوتر تبدو على صوتها ووجهها ..

- تصحيح تانى .. ما إسمهاش تجاوزات .. إسمها زنا .. والفرق كبير قوى برضو بين الكلمتين ..

بدأ عادل يبتسم ويضع يده على رأسها ويمزح .. فى محاولة للدفاع عن نفسه وللهروب من الموقف المحرج الذى قد بدأه مهاجمًا وانتهى به الأمر مدافعًا ..

- يا هبلة .. والله العظيم إنتى هبلة .. إنتى إزاى تفكرى فيه كده .. أنا بس الواحد متلخبط من كتر إللى بيشوفه حواليه.... أنا جوزك وقلتلك كل حاجة عنى عشان كده شايف إنه من العدل إنى أعرف كل حاجة عنك ..

- من العدل إنك تعرف كل حاجة عنى لما يكون فى حاجة حصلت وأنا ما قلتهاش .. لكن مش من العدل إنك تعيش فى الوهم وتصدق حاجات ما حصلتش .. إسمع يا عادل .. إنت عارف كويس قوى إنى مختلفة عن بقية البنات إللى إنت شفتهم ودا بشهادتك إنت قبل ما يكون كلامى أو كلام كل الناس .. أنا واحدة متحررة وكنت بسافر وبروح وباجى قبل ما أشوفك .. وكل دا قولتهولك وعرفتهولك .. يا ترى تفتكر لو واحدة بشخصيتى حبت واحد قبليك هتخبى عليك ليه؟؟ مش هقولك ليه؟؟؟

صمت عادل قليلًا .. ثم احتضنها برفق وقال لها .. خلاص ما تزعليش منى بقى، ما كانوش كلمتين دول إللى هيقفلولنا اليوم بدرى بدرى .. يلا قومى إلبسى ونخرج نقعد فى أى حتة بره .. قَبِلَت ميزة دعوته وانتهى اليوم بهدوء .. إلا أن الهدوء لا يشير بالضرورة إلى نهاية سعيدة .. وإنما فى بعض

الأحيان .. يُمثَل نهاية مقلقة .. وذلك وأنه عندما تخرج الكلمة من فَمِ قائلها .. لا يمكن أن تعود مرة أخرى إليه.. وهكذا .. يبقى السؤال دائمًا .. إلى أى مدى يمكن للماضى أن يعبث فيها بمستقبل الإنسان..؟

كان هناك الكثير والكثير من التساؤلات لدى عادل .. كانت إجاباتها قد بدأت بالفعل تعبث فى رأسه .. هو الرجل الذى قبل أن يتزوج وافق زوجته على وضع المكتبة فى غرفة النوم .. وها هو يلوم نفسه بعنف على موافقتها على هذه الفعلة .. أصبح الآن يغار كلما رآها تجلس معه فى نفس الغرفة بجسدها .. ولكن عقلها وفكرها وقلبها فى عالمٍ أخر .. ومرة أخرى عاد إليه ذلك الشعور.. الذى انتابه فى الطائرة عندما كان برفقتها أول مرة .. ولكن هذه المرة أصبح هذا الشعور أعمق وأكبر .. فهو على ثقافته كان قد بدأ يكره جميع الكتب ... يكرههم جميعا بل ويمقتهم بسبب مشاركتهم إياه فى زوجته .. ياللعجب .. أصبح يرى تلك المكتبة الجامدة الثابتة فى موضعها داخل غرفة نومه كرجلٍ غريب .. أو بالأحرى مجموعة من الرجال سوف تحتل دائمًا مكانًا عظيمًا بينه وبين زوجته .. بينما كانت هى لا تستوعب ولا تفهم ولا حتى يخطر على عقلها احتمالية أن تكون كراهية عادل لحبها للقراءة يعود للغيرة .. وكيف بالأحرى يمكن لإنسان أن يغار من مادة .. أن يغار من شىء .. و من حفنة من الأوراق ..

***

كانت ميزة أخيرًا قد أفرجت لتوها عن إحدى صورها هى وعادل أثناء قضاء شهر العسل الخاص بهم .. ونشرتها عبر موقع التواصل الاجتماعى فيسبوك .. والتى شاهدتها ندى لتوها .. وعرفت السر وراء إخفاء ميزة المعلومات عن وجهتهم حينها .. وتهربها من إخبارها ..

يا بنت اللعيبة .. المالديف .. المالديف مرة واحدة .. طبعا ما إنتى طول عمرك محظوظة .. وانا هاجى فيكى إيه .. يا آدددم .. يا آآدددم .. تعالى شوف الرجالة إللى بتهى مرتاتها .. تعالى شوف الرجالة إللى بتدلع مرتاتها .. مش إنت إللى أخدتنى يومين اسكندرية .. وكانوا مع أهلك كمان.

حضر آدم مسرعًا من خلفها .. وانحنى من خلفها وألصق عينيه بشاشة الحاسب .. وصمت لبرهة بينما كان يتفحص الصورة هو الآخر .. ثم اعتدل واقفًا مرة أخرى .. وقال ..

- أشوف الرجالة ..!!! وشوفى إنتى الستات .. مالديف إيه اللى عايزانى أوديهولك .. روحى شوفى الستات بيعملوا فى نفسهم إيه الأول.. ولا بصى لنفسك فى المراية .. دا إنتى بتخافى تسرحى شعرك لتتكهربى .. دا أنا أما ببقى ماشى فى الشارع ما بعرفش أفرق بينك وبين الجاموسة العشر ..

ألقت الحاسب من يديها فى هذه اللحظة .. ووقفت فى مواجهته ووضعت إحدى يديها على خصرها..

- نعم .. إنت بتقول الكلام دا لمين .. والله ميزة إللى إنت بتقارن بينى وبينها دى لسة متجوزة ما بقالهاش كام شهر .. إستنى عليها شوية يا حبيبى كمان كام سنة كده وهتلاقيها خلفت وكعبلت وطلعلها كرش هى كمان وشعرها بقى منكوش .. وبعدين هو أنا بقيت عاملة كده من نفسى ولا إنت ساعة ما إتجوزتنى أنا كنت كده .. أنا يا حبيبى كنت ست البنات لحد ما إتجوزتك وبقيت الخدامة بتاعتك إنت وعيالك...

- أهم حاجة إن إنتى دلوقتى حالًا اعترفتى إن إنتى عندك كرش ..

- دى بطن الولادة يا حبيبى .. إللى عنده كرش هنا عارف نفسه كويس..

وشيئًا فشيئًا .. وكلمة من هنا وكلمة من هناك .. تطورت المشاجرة بينهم .. حتى عبرت من حدود الحديث إلى حدود تبادل الشتائم .. ثم تطورت أكثر من ذلك لتعبر من حدود تبادل الشتائم .. إلى حدود الضرب .. نعم الضرب .. فقد استيقظ الولدان ورأوا أمهم لتوها وهى تحاور أبوهم بأسلوب غير لائق .. لذلك ظن أنه من الواجب عليه القيام بتأديبها .. ركض إلى غرفته وحصل على أحد الأحزمة الجلدية المعلقة على الشماعة .. وعاد ومنحها عدة ضربات موجعة متتالية .. وهكذا لقد حفر آدم لتوه فى ذاكرة أبنائه مشهدًا لن ينسوه أبدا ما حييوا.. لقد وقف كلاهما ملصقًا نفسه إلى الحائط وانهمروا فى حالة من الفزع والبكاء الهستيرى..

ثم ارتدى ملابسه بينما كان كلا الولدين يبكيان فى حضن أمهم الباكية التى تتألم هى الأخرى .. وذهب وهو فى طريقه للخارج .. فتح باب الشقة وقال لها بصوت خَشِن ..

- جتك القرف نكدتى عليه .. بقولك إيه أنا هغيب ساعتين زمن .. أرجع الاقى العيال نايمين وانتى لابسة على سنجة عشرة ومستنيانى .. فاهمة .. وبيتهيألى إنتى عارفة أنا هعمل إيه لو رجعت ما لقيتش كلامى ده إتنفذ ..

***

بينما كان يقضى زملائه فى العمل الأوقات المخصصة للراحة تارة فى الدردشة معًا .. وتارة أخرى فى تناول الطعام .. كان عادل يختلس تلك الأوقات ليتفكر فى شؤونه هو وزوجته ميزة..

إن تلك الكتب التى ترافقها ميزة .. وتقرأها باللغة الإسبانية أصبحت تحمل عقلها إلى عالم أخر هو لم يزره قبلًا .. بل والأكثر من ذلك تجعلها عصية عليه أحيانًا .. تُجادل فى كل شىء .. يتطلب إقناعها بأمرٍ ما حججًا كثيرة .. بدأ عادل يشعر بالتيه .. بل بدأ ينظر إلى جانب جديد فى شخصيته لطالما كان مخفيًا عنه فى أعماق نفسه .. الست المفروض تكون طوع جوزها .. يعنى بذمتك إنت سمعت عن واحدة ست جوزها ييجى يقولها تعالى نعمل كذا ولا ناخد قرار كذا تقوله فهمنى ليه .. إنت مش شايف أمك عاشت إزاى مع باباك كنت سمعتلها صوت قبل كده ...؟؟

لأ لأ .. بس بلاش تتمنى نسخة تانية عن حياة باباك مع مامتك .. إنت نفسك عارف إنك ما تقدرش تتجوز واحدة ست شخصيتها زى شخصية مامتك .. إللى قتلك صمتها وسكوتها عن حاجات كتير من زمان .. أووووف .. إنتى عملتى فيا إيه يا ميزة .. أنا بدأت أحس إنى بشوف نفسى بطريقة جديدة .. خليتينى أنا نفسى ما بقيتش عارف إيه هى مواصفات الست المثالية إللى نفسى فيها ..!!

عاد عادل إلى البيت فى ذلك اليوم .. كاد يستمع إلى صوت ضحكات زوجته وهو يقف على الباب .. فتح باب الشقة ودخل راكضًا حتى يتأكد مع من كانت تتبادل الضحكات.. فوجدها تجلس على الأريكة .. وجهاز الكمبيوتر الشخصى بالقرب منها .. تتحدث فى مكالمة عبر الإنترنت إلى

صديقتها سارة .. وعندما رأته ميزة أنهت المكالمة مع صديقتها واغلقت الجهاز بالكامل بمجرد وصوله إلى المنزل ..

- حمدلله على السلامة .. كده وحشتنى زى كل يوم ..

- أنا الحمدلله كويس .. عملالنا إيه النهاردة على الغدا؟

- محشى ورق عنب وملوخية وفراخ .. يلا غير هدومك على ما أحط الاكل ..

ذهب لتغيير ملابسه بينما كان يفكر فى كيفية مفاتحتها فيما يريد .. ثم انتهز فرصة جلسوهما معًا لتناول الطعام ..

- بقولك إيه يا ميزة .. هى صاحبتك إسمها إيه دى سارة .. على طول صايعة كده ما وراهاش حاجة تعملها ..؟

- لأ يا عادل مش على طول صايعة ولا حاجة .. وراها حاجات تعملها إنت إللى بتصادف معاك تدخل علينا واحنا بنتكلم ..

- والله أصلها غريبة يعنى .. وبعدين ما هى لو هى صايعة وفاضية .. إنتى ست متجوزة ووراكى بيت وراجل عايزك ..

- عادل .. إنت قصدك إيه أنا مش فاهماك .. إنت عايز تقول إيه؟؟

- لأ عادى مفيش هقول إيه يعنى .. أصلك مصاحبالى واحدة راحت إتجوزتلى واحد مش راجل .. عشان تعرف تصيع معاه براحتها هناك ومحدش يشوفها ..

غضبت ميزة وتوقفت عن الطعام ..

obeikan.com

- بقولك إيه يا عادل لو سمحت ما تتكلمش عن أعز أصحابى بالطريقة دى .. وبعدين لا هى ولا جوزها عملولك حاجة .. يعنى هما عملولك إيه عشان تتكلم عنهم كده .. ولا إنت شوفت منهم إيه عشان تتكلم عنهم بالطريقة دى .. وإيه تصيع هناك دى يعنى إذا كنت إنت اول مرة قابلتها هناك شفتها محجبة .. هتكون متجوزاه عشان تصيع معاه إزاى يعنى وهو جوزها بالعقل كده ..

ترك طعامه هو الآخر .. وضرب الطاولة بيديه بقوة وقال ..

- إنتى مالك بتتشنجى عليه كده ليه .. وبتدافعيلهم وبتحاميلهم كده ليه .. شكلك كان نفسك تتجوزى واحد أجنبى إنتى كمان .. شكل جوز صاحبتك عاجبك .. مش كده .. قوليها قولى إنه عاجبك وإن إنتى بتعجبك القعدة هناك عشان تلزقيله .. على فكرة دا أصلًا مش راجل ..

- إنت مش سامع نفسك بتقول إيه .. إنت شايف إنت بتقول إيه .. أنا تعبت بجد .. أنا مش قادرة أستحمل شكك الأعمى وغيرتك الفظيعة دى .. إنت مش ممكن .. إنت فاكرنى إيه واحدة من البنات الرخيصة إللى إنت كنت متعود تشوفهم إنت واصحابك ..

تركت له الطاولة ثم ذهبت بغضب إلى غرفتها .. بينما استمر هو فى ترديد العبارات التالية ..

- إنتى مالك متفرعنة كده ليه .. وعشان إيه .. ما هو كله من أبوكى إللى كان سايبلك الحبل عالغارب .. طبعًا ما إنتى ليكى حق تزعلى من كلامى عشان أخدتى عالسايب فى السايب .. أبوكى هو السبب ما بيعرفش يربى .. بس أنا لعلمك مش ممكن أربى عيالى زى أبوكى ما رباكى ..

استدارت ميزة وعادت أدراجها .. ثم نظرت إليه .. وقالت له بغضب ..

- عادل إنت حصلك إيه .. إزاى تتجرأ تتكلم عن بابا بالطريقة دى .. يعنى إتكلمت عن سارة وجوزها وسكتلك .. إنما كمان توصل لدرجة إنك تهينى وتهين بابايا .. لأ سورى يعنى أنا ما أسمحلكش ..

- هو إيه دا إللى ما تسمحيليش .. أنا هنا راجل البيت دا وحر أقول إللى أنا عايزه .. إيه زعلانة منى عشان بقول إن باباكى ما بيعرفش يربى .. طب لعلمك أبوكى ما عرفش يربيكى وهو إللى كبرلك دماغك كده .. أصلًا أبوكى دا راجل إبن **** وإبن ****

بكت ميزة وازدادت غضبًا وقالت له ..

- إنت جاى تتلكك عشان تتخانق معايا وتشتمنى بأهلى .. بتشتم بابا ليه هو بابا كان عملك إيه قبل كده .. إنت عمرك من ساعة ما إتجوزتنى ما سمعت منى كلمة وحشة فى حق باباك ولا مامتك .. بتجيب سيرة بابا ليه .. لو سمحت إحترم نفسك وما تتكلمش معايا أبدًا إنت فاهم ..

قالتها ثم ذهبت إلى غرفتها وما إن أغلقت ميزة الباب خلفها .. حتى اطمئن عادل من أنها لن تخرج قبل عدة ساعات .. أسند ظهره إلى المقعد فى فخر وسعادة .. ثم قرر استغلال ذلك الوقت فى تجربة شيءٍ ما .. حاول فى تلك الأثناء تجربة جميع كلمات المرور فى محاولة بائسة منه لفتح جهاز الكمبيوتر الشخصى الخاص بها.. ومع ذلك فشل .. فترك الحاسب .. ثم اتجه إلى غرفة نومهم .. حاول فتحها ففشل .. فطرق الباب عدة مرات ومع ذلك لم تفتح له الباب .. حاول التحدث إليها وإقناعها بفتح الباب برفق.. الا أن الرد جاءه من خلف الباب ..

- ما تخافش قبل ما أنام هفتح أديلك الغطا والمخدة والهدوم إللى هتروح بيهم شغلك بكرة .. نام عالكنبة النهاردة .. أنا مش قادرة أشوفك ولا أبصلك ..

- كده .. ماشى .. طب خليكى فاكراها ..

***

ما أصعب الشعور بالوحدة .. وهل يوجد فى الكون أجمع شعورًا أبشع من الوحدة .. ميزة التى لطالما خافت أكثر ما خافت من تلك المشاعر.. الوحدة .. وشبح الوحدة الذى ظل يلاحقها لسنوات .. خافت أن تشيخ وحدها .. لذلك تزوجت عادل .. وها هى الآن .. تكاد تفقد عقلها .. فقد بدأت تشعر أن وحدتها قد ازدادت بعد الزواج منه .. بل على العكس.. بدأت تشعر أن سنوات عمرها قبل أن تعرفه لم تكن تندرج حتى تحت مُسمى الوحدة .. بل كانت مفعمة بالحركة والحياة التى قد حرمها منها عادل الآن بوجوده .. حتى أنها الآن تخشى أن تروى لسارة عن مشاكلها مع زوجها حتى لا تُعطى انطباعًا سيئًا عنه لدى صديقتها ..

ومع ذلك فهو لا يصدقها أبدًا .. لا يمر يومًا بدون أن يتشاجر معها بسبب وبدون سبب .. تارة بسبب صديقتها التى لا ينفك يتهمها ظلمًا أنها تُفشى عندها أسرارهم الزوجية .. وتارة أخرى يتهمها بإخفاء ماضيها عنه .. وتارة يتعمد إهانة والدها بدون أسباب .. وتارة أخرى يتهمها بأنها لا تحبه ..

وكيف لا تُحِبَك يا عادل وقد تزوجتك أنت بالتحديد بعد طول انتظار..!!

وهكذا يبقى السؤال .. هل توجد فى الحياة مأساة أصعب من مأساة رجل ضعيف الثقة بنفسه؟؟ هل توجد فى الحياة مأساة رجل .. يسترجع شريط ذكرياته السيئة فى كل مرة ينظر فى عينى زوجته .. زوجته التى أذنبت من وجهة نظره فقط لكونها امرأة ..؟؟

***

مر يومان بعد ذلك .. وهدأت الأمور بينهما شيئًا فشيئًا، إلا أن ميزة لازالت ترفض الحديث إليه .. وها هو يتأخر ساعتين عن موعد عودته المعتاد إلى المنزل .. حتى يذهب ليشترى لزوجته هدية ليصالحها بها ..

- شوفتى جيبتلك هدية أهو ..

نظرت إليه بتعجب ثم قالت ..

- هى دى يعنى طريقتك فى الإعتذار ..؟؟ إنت مكسوف تنطق كلمة أنا أسف .. ففكرت تروح تشتريلى هدية بدالها ..؟؟

- لأ لأ .. طبعا الحوار مش كده خالص .. طب شوفى الهدية طيب الأول..

- مش عايزة أشوف حاجة شكرًا .. أنا أفضل كلمة اعتذار عن هدية من غير سبب ..

قام عادل بفتح الحقيبة .. وقرر استعراض الهدية أمام عينها .. لعلها بذلك تتخلى عن فكرة مطالبته بالاعتذار .. واستخرج منها حوالى ثلاثة أو أربعة قطع من الملابس .. التى قد انتقاهم وجليهم خصيصى لها ..

- بصى .. أنا جيبتلك هدوم جديدة .. بصى كده ..

نظرت إليهم ميزة بقرف .. ثم عاودت النظر إليه بغرابة .. وقالت ...

- إيه دا ..؟؟ الهدوم دى ليه أنا ..؟؟ ولا لأم أحمد مراة عم عطية البواب ..

- آه ليكى إنتى .. إيه رأيك إوعى يكون ذوقى مش عاجبك ..

- لأ بجد يا عادل .. هو إنت تعرف إنى بلبس الهلاهيل دى .. سورى يعنى أنا ما أقصدش أضايقك بس إنت عارفنى صريحة واللى فى قلبى على لسانى .. وبعدين أنا عارفة كويس قوى إن دا مش ذوقك لأنك أيام الخطوبة جيبتلى بلوزة قبل كده وعجبتنى جدًا ولسة بلبسها لحد دلوقتى وممكن كمان لو عايز أدخل أجيبهالك من جوا.

لم تفلح هذه الإستراتيجية معها .. إذًا فلننتقل إلى الإستراتيجية رقم اثنان .. هكذا فكر عادل..

- إيه دا إنتى قصدك إيه ..؟؟ إنتى بتغلطى فيا وفى ذوقى ..؟؟ إنتى شايفة إنى بيئة وذوقى وحش .. يااااه ما كنتش أتخيل أبدًا إنى إتجوزت ست مش بتحترم جوزها ولا بتقدره .. أنا ما كنتش متخيل إنى ممكن أتجوز ست مش بتقدر الراجل إللى معاها .. قالها ثم استدار وذهب إلى غرفتهم ..

وهكذا .. والى رجل شرقى .. يفتقد إلى الكثير والكثير من ثقافة الاعتذار.. كان بمقدورك يا عادل أن تعتذر ببساطة .. ولكنك قد قررت الالتفاف على الموقف لأجل تفادى النطق بكلمة واحدة فقط تعبر عن

الاعتذار، وفى نفس الوقت قررت الالتفاف على الموقف لأجل تحقيق شيئًا ما فى رأسك أنت يا عادل .. محاولًا إقناع زوجتك بارتداء ما يحلو لك أنت من ملابس ..!!

فيم كنت تفكر يا عادل بينما كنت تنتقى لها تلك الكنزات الباهتة الواسعة جدًا .. والتى تفوق قياسها الحقيقى بمراحل ..؟؟ فيم كنت تفكر يا عادل بينما كنت تخطط عمدًا لإفساد المظهر العام لزوجتك ..؟؟ إنها وفى نهاية المطاف حتى و إن وافقتك على ارتداء تلك الملابس التى تعتبر مجرد رؤيتها إهانة كبيرة للموضة .. سوف تظل دائمًا زوجتك أنت .. وبغض النظر عما كنت إنت تعى هذا الأمر أو لا .. فإن مظهر الزوجة من مظهر زوجها .. ولو سخر منها الناس لانتقصت هذه السخرية من كرامتك أنت كذلك .. وليس كرامتها هى وحدها، كما كنت تتخيل..!!

أغلق عادل باب الغرفة خلفه .. بل وأوصده كذلك .. ثم وقف مبتسمًا ينظر إلى نفسه فى المرآة بفخر المنتصرون فى الحروب الكبرى .. فهو لم ينجح فى تفادى الاعتذار إليها عن الموقف السابق لتوه فقط .. بل نجح فى إيقاعها هى نفسها فى الخطأ .. والآن بات من الواجب عليها هى الاعتذار له..

مرت دقائق بعد ذلك .. وها هى ميزة تحاول فتح الباب .. فوجدته موصدًا .. وها هو نفس المشهد يتكرر .. ولكن هذه المرة هو بالداخل وهى بالخارج .. كان صوتها يأتيه مناديًا من خلف الباب .. ومع كل مرة كانت تقول فيها .. عادل إفتح يا عادل .. كان شعوره بلذة الانتصار يتزايد شيئًا فشيئًا ..

- عادل لو سمحت ممكن نتفاهم ..؟؟

- لأ مش ممكن .. أنا مش مصدق إنتى إزاى كده مش بتقدرى وجهة نظر وآراء الراجل إللى معاكى..؟؟

- إفتح يا عادل طيب هنتكلم ..

- لأ إنتى غلطتى فيا غلطة كبيرة قوى .. أنا مجروح .. أنا مش قادر أشوفك .. أنا مش قادر أتكلم ..

- أنا اسفة يا عادل بجد ما كنتش أقصد أزعلك .. ممكن تفتح ..

وهنا فقط .. وقف عادل والابتسامة تعلو وجهه عن آخره .. وسار عدة خطوات حتى وصل إلى باب الغرفة .. وقبل أن يفتح لها الباب تحول وجهه إلى تعبيرات الحزن والأسى ..

***

ازدادت مشاعرها بالوحدة .. فهى لازالت تُعتبر فى عداد حديثى الزواج.. ولكن مع ذلك تُهاتف زوجها وتخبره برغبتها فى حضور زفاف إحدى أقاربها فى نهاية الأسبوع ولكنه يعتذر بحجة تراكم الكثير من المهمات على رأسه فى العمل فى ذلك اليوم .. يا إلهى .. أصبح يتعين عليها الآن أن تذهب إلى حفل الزفاف وحدها .. كما لو كأنها لم تتزوج قط .. لازالت ميزة وحيدة فى الزيارات العائلية .. وحيدة فى المناسبات الاجتماعية .. ووحيدة كذلك فى المنزل .. فهى أحيانًا تبقى أيامًا بلا عمل، بينما يخرج هو منذ الصباح .. ولا يعود إلا فى وقت متأخر .. وعلى الرغم من ذلك .. هو الذى يريد أن يفصل المسافات ما بينها وبين صديقتها الوحيدة سارة ..

بدأت الهوة فى الاتساع بينهما يومًا تلو الآخر .. عادل الذى كانت جلساتها معه فى الماضى مفعمة بالأحاديث المتنوعة .. أصبحت الآن كلماتهم إلى بعضهم البعض تُختزل فى سؤالين فقط .. هتعمليلنا إيه بكرة عالغدا ..؟؟ هتلبسيلى إيه النهاردة بالليل؟؟

أصبحت حواراته جميعها متكررة وتنحصر فى إشباع تلك الرغبات التى يتساوى فيها الإنسان وسائر الكائنات الحية .. التى خلقها الله بلا عقل وبلا فكر ..

هناك أمر جديد يدب فى قلبها الآن .. إنه هذا الشعور بالدونية .. نعم.. الدونية .. إنها ميزة تلك المرأة التى تشعر بالدونية الآن ... هى نفسها تلك المرأة التى لفرط ما عشقت سحر الكلمات .. وقعت فى حب لغاتٌ عدة ..

امرأة مثل ميزة .. أغرمت بلغات البشر حد الجنون .. امرأة عشقت أكثر ما عشقت أن تسبح فى فضاء الكلمات الشاسعة .. ميزة التى كانت تستمع فى ذهنها بتحويل أى كلمة تسمعها إلى نفس الكلمة ولكن بلغات أخرى ..

قادتها الظروف إلى حظها العاثر .. فوجدت نفسها متزوجة من رجل على الرغم من مشاطرته إياها لغتها الأم .. إلا أنه ومع الأسف ليس بمقدوره مشاطرتها فى لغة الحوار ..

وإن رجلًا يجهل بالقواعد الأساسية للغة الحوار .. قد يكون وجوده أمرًا عاديًا وغير ملحوظًا بالنسبة إلى أى امرأة أخرى .. أما بالنسبة لميزة .. كان هذا الأمر بمثابة جريمة لا تغتفر فى حق الفكر والانسانية وفى حق كل هؤلاء الرجال اللذين قد عبروا على فكرها قبله من خلال كتبهم ..

وهكذا نجحت استراتيجية عادل فى تحميل ميزة الخطأ وفى إجبارها على الاعتذار هذه المرة .. وهكذا أيضًا بعد أن اكتشف عادل لتوه أسلوبًا جديدًا لإخضاع زوجته .. توالت بينهما الشجارات على نفس المنوال ..

بات الأمر يزعجها كثيرًا الآن .. فكلما حاولت الحديث إليه فى أمرٍ ما .. أو مناقشته أو جداله فى أى شىء .. استغل هو الموقف .. وتصيد لها الأخطاء .. ثم قام بتحويله إلى مشاجرة هى السبب فيها وهو الضحية ..

استمر عادل فى التقاط الكلمات العادية من فمها وتحويلها إلى شتائم مقصودة .. حتى بدأت ميزة فى تعلم فن جديد .. أو بالأحرى بدأت فى تعلم لغة جديدة .. ألا وهى لغة الصمت .. بعد أن بدأت تكره الحديث إليه .. بعد أن قررت تجنبه فى كل شىء ..

***

سهير .. الشهيرة بسوسو .. الحاصلة على أحد الدبلومات الفنية عن جدارة .. تلك المرأة اللعوب .. سهلة المنال .. إنها من هؤلاء النساء .. الملقاة على الأرصفة .. يتعثر فيهن المارة من الرجال يمينًا ويسارًا ..

كانت تُفضل أن تخرج من حارتها الضيقة القاطنة فى حى روض الفرج كل يوم مرتدية العباءة السوداء فى طريقها إلى العمل .. تلك العباءة التى تلمع ألوانها فى عينى المارة من بعيد .. بينما تتدلى خصلة كبيرة من الشعر المصبوغ بالأصفر خارج حجابها .. ولا تتخلى أبدًا عن أحمر الشفاه الفاقع الحمرة، الذى كانت تعتقد أنه سر انوثتها .. حتى تصل إلى مقر عملها فى غرفة الكافيتيريا فى الجريدة .. وتقوم بارتداء الزى الرسمى للفتيات

العاملات فى جميع غرف الكافيتيريا الموجودة بالجريدة .. والذى هو عبارة عن بنطال أسود اللون وقميص أبيض ..

لقد تعلمت سوسو فى مدرسة الحياة الكبيرة .. ومن خلال احتكاكها بالكثير والكثير من الرجال .. كيفية الدخول إلى عالم كلٍ منهم على حدة .. وهكذا .. لطالما كانت لها تلك العينان المحنكتان .. المملؤتان بالخبرات .. عينان تفتقدان للكثير والكثير من الحياء .. وتوحيان بالكثير والكثير من البغاء .. الذى كانت لا تحترفه كمهنة فى حقيقة الأمر .. ولا تتربح من خلاله.. وإنما كانت تعتقد أن طبيعة العلاقات المشبوهة، التى لطالما قد ربطت بينها وبين الكثير والكثير من موظفى الجريدة .. ليست إلا طريقة لتحتفظ بها لنفسها بمكانة مرموقة لدى كل رجل فى مقر عملها .. وهكذا وحتى تضمن أن يكون لها ظهرًا تستند إليه وتستقوى به على قريناتها .. بل والأكثر من ذلك .. كانت سوسو فتاة الكافيتريا البسيطة أحيانًا تتسبب فى فصل إحدى الصحفيات المحترمات بالجريدة بسبب شعورها بالغيرة منها فقط، أو لأن تلك الصحفية قد اعترضت طريقها بطريقة أو بأخرى .. كانت تنجح فى فعل ذلك اعتمادًا على علاقتها المشبوهة بجميع الرجال تقريبًا .. أو أغلبهم على الأقل .. حتى هؤلاء المنتمون إلى مناصب عليا .. كانت أيضًا على علاقة بهم كذلك .. فلقد كانت فلسفتها فى الحياة تستند على مبدأ واحد .. يتكون من عبارة واحدة .. ألا وهى { الراجل ممكن يعمل أى حاجة.. للست اللِونَة إللى بتديله اللى هو عايزه .. وانا ضعيفة وغلبانة إيه يعنى لما أستعمل حلاوتى عشان أضمن مكانى }

كانت ترى فى فلسفتها ذكاءًا .. بينما كانت هى فى الحقيقة لا تحوى شيئًا سوى الخبث .. الخبث فقط .. الخبث والخبث والمزيد من الخبث .. وهكذا

سوف يظل هناك دائمًا خيط رفيع فاصل بين صفتى الخبث و الذكاء .. تمامًا كما الخيط الرفيع الواقع بين صفتى الطيبة و الغباء ..

فقد كانت ميزة امرأة ذكية طيبة القلب .. بينما كانت سوسو امرأة غبية خبيثة السريرة ..

كانت سوسو ترى فى رجلٍ يرفض إغرائها تهديدًا كبيرًا لها ولمكانتها .. بل والأعمق من ذلك كانت ترى فيه تهديدًا كبيرًا لأنوثتها الزائفة .. لطالما رفضها عادل .. وعاملها كحشرة .. إلا أنها كانت دائمًا وستظل دومًا كالصياد الماهر .. الذى لا يصطاد على عجلة من أمره .. بل يُفضل أن يبقى فى الأجواء .. ليراقب فريسته من على بُعد .. حتى يتحين الفرصة المناسبة، ويقبض قبضته وينال ما يريد ..

بدأت تُلاحظ شروده فى تلك الأيام .. وبدأت تحوم من حوله من جديد.. ومرة أخرى بينما كانت تضع أمامه فنجان القهوة الصباحى ..

- صباح الخير يا بيه .. مالك كده يا خويا مش على بعضك .. زى ما تكون فى حاجة شاغلاك..

- ماليش .. قالها وهو ينظر بعيدًا ..

- لأ لأ .. ودى تيجى برضو ..لأ مالك يا بيه شكلك نازل متضايق .. شكل فى حاجة مزعلاك هى المدام مضايقاك فى حاجة؟؟

- وإنتى مالك إنتى أنا إيه إللى مضايقنى .. يللا يا بت إمشى من هنا بدل ما أوريكى ..

وضعت يدها فى خصرها .. وبدأت تتلوى ..

- يا بيه هو أنا فى ديك الساعة لما تورينى .. دا إنت سيدى وتاج راسى .. أه والله دا إنت مش بس سيدى وتاج راسى .. وأنا عمرى ما أزعل منك .. والله يا بيه لو ضربتنى بالجزمة ما هزعل منك ..

نظر إليها باشمئزاز .. ثم أشاح بوجهه بعيدًا ..

***

عاد عادل إلى البيت .. فوجد ميزة كالعادة .. كانت قد أعدت الغداء مبكرًا وجلست لتقرأ قليلًا كالعادة .. جلسًا معًا فى صمت أصبح مؤخرًا من عادتهم .. يتناولان الغداء ..

- بقولك إيه يا ميزة .. ممكن أطلب منك طلب ..

تنفست الصعداء .. أخيرًا بدأ يتحدث إلىّ .. لعلنا نتحدث الآن فى أمرٍ ما.. فى أى شىء يا عادل .. أشعر بالوحدة الرهيبة .. هكذا فكرت ميزة وهكذا جاوبته بحماس.

- إتفضل يا حبيبى .. إنت تؤمر .. عايز إيه ..؟

- أنا كنت عايز الباسوورد بتاع الكمبيوتر بتاعك .. كنت عايزه يبقى معايا .. ينفع؟

- ودا يطلع من إيه بقى إن شاء الله .. إنت بتشك فيا تانى؟

- لأ طبعًا مش بشك فيكى .. بس أنا جوزك عادى يعنى من حقى يبقى معايا..

- خلاص أنا موافقة .. وهديهولك دلوقتى حالًا وأديك الكمبيوتر بتاعى تفتش فيه برحتك كمان ..

تهلهل وجهه وابتسم قائلًا .. – بجد والله العظيم .. ربنا يخليكى ليا يا حياتى.. كنت متأكد إنِك مش هترضى تزعلينى منك أبدًا .

- أنا موافقة بس بشرط إنت كمان تدينى الباسوورد بتاع الكمبيوتر بتاعك وبتاع الفيس بوك دلوقتى حالًا قبل ما تقوم من مكانك وتلمس الجهاز بتاعك ..

- إنتى قصدك إيه عايزة تفتشى عليا يعنى ولا إيه .. قالها وقد تحول وجهه من الابتسام إلى نظرات الغضب ..

- أنا قصدى إنى ما عنديش حاجة أخبيها عنك يا عادل .. وعشان كده عندى استعداد أديك الكمبيوتر قبل ما ألمسه عشان ما تفكرش إنى مسحت منه حاجة .. لكن بص على تصرفك إنت خايف من إيه .. فى إيه على جهازك إنت خايف إنى أشوفه ..

ابتلع عادل ريقه فى تلك اللحظة ونظر فى اتجاه أخر لوهلة .. ثم عاد لينظر فى عينيها مرة أخرى واستطرد قائلًا ..

- أنا مش خايف من حاجة .. كل الموضوع يعنى إنى راجل وليا خصوصياتى..

- أووووه راجل وليك خصوصياتك .. وبالنسبة ليا أنا عشان ست ماليش حقوق ولا خصوصيات يعنى .. وبعدين دا مين إللى بيقول الكلام

دا.. عادل فؤاد الكاتب المشهور نصير المرأة !!؟؟ أنصحك المرة الجاية لما تيجى تألف كتب إبقى إكتب وجهات نظرك الحقيقية وابعد عن الخيال.

تغيرت إيماءات وجهه من الهجوم إلى الدفاع .. ثم رد بنبرة يعتريها الفضول..

- قصدك إيه يعنى مش فاهم ..؟

تغيرت نبرة صوتها هنا من الشدة إلى اللين الشديد .. ثم مدت عبر طاولة الطعام .. لتُمسِك بيده..

- فين عادل الجميل الرقيق بتاع زمان .. عادل المثقف المُتفتح .. إللى عنده وجهات نظر وآراء ومُثل عليا كسرت الدنيا وعجبت الناس كلها ..

ثم رَفَعت يدها لتلامس إحدى وجنتيه بدفء .. ثم استطردت ..

مالك .. إيه إللى حصلك يا عادل .. إيه اللى حصل بيننا .. على طول قلقان وعلى طول شاكك فيا وغيران من حاجات ما حصلتش .. أنا حاسة إنى زى ما أكون إتجوزت شخص تانى غير إللى حبيته..

صمت لبرهة .. ثم اعتدل واقفًا وترك مقعده أمام الطاولة .. وقال بحدة ..

- ما أعرفش روحى إسألى صاحبتك إللى بتفضحينا عندها .. أو دورى على إجابة السؤال ده فى كتبك .. ولا أقولك ما تروحى تقولى لأبوكى واخوكى أحسن بالمرة.

تركها وذهب ليعتكف كعادته فى غرفة الجلوس .. جامدًا أمام التلفاز حتى يأتى موعد العشاء فيتناول العشاء ويخلد إلى النوم .. بينما لا تعلم هى لماذا انتباتها رغبة شديدة بالبكاء .. لم تقو على أن تُقاومها هذه المرة كما اعتادت أن تفعل فى المرات الأخيرة بعد أن تزايدت حدة الشجارات فيما بينهم .. وجدت نفسها تبكى وحيدة على طاولة الطعام .. وتتساءل إلى متى سوف يتعين عليها أن تتحمل شكوكه .. التى لا تنتهى .. تارة يتهمها بإخفاء ماضيها .. وتارة أخرى يظن أنها من الممكن أن ترافق رجلًا أخر سواه .. وتارة أخرى يتعرض بالإهانة والسخرية لسمعة والدها .. وها هو لا يتوقف عن رميها باطلًا بتهمة إفشاء أسرارهم إلى صديقتها سارة، وهو الأمر الذى لم تفعله هى أبدًا منذ أن تزوجت به .. وهو أمر كذلك لم تعتد صديقتها سارة نفسها على أن تفعله معها فيما يتعلق بعلاقتهم الزوجية .. فقد كانت كلتاهما تعلمان جيدًا أن (للبيوت أسرار) ويحترمان هذه الخصوصية جيدًا .. وعلى الرغم من أنها قد شرحت له هذا الأمر مرارًا وتكرارًا .. إلا أنه لأسباب غير معلومة .. لا يصدقها .. ولأسباب غير معلومة لها كذلك .. يكن كراهية شديدة لصديقتها المقربة ..

جلست تبكى ولم تفارق موضعها من على طاولة الطعام .. وظنت أنه لم يشعر ببكاءها .. إلا أنه وفى الحقيقة قد شعر ببكائها .. وكان على وشك أن يعود ليواسيها ويحتضنها .. إلا أنه قد راجع نفسه عن تلك الخطوة .. مفكرًا .. يا أهبل .. عايز تروح تصالحها زى النطع .. إنت شكلك نسيت .. الستات كلهم عجينة واحدة .. أول ما تلاقيك بتشد عليها شوية تروح معيطة عشان إنت تجيب ورا وتروح تصالحها .. يا خسارة يا ميزة كنت فاكرك حاجة مختلفة طلعتى شبه كل الستات .. جتكوا القرف فعلًا كلكم زى بعض..

***

اقتربت منه هذا الصباح .. لتضع له فنجان قهوته المعتاد .. ولكن هذه المرة آثرت أن تقترب منه هو شخصيًا .. لا أن تضعه على حافة المكتب وتذهب بعد ذلك فى طريقها كما اعتادت دائمًا .. رآها عادل وهى تقترب أكثر من اللازم ... ولكنه لا يفهم لماذا لم يمنعها ويصرفها بعيدًا ككل مرة .. بل تركها هذه المرة حتى تقترب منه أكثر من اللازم ..

وضعت الفنجان بحركة ليونة تحتوى على شيءٍ من الخلاعة .. ثم اعتدلت .. وقد بدأت تفهم أن السياج الحديدى الذى قد أحاط به عادل نفسه لسنوات قد بدأ يسقط لتوه .. مما فتح لها مجالًا أكثر لتقترب ..

- صباح الخير يا بيه .. إيه يا ترى لسة قافش مع المدام زى إمبارح ..؟؟

رد بهدوء .. وعلى وجهه نظرة من الكِبَر، بينما كان فمه معكوفًا فى دلالة على القرف..

- ولو قلتلك آه لسة قافش هتعملى إيه يعنى ..؟؟

- لأ لأ لأ ... يبقى إنت يا بيه ما تعرفش مين سوسو .. دا أنا سهير .. سهورة .. وسهورة تعمل كتير عشان تفرفرشك يا بيه .. إنت بس تشاور .. وتسيب الباقى عليا ..

شعر أن الحديث قد بدأ يأخذ لتوه منعطفًا أخر .. فاستفاق وقال لها بنبرة شديدة اللهجة .. إمشى من هنا يللا يا بت.. روحى شوفى شغلك ..

- بشوقك يا بيه .. أمشى دلوقتى وارجع وقت ما تحب .. وعامة دا رقمى .. أول ما تلاقى نفسك مبسوط أو قافش عادى يعنى .. إدينى بس إنت ألو .. وهتلاقينى خدامتك جيت رميت نفسى تحت رجليك ..

شعر عادل بالضيق الشديد .. وقرر أن هذا اليوم هو يوم مناسب للذهاب وإلقاء التحية على البعض من أصدقائه القدامى .. هؤلاء من باعد الزواج بينه وبينهم نوعًا ما .. قرر أن يذهب ليلقاهم فى ذلك المقهى الشهير، الذى قد اعتادوا على قضاء سهراتهم فيه .. ذلك لأن أغلبهم لم يتزوج بعد .. بل أنه حتى لم يرتبط ..

كانت مجموعة من خمسة أو ستة شُبان .. أغلبهم فى مثل مرحلة عادل العمرية .. إما يكبرونه بعام .. أو يصغرونه بعام .. بعضهم متزوج .. والأغلب لم يتزوج بعد .. كانوا يدخنون الشيشة ويتبادلون الضحكات عالية الصدى .. بينما كانت فناجين القهوة تتناثر أمامهم يمينًا ويسارًا على تلك الطاولة العملاقة التى قد اعتادوا أن يجتمعوا إليها كل مساء ..

وعندما رأوه .. تهللوا .. وانتفضوا من أماكنهم جميعًا ليرحبوا به بحرارة ..

قال أحدهم .. فينك يا عم .. الجواز واخدك مننا .. من ساعة ما إتجوزت ومحدش بيسمعلك لا حس ولا خبر ... أيوه كده شكل رجلك خدت عالجواز بقى ..

قال الآخر .. - لأ بس لعلمك شكلك مضايق .. أصل إحنا كده يا رجالة الواحد فينا أول ما يتجوز يختفيله فترة .. ويتهناله يومين وينسى أصحابه.. وأول ما يتخانق مع مراته ييجى جرى يقعد تانى نفس القعدة دى .. واهو إسألهم عندك إللى سبقوك أهو وإتجوزوا متلقحين قاعدين زيهم زيك.. (قالها وهو يشير بيديه إلى كلا الصديقان الآخران المتزوجان الجالسان إلى نفس الطاولة)

ضحك الجميع .. ثم استطرد الأخير حديثه ..

- لأ بجد ياعادل مالك شكلك مخنوق ..؟

- آه مخنوق ومخنوق جدًا كمان ..

- خير فى إيه ..؟

- بصراحة ميزة مراتى تاعبانى معاها .. مثقفة كده وبتتكلم كذا لغة .. على طول بتقرا كتب أو بتتعلم أو بتشتغل أو بتعمل حاجات وعندها هوايات غريبة .. أنا حاسس إنى مش متجوز ست .. حاسس إنى متجوز آينشتاين .. مش عارف أمشى كلامى عليها براحتى .. أو مش عارف حاسس كأن فى حد تانى مشاركنى فيها .. ما بتسمعش الكلام خالص لازم عشان أطلب منها نعمل حاجة أقعد ساعة أفهمها وجهات نظرى المستقبلية ورؤيتى للموقف .. تصوروا إمبارح بقولها هاتى باسوورد الكمبيوتر بتاعك فتحتلى موشح ومش راضية تقولى هات بتاعك إنت الأول .. هى بقت كده ولا إيه .. الند بالند يعنى ..!! ناولنى يا ابنى سيجارة من اللى فى إيدك دى خلينى أطلع فيها همى ..

ما لبث أن أنهى كلامه .. حتى تناثرت الضحكات يمينًا وشمالًا .. وقال أحد أصدقائه ساخرًا..

- شفت .. آدى أخرة التناكة .. لعلمك تستاهل أه والله تستاهل إللى بيحصلك دا .. أصلك كنت طالع فيها قوى .. وعاملنا فيها عم العالم وعظيم العظماء .. وبتحب القراية والعلم والمعرفة وبتدور على واحدة تشاركك اهتماماتك .. وتكون مثقفة وتكون وتكون وتكون .. وقعدت تحلم وتتخيل وكلنا قلنالك إن البنت إللى فى خيالك دى ما بقتش موجودة وحتى

لو لقيتها واتجوزتها عمرك ما هتفرح معاها ولا هتعرف تسيطر عليها وإنت ما صدقتناش .. عامة كويس إنك قلت كده أهو عشان إحنا لسة ما إتجوزناش يا عم .. والتجربة خير دليل .. (قالها ثم مد فمه إلى العمود الممتد من دخان الشيشة سحب نفسًا عميقًا .. ثم نفخه فى الهواء)

رد آخرًا بسخرية – إوعى ياض يا عادل تكون كل ما بتيجى تقولها تعالى نعمل إللى بالك فيه بتعد كمان تسألك وتجادلك وتقوله إيه وليه وإدينى اسبابك .. آه حاكم الحاجات دى مالهاش أسباب ..

عادل – إنت بتقول فيها .. دى من كام يوم بتقولى إنت مش ملاحظ إن كل كلامك معايا بقى يا فى الأكل يا فى الحاجات دى ..

رد أحد الأصدقاء المتزوجين ..

- بص الواد دا والمصحف معاه حق .. لعلمك أنا لما جيت أتجوز .. نقيت واحدة ست بيت شاطرة وتعليمها على قدها .. لازم تكون أقل منى كتير طبعًا .. إحنا كده الراجل مننا لازم مراته تكون طوعه وأقل منه عشان يعرف ياخدها تحت جناحه .. إنت اسمع بقى حلك عندى إوعى تكون بتجيبلها شغالة، خليها تشقى فى البيت شوية وتطبخ وتنضف وكده.. وهتلاقيها إتعدلت معاك..

رد عادل بسخرية .. ما هو دا اللى هيجننى .. أجيبلها شغالة مين دا أنا أول ما إتجوزنا كنت هبوس رجلها عشان إجيبلها شغالة .. بس هى ما رضيتش تقولى ما أدخلش حد غريب بيتى .. بتعمل كل حاجة بتطبخ وتنضف وترتب وتنظم .. كأن طالعلها سبع رجلين وتمن إيدين بتعمل كل حاجة لوحدها بنت اللذين ..

رد أحد الأصدقاء الذى كان يجلس فى زواية الطاولة صامتًا يراقبهم منذ البداية..

- طب ولما هى كده إنت عايز إيه تانى ..؟؟

عادل – أووووف ... ما أنا قلتلك عايز أحس إنى كبير فى نظرها .. وتسمع كلامى من غير جدالات ورغى كتير أنا إتخنقت من الطريقة دى ما بقيتش مستحمل .. مش عارف أتحكم فيها يا أخى ..

- خلاص .. يبقى تجرب معاها طريقة جديدة .. صمم على رأيك .. وبعد كده لما تطلب منها حاجة وتسألك عن السبب قولها هو كده وزعقلها واشخط فيها شخطتين هتهد وتسكت وتسمع الكلام ومع الوقت هتتعود عالنظام الجديد .. ولو ما إتعودتش مفيش مانع تلطشها لطشتين كده هتتعدل معاك .. والمثل بيقولك إكسر للبنت ضلع يطلعلها 24 ضلع ..

عاد عادل فى هذه الليلة متأخرًا إلى البيت .. بينما لم يرد على اتصالات ميزة المتتالية أثناء جلسته مع أصدقائه .. وقف أمام باب الشقة، مد يده فى جيبه فأخرج المفتاح .. بعد أن قرر ألا يدق الجرس هذا اليوم ..

كانت ميزة قد أمضت يومًا عصيبًا تقلبت فيه أعصابها يمينًا وشمالًا بفعل تأخيره .. وعدم رده على اتصالاتها المتتالية .. إلا أنها ما إن سَمعت صوت سيارته .. قد ركضت إلى الطاولة وفتحت الكمبيوتر .. وجلست أمامه محاولة أن تدعى أنها تعمل .. حتى لا يعرف شيئًا عن قلقها عليه..

دخل إلى المنزل مستقيم الظهر .. رافعًا أنفه إلى الأعلى .. وينظر إليها بشراسة .. نظرة تنم على كم الأفكار التى كان مشحونًا بها .. منها تلك النظرة، التى تَنُم عن كل هذه الكلمات، التى قد أعدها مسبقًا ليقولها لها..

كانت جالسة إلى طاولة الطعام .. وجهاز الكمبيوتر مفتوحًا أمامها .. وقف عادل أمامها بينما تجنبت النظر إليه .. تظاهرت أنها لا تراه .. وفى تلك اللحظة قال لها بحدة ..

- ميزة .. إنتى مش شايفانى ولا إيه يا هانم ..

لم ترد سؤاله .. وتابعت عملها ..

- ميزة .. ميزة .. أنا بكلمك على فكرة ..

- لأ شايفاك يا عادل إرتحت .. شايفاك وسامعاك ومش عايزة أرد .. إنت شايف الساعة كام دلوقتى .. تقدر تقولى حضرتك كنت فين كل ده وسايبنى قاعدة قلقانة عليك .. تقدر تقولى كنت فين كده وما كلفتش نفسك ترد على مكالمة واحدة بس من مكالماتى ..

- كنت فى مشوار كده ..

- مشوار كده دا اللى هو يطلع إيه يعنى ..؟

- يطلع زى ما يطلع .. المهم أنا جعان قومى حضرلى العشا ..

- الأكل عندك فى المطبخ .. قالتها ثم عاودت النظر إلى جهاز الكمبيوتر..

- طبعًا الهانم مش فاضية لبيتها ولجوزها .. قاعدة بتشتغليلى ليل نهار وناسية إنك متجوزة راجل .. فاكرة نفسك متجوزة نطع زى إللى صاحبتك متجوزاه .. بس عامة خلاص الكلام ده هينتهى النهاردة .. أنا قررت إن إنتى لازم تسيبى شغلك عشان تعرفى تنتبهى لبيتك وجوزك ..

أسندت ميزة ظهرها إلى الكرسى .. وشبكت يديها بعضهم ببعض .. ثم نظرت إليه بسخرية وقالت ..

- يا سلاااام .. إنت حضرتك قررت كده بين يوم وليلة إنى لازم أسيب شغلى .. عشان ما أثرش على بيتى وعلى اهتمامى بيك .. صح؟

- آه صح .. وهتسيبيه وكلامى هيمشى ..

- ولو قلتلك إنى مش موافقة ..

- مش موافقة إزاى يعنى ..؟؟

- مش موافقة زى الناس يا أستاذ عادل .. عشان إنت حججك فارغة وشكلك مشحون وجاى تطلع غضبك عليا كالعادة .. بيتى إيه يا عادل وجوزى اللى أنا مش واخدة بالى منهم .. ما تبص حواليك كده، هو إنت من ساعة ما إتجوزنا لحد دلوقتى كنت عمرك رجعت البيت يوم ما لقيتش أكل؟؟ ولا عمرك فتحت دولابك ما لقيتش هدوم نضيفة .. ولا مثلًا مثلًا عمرك شفت تراب على أى حاجة جوا البيت .. ولا بلاش دى إنت عمرك دخلت من باب الشقة لقيتنى بقولك معلش مش هقعد معاك عشان ورايا شغل .. أنا بشتغل فريلانسر لو إنت مش واخد بالك يعنى شغلى إصلًا بعمله من البيت حتى ما بخرجش .. عشان كده بقولك قرارك دا أنا رافضاه ومش موافقة عليه ومش هسيب شغلى ..

- يعنى إيه يعنى إنتى بتعارضى كلام جوزك .. أنا الراجل هنا وكلامى هو إللى هيمشى ..

- وأنا بقولك لأ مش موافقة .. والموضوع مش موضوع راجل وست .. الموضوع موضوع صح وغلط ..

اقترب منها عادل بينما يعلو وجهه نظرة غريبة من الغضب .. كانت هذه النظرة جديدة تمامًا عليها .. كانت تراه فى هذه اللحظة كما لم تره ولم تعرفه من قبل .. رجلًا أخر مختلف تمامًا غير ذلك الرجل، الذى قد عرفته طوال تلك الفترة .. كانت حركات يديه المتوترة توحى لها بشىءٍ ما .. شعرت لتوها أنه على وشك أن يضربها ..

- كده .. إنتى بتتحدينى .. طب أهو ..

أمسك عادل جهاز الكمبيوتر الخاص بها بحركة فجائية وسريعة وعنيفة وألقى به على الارض بقوة .. ثم قفز بإحدى قدميه يدعس على ما تبقى من الجهاز ليتأكد أنه قد دمره بالكامل .. وهكذا قد صَبَّ جام غضبه على الجهاز متفاديًا بذلك ضربها هى نفسها فى أخر لحظات ..

- إنت بتعمل إيه يا مجنون .. إنت أكيد إتجننت إنت مش طبيعى .. أنا مش هقعدلك فى البيت دا ثانية واحدة ..

فى تلك اللحظة .. أدرك عادل أن الخطة لم تَسِر كما المتوقع .. أراد أن يفعل شيئًا .. أى شىء .. إلا أنه فقط لم يكن يخطر بباله ما هو الأمر الذى يتوجب عليه فعله فى تلك اللحظة .. لو اتخذ أى خطوة ليمنعها من الذهاب لانتقص من رجولته .. ولو تركها تذهب إلى بيت أبيها فى تلك

الساعة المتأخرة .. لانتقص من رجولته أيضًا .. كان عليه أن يختار الآن بين أمرين كان يظن أن كلاهما يعتبر انتقاصًا حادًا لرجولته ..

لذلك ظن أنه يتوجب عليه استكمال ما بدأ .. قرر أن يتركها تذهب للمبيت عند أبيها فى تلك الساعة المتأخرة .. أدبًا لها .. من وجهة نظره هو ..

جلس فى غرفة الجلوس .. وفتح التلفاز ورفع الصوت .. ليؤكد لها عدم اهتمامه بمسألة رحيلها .. بينما استطاعت أن تجمع هى بضعة أشياء فى حقيبة سفر صغيرة كانت تمتلكها وتضعها فوق الخزانة فى غرفة النوم.. تركت ميزة المنزل بينما كانت الساعة قد عبرت لتوها حدود منتصف الليل بالفعل .. وجهها يحمر من فرط الغضب .. لا بل كان يحمر من فرط قوتها فى كبح جماح دموعها .. التى انهمرت بقوة ما إن أدارت محرك السيارة .. وقادتها بعيدًا بما فيه الكفاية عن المنزل ..

بينما هو .. وضع يده فى جيب بنطاله .. فوجد تلك الورقة .. التى تحمل رقم سوسو .. ولا يعلم لماذا رآها تلمع فى تلك اللحظة .. كما لو كأن هناك ضوءًا خفيًا ينبعث منها..

***

على الرغم من تدنى مستواها الاجتماعى .. إلا أنها كانت تمتلك هاتفين كلاهما من أحدث الموديلات المطروحة فى السوق .. لم تتعب لأجل الحصول عليهما كثيرًا .. فلقد ادخرت بعض المال لأجل أحدهما بينما حصلت على الآخر هدية من أحد رجالها .. نظير خدماتها منقطعة النظير.. كانت سُهير الشهيرة بسوسو .. تظن أن امتلاكها إلى هاتفين سوف يُحَسِن من شعورها تجاه نفسها .. سوف يمنحها لحظات من الإحساس بالمساواة

مع بقية النساء الشريفات .. اللاوتى تمقتهن هى بقدر ما تتمنى فى أعماق أعماقها أن تحظى بحياة شبيهة بحياتهن ..

بالإضافة إلى أن امتلاكها لهاتفين كان يُسهل على أصدقائها من الرجال الوصول إليها .. كانت تستعد للنوم باكرًا فى هذا اليوم عندما دق هاتفها .. نظرت إلى الشاشة فلم تتعرف إلى المتصل، فقد كان رقمًا غريبًا هذه المرة .. فكرت ألا تُجيب، ثم عادت فى لحظة عن قرارها .. وقالت بصوتها المعهود بنبرته الخلاعية، التى توحى بأنوثة مزيفة مدعاة ..

- آلووو .. مين عايز سَوسو ..

جاء الصمت كرد لبرهة .. يليه صوت أنفاس شخص متردد ..

- آلوو ..

- مين .. مين عايزنى؟؟

- أنا .. أنا ..

- سى عادل بيه .. يادى الهنا يادى الهنا .. والنعمة عرفتك من صوتك يا بيه .. أى والله .. أصل سوسو على طول كده مرزقة .. وقلبها دليلها .. كنت حاسة يا أخويا إنى هنول الرضا وإنك هتتصل النهاردة ..

- تعاليلى دلوقتى ..

أعطاها العنوان .. ثم أغلق الهاتف .. وهو لازال ينظر فى ذهول إلى تلك الورقة الصغيرة، المكتوب عليه رقم هاتفها التى قد منحته إياه هذا الصباح .. كان لا يعلم لماذا فعل ذلك .. هل فعلها ليعاقب ميزة ..؟؟ هل

فعلها رغبة منه فى إيذاء زوجته العزيزة ..؟؟ أم يفعلها الآن ليؤذى نفسه هو بدون أن يدرى ..!!

بل بالأحرى كانت الإجابة عن هذا السؤال قابعة فى أكثر أعماقه ظلامًا.. والتى كان هو يعلمها جيدًا ولكنه فقط يأبى أن يعترف لنفسه أمام نفسه بدوافعه الخفية التى قد دفعته لارتكاب تلك الجريمة لتوه .. رغباته الذكورية الدفينة، التى تدفعه دفعًا لأهمية الشعور بهيمنته و سيادته على أحد الكائنات الأضعف .. هى ما دفعته حقًا إلى فعل هذا الأمر..

يال غباءك يا عادل .. ها قد تناولت الهاتف واتصلت وأحضرت لتوك امرأة لعوب إلى منزل الزوجية .. إلى منزل زوجتك .. المُحاط بمنازل الجيران.. الجيران اللذين يعرف معظمهم زوجته .. ولكنه ومع ذلك لم يفكر فى هذا الأمر .. بل لم يفكر البتة .. فقد كل ما فعله هذه الليلة هو أن يُلغى عقله وقلبه .. وأن يتبع غريزته الحيوانية، التى تسكن فى أكثر أعماقه ظلامًا..

بعد قليل اتصلت سوسو لتخبره أنها أوشكت على الوصول .. حتى يستعد .. أغلق الهاتف وتركه ودخل راكضًا إلى غرفة النوم .. فتح خزانته وأخرج منها الجلباب الوحيد، الذى يملك .. فقد أحضرته له أمه قبيل زواجه، حتى تشجعه على الذهاب كل يوم جمعة لحضور الصلاة فى المسجد كما ربته هى ..

وها هو عادل الرجل، الذى لطالما كره ارتداء الجلباب عبر سنوات حياته .. حتى قبل أن يلتقى ميزة بأعوام .. لطالما كره ارتداءه .. لما كان الجلباب ولازال يبرز حدة الشبه الذى يجمع بينه وبين أبيه الرجل القاسى، الذى لم يكره عادل أمرًا فى حياته ككرهه لأن يكبر ليجد نفسه

يتحول إلى نسخة أخرى عن هذا الرجل .. وهكذا وعلى الرغم من أن لا ميزة ولا أمه ولا أى إنسان قد منعه قبلًا من ارتداء هذا الزى سوى نفسه.. إلا أن نفسه الآن قد دفعته لأسباب غير معروفة إلى ارتدائه.

ركض ففتح الباب .. دخلت سوسو ويعتلى وجهها تعبيرات تدل على حالة الفرح العارم التى كانت تعيشها فى تلك اللحظة .. سوسو التى ظن عادل أنها سعيدة لأنه سوف يمنحها الآن شرف الحصول عليه بعد طول انتظار..

إلا أنها كانت سعيدة جدًا فى الحقيقة، لأن عادل هو أول رجلًا من زبائنها .. يسمح لها بدخول منزل الزوجية الأنيق .. فقد كان بقية زبائنها من الرجال أذكى من أن يتركوا لها خيطًا تستطيع أن تستدل به على المنزل، الذى تقطن به زوجته وأولاده .. كانت سوسو سعيدة بالبيت بينما كان غرور عادل قد عبث بعقله وأوهمه أنها سعيدة لمجرد حصولها على شرف البقاء بالقرب منه ..

كانت سوسو قد استعدت وارتدت أفضل ما تملك، ثم ارتدت من فوقه عبائتها السوداء اللماعة الشهيرة .. بل قد أحضرت معها فى حقيبتها زى العمل الرسمى .. لعلمها المسبق أنها سوف تمضى الليلة فى بيته.

منذ أن وطأت قدماها أرض البيت .. وهو يعاملها بازدراء مغلف بلغة لا تحتوى على شىء سوى الأوامر.. قال لها وهو يشير على الأرض ..

- انتى يابت .. اعدى هنا ..

ركضت ببلاهة وجلست القرفصاء فى تلك البقعة التى قد أشار هو لها.. بينما كان هو جالسًا بعلياء على الأريكة المقابلة لبقعتها .. ينظر إليها من أعلى ويقول ..

- تعرفى إيه عن الشاعر بوشكين وقصته مع مراته ..؟؟

وها قد بدأت علامات البلاهة تظهر أكثر فأكثر على وجهها .. وتضع إحدى يديها على خدها.

- لا مؤاخذة يا بيه .. مش فاهمة حاجة .. ما تأخذنيش يعنى بس أصل العلم..

- إخرسى .. (قالها بنبرة تعسفية) مش فاهمة يبقى تخرسى وتسمعى..

- تحت أمرك يا بيه ..

وهكذا أمضى عادل ما يزيد عن الساعة والعشر دقائق فى حوار مستمر .. حوار لا يسمع فيه صوتًا سوى صوته .. ولا يرى فى عينى مُحاوره شيئًا سوى تلك النظرة بالانبهار التى لطالما كان يتمنى رؤيتها فى عينى ميزة، ولكنه لم يفلح .. نظرة بالانبهار ممزوجة بالكثير والكثير من الجهل والبلاهة.. وجه سوسو الذى كان يتركب من فمٍ مفتوحٍ من فرط الغباء .. يعلوه تلك النظرة .. نظرة الإنسان الذى قد بلغت به بلاهته إلى تلك الدرجة، التى سوف تكون فيها إجابته على كل الأسئلة وعلى أى الاسئلة .. نعم دون تفكير .. وهكذا .. قاد عادل سلسلة من النقاشات الأدبية المستمرة المتعلقة بالشاعر الروسى بوشكين وأشعاره .. ثم انتقل فجأة إلى الحديث عن قوانين الجاذبية الأرضية .. بينما كان يبدو لمن يراه من بعيد

كالكائن، الذى يستمد قوته واحترامه لنفسه من خلال التغذى على غباء وبلاهة الآخرين ..

فقد كان عادل فى تلك الحالة، التى جعلته بأمس الحاجة لأن ينظر إلى أى كائن من أعلى .. وقد منحته سوسو تلك الفرصة بكل سهولة .. فقد كان يروى لسوسو الكثير عن تلك الموضوعات المعقدة، التى يعلم هو جيدًا أنها أبعد ما تكون عن تفكيرها البدائى الشهوانى العادى جدًا.

وبعد أن أنهى حديثه .. شعر أنه قد نال كفايته من الشعور بالعظمة اليوم .. اعتدل من موضعه .. فوقفت هى بدورها ظنًا منها أنها سوف تنضم إليه فى فراشه الليلة .. إلا أنه نظر إليها بغضب متفحصًا..

وقال .. إنتى رايحة فين كده إن شاء الله ..؟

منحته تلك الضحكة الرقيعة .. التى عادة ما تستخدمها فى مثل تلك المواقف..

- إيه يا بيه .. يعنى هكون رايحة فين يعنى .. دا إنت أبو المفهومية ..

- إمشى يا بت إطلعى برا .. (قالها وهو يشير إلى باب البيت) ..

- إيه يا بيه .. ودى تيجى برضو هتسبنى أنزل فى الوقت ده لوحدى دا أنا ولية .. (قالتها ظنًا منها أن نَخوته سوف تمنعه من تركها فى الشارع فى هذا الوقت .. وهى لم تكن تعلم أنه قد فعلها لتوه مع زوجته) ..

- إطلعى برا يا بت دلوقتى حالًا .. يإما هفتح الباب وارميكى فى الشارع بإيدى..

- حاضر يا بيه .. اللى تشوفه ..

وهكذا قامت من موضعها وسارت فى خطى بائسة نحو الباب، وعيناها موجهتان للأسفل بينما كانت قد عكفت فمها إلى أحد جانبى وجهها تعبيرًا عن الخيبة .. فتحت الباب وذهبت فى طريقها .. بينما دخل هو إلى غرفة نومه .. ولازالت رأسه مرفوعة للأعلى بنفس هيئة الكبرياء، التى قابلها بها .. اضطجع لينام وهو مرتاح السريرة فى هذه الليلة ..

***

كان أحمد قد خَلُد للنوم بالفعل فى تلك الليلة .. فلقد اعتاد منذ زمن أن ينام مبكرًا .. فليس بحاجة للسهر بعد رحيل زوجته وونيسته .. بينما كان مصطفى يتحدث إلى مها عبر الهاتف كعادته .. فى سهرتهم التليفونية الليلية .. التى لطالما اعتادوا عليها .. عندما وجد ميزة تفتح باب الشقة وتدخل وفى يدها حقيبة صغيرة .. أغلق مصطفى الهاتف على الفور ونظر إلى وجهها، الذى كان يبدو على وجهه علامات البكاء .. تناول منها الحقيبة.. ثم قال بصوت يملؤه القلق ..

- ميزة .. مال عينيكى ... إنتى كنتى بتعيطى مش كده .. عملك إيه عادل.. عملك إيه ..

استيقظ احمد لتوه على صوت مصطفى .. وجاء مسرعًا ..

- فى إيه ميزة يا حبيبتى إيه إللى جابك دلوقتى .. وجوزك فين .. إنتى غضبانة ولا إيه ..

أجهشت بالبكاء مرة أخرى .. وألقت نفسها فى حضن أبيها .. وأخبرته عن كل شىء .. روت له تفاصيل مشكلة الليلة .. والمشاكل التى تَسبِقها كذلك .. بينما كان مصطفى جالسًا يستمع إلى الكلام بانتباه، ولا تختفى من على وجهه علامات الغيظ ..

قال أحمد بصوت غاضب ..

- عارفة يا بنتى .. أنا ممكن أقولك على كل المشاكل إللى بتحصل بينكم دى إنها عادى بتحصل بين أى إتنين متجوزين فى أول سنة .. بس فكرة إن جوزك يكسرلك الكمبيوتر .. ويسيبك تنزلى لوحدك فى الوقت ده من البيت .. دى والله العظيم ما هعديهاله .. هو أنا مش سايبك مع راجل ولا إيه .. إزاى يسيبك تخرجى دلوقتى لوحدك .. على الأقل كان وصلك ..

مصطفى .. – ولا تزعلى نفسك .. ولا تعيطى .. ودينى لأربيه لما أشوفه هو بيكسرلك .. أنا هكسرله بتاعه هو كمان وأكسرله دماغه بالمرة .. مدام عاملى فيها راجل يبقى يوريني نفسه راجل لراجل ..

نظر إليه أبوه بغضب .. وقال له بحزم .. إنت إتجننت إنت كمان هو أنا ناقص مشاكل .. اللى إنت بتتكلم عنه دا يبقى جوز أختك .. ولما نحب نربيه ونعاقبه وناخد موقف الموقف ما يكونش بمد الإيد .. الموقف بيكون بالتصرفات العاقلة ..

- إنت مش سامع الكلام إللى هى بتقوله .. كل دا تصرفات عاقلة هو خلا فيها عقل .. هو مش عارف هو متجوز مين ولا إيه ... دا المفروض أصلًا يبوس إيده وش وضهر إن أختى رضيت تتجوزه وتبصله إبن ال.....

- قلتلك اسكت .. وما تتدخلش خالص .. أختك إتصرفت صح وسابتله البيت ومشيت ودلوقتى هتفضل هنا معززة مكرمة لحد ما ييجى يعتذرلها وساعتها أنا إللى هربيه وهعمل فيه اللى أنا عايزه..

نظر إلى ابنته .. ثم قال .. – خشى نامى إنتى يا حبيبتى وريحى فى أوضتك .. وما تزعليش نفسك أنا هعرف أتصرف معاه..

***

أرادت سوسو أن تُباهى بنفسها .. وبانتصاراتها فى تلك الليلة .. أمام زميلتها فى العمل الهام .. ولكنها كانت تُفكر طوال الطريق فى الصباح إلى العمل ماذا تفعل؟؟ وماذا ستُخبرها ..؟؟ كانت تعلم جيدًا أنها لا تملك قصة جديدة عن إحدى مغامراتها العظام لتروى عنها .. لذلك قد آثرت الصمت والانتظار .. حتى تحصل على قصتها المنتظرة لإخبار صديقتها .. ذهبت إلى العمل وقدمت القهوة كالعادة إلى عادل .. الذى كان موجودًا على مكتبه .. يدخن سيجارًا وتعابير العبوث تعلو وجنته .. وضعت القهوة ثم ذهبت فى صمت .. لما وجدته شاردًا بيدو عليه أنه كان متأزم الفكر .. ذهبت بعيدًا فى صمت ..

أما هو فقد عاد إلى البيت فى هذا اليوم .. وجده خاويًا لأول مرة .. وجده خاويًا ووجد نفسه هو أيضًا بمعدة خاوية .. اقترب من الطعام الذى قد أعدته ميزة بالأمس للغداء .. فوجده قد فسد بسبب قضائه الليلة بأكملها داخل الفرن .. فتح البراد بحركة بائسة بحثًا عن أى شىء مُرضى .. فلم يعثر سوى على الأجبان والبيض .. قام بقلى بيضتين كان يتبارى أثناء طهوهم مع نفسه فى إحداث أسوأ الآثار على المطبخ وأدواته التى تحبها ميزة كثيرًا .. بل والأكثر من ذلك .. شعر عادل لتوه أن الانتقام من ميزة يبدأ من

إفساد مطبخها وبيتها .. لذلك قام بقدر المستطاع بالعمل على اتساخ البيت .. واتساخ المطبخ بأكمله كذلك ..

تناول البيضتين فلم يشعر بالشبع .. ولا الرضا .. وكيف لرجلٍ تعود على تناول الطعام الجيد المُعَد مسبقًا كل يوم أن يتناول فقط بيضتين .. فَكَر قليلًا .. ثم تناول هاتفه واتصل بأحد المطاعم المشهورة .. وطلب الحصول على وجبتين من الحمام ..

وجبتين .. وَلِمَ وجبتين يا عادل ..!! لِمَ طلبت الحصول على وجبتين..؟؟

ما لبث أن أنهى مكالمته مع المطعم .. حتى اتصل بسوسو .. كانت مكالمته إليها تتلخص فى كلمة واحدة فقط " تعالى " .. وردت هى بكل طاعة.. " حاضر يا عادل بيه " ..

ركض مرة أخرى إلى غرفة نومه، التى كانت قد بدأت تتحول هى الأخرى من مكان مرتب ومحترم يصلح للنوم والعيش .. إلى مكان فوضوى تكاد عيناك لا ترى معالمه من كثرة انتشار الفوضى فيه .. خلع ملابسه وارتدى نفس الجلباب .. الذى كان يرتديه بالأمس ..

وصل الطعام قبل وصول سوسو بحوالى نصف ساعة .. إلا أنه وعلى الرغم من جوعه الشديد .. آثر البقاء وانتظارها .. ولكن لماذا تنتظرها يا عادل ..؟؟ هل بسبب عدم رغبتك فى تناول الطعام وحيدًا ..؟؟ أم ماذا..؟؟

وصلت سوسو وهى فى نفس درجة السعادة والانبهار التى كانت عليها بالأمس .. بل وهى ترتدى نفس الملابس أيضًا .. دخلت إلى البيت فوجدت

حقيبة الطعام موضوعة على طاولة السفرة .. التى ما إن دخلت حتى ذهب عادل وجلس عليها وقال لها ...

- يلا إفرشى الأكل .. أنا جعان ..

كان حديث عادل إلى سوسو فى أغلبه مقتضب جدًا .. يقتصر على الأوامر فقط.

- حاضر يا بيه .. فرشت الطعام .. ثم سحبت إحدى كراسى الطاولة وكانت على وشك الجلوس عندما قاطعها هو قائلًا ..

- إيه دا .. انتى نسيتى نفسك ولا إيه هتقعدى كده معايا زيك زيى تاكلى على نفس الطرابيزة ..

- لا مؤاخذة يا بيه ..

قالتها فى انكسار ثم جلست القرفصاء على الأرض فى البقعة المجاورة له .. بينما تناول هو بعلياء إحدى الوجبات وقذفها لها بتكبر لتأكل .. وهكذا تناول كلاهما الطعام فى صمت .. بينما كان عادل يراقب حركات سوسو أثناء تناول الطعام .. حركاتها التى توحى للكثير بشىءٍ من القرف .. كانت تُشعره بعظمته كذلك .. فهو عادل ابن الحسب والنسب، الذى يترفع بنفسه عن هذا الأسلوب وعن هذه الطريقة فى تناول الطعام ..

أنهى طعامه ثم قام واغتسل .. وجلس إلى أحد المقاعد فى غرفة الجلوس .. ثم ناداها ..

سوسو .. إنتى يا بت تعالى هنا .. أشار بيده إلى نفس البقعة التى جلست عليها بالأمس .. جاءت فجلست فى طاعة تامة .. جلست فى طاعة وصمت ..

ظل يتحاور معها لبعض الوقت .. فى موضوعات شبيهة لتلك التى تحدث عنها بالأمس .. ولكن هذه الليلة لم يطل حديثه كثيرًا .. صمت لبرهة .. ثم أمرها أن تذهب إلى غرفة الغسيل فى بيته وتجلب من هناك الطبق البلاستيكى الأحمر المستدير، وأن تملؤه بالمياه الدافئة والملح .. وتأتى لتغسل له قدميه .. ركضت سوسو بسعادة عارمة .. فأخيرًا سوف تفعل شيئًا تفهمه واعتادت عليه .. لعله يتوقف عن إخبارها عن تلك الموضوعات الكثيرة التى لا تفقه فيها شيئًا..

ظنت سوسو أن امرًا ما مِما تتوقع سوف يحدث الليلة بعد أن تَغسل له قدمه .. إلا أن ظنها لم يكن فى محله هذه المرة كذلك .. فلقد أنهت مهمتها فى غسيل قدميه .. ثم أمرها بعد ذلك أن تغادر البيت .. هذه المرة غادرت بدون نقاش أو جدال ..

- إطلعى برا ..

- حاضر يا بيه من عينيا ..

فقد كانت سوسو على دهائها .. وانحرافها .. وانفلاتها .. قد تعلمت أمرًا واحدًا حميدًا من مدرسة الحياة .. ألا وهو الصبر .. وقد كانت حرفة الصبر هى وحدها ما أخبرتها بالانتظار والطاعة بدون أسئلة ..

***

كان عادل يظن أن فى حياة ميزة حبًا أول سواه .. وهو بالفعل كان محقًا فى هذا الأمر .. فإن وجد رجلًا أخر بإمكانه مشاركته ميزة وقلب ميزة .. وحب ميزة الأول .. فهذا الرجل هو بالتأكيد أباها ..

أحمد .. الذى هدأ من روع ابنته .. ونهى مصطفى عن التدخل بعنف وطيش .. وتظاهر هو بالهدوء كرد فعل على الموقف .. إلا أنه وفى الحقيقة كان يشعر أن هناك بركانًا من الغليان يفور بداخله .. فمنذ تلك اللحظة، التى وقعت عيناه فيها على ابنته وهى تبكى .. وهو يشعر بهذا الشعور .. لعلمه جيدًا بطبيعة ميزة المحبة للحياة .. القوية المشرقة .. كما رباها هو .. لا تبكى المرأة أبدًا إلا عند حدوث أمر ليس هينًا، وهى كذلك كانت قد اعتادت أن تفعل عبر حياتها .. ألا تبكى إلا على أمرٍ كبير ..

وهكذا لطالما كان أحمد يعتقد أن هناك نوعين من البشر .. نوع مشرق ينبعث منه الضوء بطريقة طبيعية إلى الآخرين .. والآخرون مظلمون .. أو بالأحرى منطفئون .. يعيشون على ضوء الآخرين .. ولا يرون النور إلا عبر المشرقون فى حياتهم .. إلا أن أحمد فى هذه الليلة كان صدقًا يحترق بداخله .. كان يرى أن عادل قد أطفأ نور ابنته ميزة .. قد امتص منها إشراقتها وتسبب فى تحويلها إلى إنسانة مظلمة مثله ..

تظاهر أحمد بالعودة إلى النوم .. ولكنه فى الحقيقة لم ينم هذه الليلة.. بل بقى يقظًا ولم يغفل له جفن إلا بعد أذان الفجر بحوالى ساعة.. وهكذا .. لأجل ابنته .. قد آثر البقاء فى البيت فى اليوم التالى وعدم الذهاب لمكتبه ..

***

أوشك يوم العمل على الانتهاء .. بينما شعر عادل بالفراغ المطبق .. فراغ المعدة وفراغ الفكر والأهم من هذا وذاك .. فراغ البيت .. فقد كان فى السابق يملك ما يعود لأجله كل يوم .. أما الآن فشعوره بالوحدة بعد غياب ميزة جعله يبدو كالمشردين .. لا يملك بيتًا يعود إليه .. وهل يبقى البيت بيتًا من دون امرأة تشغله؟؟

فكر فى الاتصال بها .. الاتصال بميزة .. أمسك الهاتف وكانت تفصله عنها ضغطة زر .. إلا أن صفة العناد، التى قد كانت دائمًا ولازالت تشغل حيزًا كبيرًا من شخصيته .. قد منعته فى أخر لحظة ..

فكر فيما سوف يفعل بعد انتهاء يوم العمل .. فلم يبق أمامه سوى أصدقائه .. الذى قد تذكر لتوه انه لم يُباهى بانتصاره على زوجته أمامهم بعد .. فذهب والتقى بهم ليخبرهم تفاصيل تلك المعركة، التى دارت بينه وبين ميزة ..

بينما كانت ردودهم تتراوح بين تلك العبارات ...

- يا عم يا عم .. أيوه كده رفعت راسنا ..

- دا إنت ما كانش حقك تكسرلها الكمبيوتر .. دا إنت كان حقك تكسرلها دماغها الناشفة دى عشان تتعلم تسمع الكلام بعد كده ..

عادل والابتسامة تكاد تحفر طريقها بالعودة إلى وجهه مجددًا .. يعنى إنتوا شايفين إنى أسيبها شوية وما أروحش أصالحها دلوقتى ..؟؟

- آه طبعًا ياعم تصالحها .. تصالحها دا إيه دا هى اللى المفروض تصالحك..

وهنا تدخل أحد الاصدقاء المتزوجون قائلًا ..

- أنا لعلمك ما بحترمش الراجل اللى بيصالح مراته .. أنا أصلًا مراتى أخر مرة إتخانقت معاها ولطشتها حتة قلم على وشها .. زرقتلها خدها دا بتاع إسبوع كده آه والله .. عشان تبطل لماضة ومقاوحة .. ولمت هدومها ومشيت راحت عند أهلها ورمتها عندهم اسبوعين ولا سألت فيها لحد ما هى إتصلت من نفسها قالتلى وحشتنى يا أبو عيالى مش هتيجى تاخدنى .. كانت فكرانى أهبل بنت الناصحة .. بس أنا قلتلها والله البيت موجود عايزة ترجعى إرجعى مش عايزة براحتك .. إنما إنتى عايزانى أنا الراجل، أروح أخدك من بيت أهلك .. أبدًا .. على جثتى .. دا أنا أحلق شنبى دا لو عملتها مرة واحدة بس ..

عادل يسأله بانتباه – يا رااااجل .. وعلى كده بقى رجعت؟

يرد الصديق المتزوج بفخر – آه طبعًا .. إلا رجعت .. يا عم رجعت وعينيها مكسورة وجيت لقتها منضفة وناشرة الغسيل و عاملة الأكل وكل حاجة زى الفل .. أومال إيه يعنى ..

صمت عادل لوهلة .. كمن كان يُفَكِر فى أمرٍ ما .. ثم عاد وسأل نفس الصديق..

- طب وانت عرفت تسيبها إسبوعين إزاى عند أهلها .. يعنى مثلًا ما و.. "كان على وشك أن يقول ما وحشتكتش؟ ثم عاد عنها خوفًا من سخريتهم عليه " يعنى عملت إيه فى الإسبوعين دول من غير مراتك فى البيت ..

- إيه عملت إيه .. إلا عملت .. دا أنا عملت البدع .. دا أنا كنت عايش سلطان زمانى أه والله العظيم .. الهانم كانت فاكرة إنها لما تسيبلى البيت

أنا بقى هزعل وإنها كده بتعاقبنى يعنى .. بس الحلوة مشيت من هنا .. والدنيا بقت زى الفل..

عادل – مش فاهمك؟؟

يرد أحدهم – مش فاهمه إيه بس يا عم .. بيقولك سلطان زمانه .. يعنى قضاها مع بنات طبعًا ..

يالتعاسة هؤلاء النسوة .. يالسوء حظك يا سيدتى .. سوء حظك الذى ينقسم فى قسوته إلى نصفين .. نصفًا قد أتاكِ رغمًا عنكِ .. وزع عليكِ عندما وزعت الأقدار على البشر .. ونصف أخر قد جلبتِهِ على قلبك بارتكابك خطيئة سوء الاختيار .. وهكذا القيتِ بنفسك فى قبرٍ من الزواج السيء .. مع رجلٍ لا يعرف كيف يحترم امرأته .. ويثق تمام الثقة أن والدها رجل لا يحترم ابنته كذلك .. وهكذا تبقى المرأة كالكرة .. تتقاذفها تارة أقدام الزوج .. وتارة أقدام الأخ .. وتارة أخرى أقدام الأب .. يلقى بكِ زوجك خارجًا .. ولا ينفك عن ركلكِ خارج أسوار بيته الحديدية .. ويعاملك بازدراء.. بل ويمارس عنفه عليكِ كذلك .. لثقته أنكِ لن تهربين بعيدًا أبدًا ..

ففى وجود والد مثل والدكِ .. سوف تنحصر رحلة هروبك دائمًا بين اتجاهين .. أولهم من بيت أبيكِ إلى بيت زوجك .. وثانيهم من بيت زوجكِ إلى بيتِ أبيكِ .. وثالثهم من بيت أبيكِ إلى بيت زوجك .. وهكذا .. سوف تقع على حياتك لعنة الهروب ثنائى الاتجاهين إلى الأبد .. ومع الوقت سوف تتفاقم الأزمات فوق عنقك .. لتجدين نفسك غير قادرة على الهرب لما تعلق بمصيرك وجود الأطفال البؤساء .. الذين ما جلبتِهم إلى الدنيا إلا لتشاركيهم تعاستك وأحزانك وتنقليها إليهم رُغمًا عنكِ بالطبع ..

للحظات ظن عادل .. أن بقاء ميزة طويلًا فى بيت أبيها .. سوف يعيدها إليه منكسرة بمحض إرادتها كبقية النساء .. إلا أن ظنك قد خدعك يا عادل .. تمامًا كذكائك الذى يبدو من تصرفاتك أنه قد بدأ يرحل عنك شيئًا فشيئًا فى الأيام الاخيرة .. ذلك وأن ميزة امرأة غير كل النساء .. إنها امرأة تملك رجلًا يحترمها .. أبًا يقدر وجودها .. وهى كذلك امرأة تملك بصيرة حسن الاختيار .. لذلك على عكس قريناتها .. آثرت الانتظار طويلًا قبل التسرع فى الزواج .. ففى حين تزوجت كل زميلاتها تقريبًا بمجرد انتهائهم من امتحانات السنة الرابعة من الجامعة .. بل قد تزوج بعضهم قبل الانتهاء من دراستهم كذلك .. إلا أنها هى قد آثرت الانتظار لعلمها ولإدراكها الجيد بالعواقب المترتبة على التسرع فى قرار مثل هذا .. والإقدام على الزواج من أول شخص يطرق باب بيتها ..

وبالسخرية الامر .. ميزة التى انتظرت طويلًا .. وتحرت الدقة كثيرًا .. واختبرت عادل كثيرًا .. كانت قد تظن أنها عرفته بما فيه الكفاية قبل الزواج .. إلا أنها ودون أن تدرى قد وقعت ضحية قلبها فى تلك اللحظة .. قلبها الذى أخفى عن عينيها حقيقة مهمة .. ألا وهى أن عادل كان يتظاهر بكونه شخصًا أخر فى حضورها .. بينما كانت هى تتصرف معه على سجيتها منذ اللحظة الاولى ..

وهنا يبقى السؤال .. هل تسبب الحب يا ميزة فى زواجِك من عادل..؟؟ أم كان تظاهر عادل وتقنعه بصفاتٍ ليست منه فى شىء هى السبب الحقيقى وراء إتمام ذلك الزواج؟؟

بقيت ميزة فى بيت والدها .. وهى حزينة تسأل نفسها .. كيف خدعت نفسها بالظن أن عادل يُحبها بهذا القدر ..!!

إللى بيحب ما يقدرش يبعد عن اللى بيحبه كل الوقت .. لو كان بيحبنى زى ما بيقول ما كانش قدر يبات ليلة واحدة بس فى البيت من غيرى.. أنا إزاى كنت غبية كده .. دا حتى ما خافش عليا وسابنى أنزل لوحدى بالليل ما هانش عليه حتى يوصلنى .. أنا هفضل قاعدة هنا لحد ما ييجى يصالحنى .. يا إما هطلب الطلاق..

هكذا فكرت ميزة فى تلك الأيام ..

***

عاد عادل من جلسته المسائية مع أصدقائه .. ورأسه تَعِج بالأفكار الجنونية .. بل تعج بالأفكار الشيطانية .. تناول هاتفه واتصل بسوسو .. التى كانت قد بدأت بدورها تسأم من جنونه هى الأخرى .. وبنفس الطريقة المملؤة بالعنف والازدراء .. وبنفس الصوت .. وبنفس الاختزال والاقتضاب.. اقتصرت المكالمة على كلمة واحدة فقط .. ألا وهى ..

- تعالى ..

- حاضر يا بيه ..

سوسو القادمة من الأحياء الشعبية الفقيرة .. المرأة اللعوب .. التى لطالما اعتادت أن تُباهى بمغامراتها الرجالية أمام زميلتها المسكينة إلهام .. التى ينقصها الكثير والكثير من الجمال .. بل ينقصها كذلك الكثير والكثير من الحنكة والمهارة التى تملكها سوسو وتحترف من خلالها الإيقاع بالرجال..

كانت سوسو تشعر بالدونية المطلقة وهكذا وفى كل مرة تصادف عيناها فى الشارع سيدة بصحبة زوجها اعتادت هى أن تمقت هؤلاء النساء وتحسدهم كثيرًا .. وكانت تهوى الإيقاع بالرجال المتزوجون تحديدًا بغرض رد اعتبارها لنفسها .. كانت تستخدم هذه الطريقة للانتقام من كل امرأة شريفة تملك أسرة هى لا تملكها .. وتملك بيتًا هى لا تملكه .. بل بالأحرى تملك حياة هى تدرك جيدًا أنها لم ولن تملكها أبدًا فى أى يوم من الأيام .. كانت سوسو تُمارس دور العشيقة باحتراف .. ولكن عشيقة فقط لكل رجل متزوج .. حتى يمكنها أن تواسى نفسها بتلك اللحظات، التى تختلس فيها النظر إلى بعضًا من الحياة السرية لامرأة أخرى ..

قامت وارتدت ملابسها .. وبينما هى تقف أمام المرآة تضع الحجاب على طريقتها المعتادة وتخرج أطراف شعرها من مقدمة الرأس ..

- ماشى يا سى عادل .. اما نشوف اخرتها معاك إيه .. قالتها وهى تلوى فمها بتأفف..

وهكذا ذهبت إليه .. وهكذا أيضًا أمضى برفقتها هذه الليلة فترة زمنية.. لم يكن هو نفسه يدرى كم من الدقائق .. أو كم من الوقت قد عبر عليه .. كل ما يدريه هو أنه كلل مجمل الأوقات التى مضاها مع سوسو لتوه بتاجٍ من الخطيئة كُتِبَ على رأسه كلمة خائن .. تلك الكلمة التى قد مضى عمرًا بأكمله قبل أن يلقى زوجته ميزة يبالغ فى وصفه لعمق كراهيته إليها .. اكتشف عادل لتوه أنه ما كره الخيانة يومًا لبشاعتها كما كان يدعى.. وإنما كرهها لرغبته الشديدة بها .. يا إلهى .. كم هو ساخرٌ هذا العصر .. لقد أمضى ساعات ودقائق وألفَّ كتبًا يذم فى خطيبته السابقة.. التى ما منحته يومًا تلك الخيانة النكراء، التى قد منحها هو لتوه لزوجته ..

وإنما كان كل ما فعلته أنها رافقت عليه شابًا أخر .. كانت كل لقاءاتها معه فى أماكن عامة على مرأة ومسمع من الجميع.

ياللسخرية .. استمر عادل فى كراهية الخيانة، حتى ارتكبها فى أبشع صورها ..

يالفرط سعادة سوسو الآن .. لقد سمح لها عادل لتوه أن تطأ قدميها أرضية غرفة نومه المقدسة .. غرفة نومه هو وزوجته .. كانت هذه هى المرة الأولى التى ترى فيها سوسو تلك الغرفة .. بل هذه هى المرة الأولى .. التى تضع رأسها محل رأس زوجته العزيزة .. حبيبة عمره .. تلك المرأة التى انتشرت عنها الشائعات وتحدث عنها جميع العاملين فى الجريدة فور زفافها من عادل .. تحاكوا بجمالها .. تحاكوا بذوقها .. وتحاكوا بعلمها .. ها هى سوسو تفخر بنفسها لإحرازها هدف الانتصار على ميزة .. المرأة التى وعلى الرغم من أنها لم تلتقِ بها فى حياتها قط .. إلا أنها كانت فى غاية السعادة للانتصار عليها .. لقد حصلت سوسو لتوها على أغلى ما تملكين يا ميزة .. لقد حصلت على زوجِك .. وأنتِ لازلتِ فى بيت أبيكِ تبكين الحُب.. هكذا فكرت سوسو ..

كان عادل قد نجح خلال عدة أيام فقط .. فى ترك كل ما له صلة بصفة العقلِ خارج جسده .. حتى وصل به الحال إلى تلك المرحلة .. التى قد قادته إلى تلك اللحظة، التى يصل إليها الإنسان بعد أن يتجرد من كل الجوارح التى تربطه بالإنسانية ويتحول إلى حيوانٍ جائع لا يتبع أمرًا سوى تلك الأوامر التى تنبع من أعمق رغباته ظلامًا .. فأمسى يشعر أنه قد غاب عن الوعى تمامًا فى تلك الليلة .. يشعر أنه يدور فى دوامة ما .. دوامة أكبر منه بكثير .. دوامة هو نفسه لم يكن له عليها سلطانًا .. لم يكن عادل

يقوى على إيقافها أو التحكم بها أو حتى الخروج منها .. وهكذا استمر عادل فى منحها أمرًا تلو الآخر .. حتى انتهى من تنفيذ جميع رغباته الجنونية فى السيطرة .. استفاق عادل من دوامة الخطيئة وعاد إلى الواقع بمجرد خروج أخر أمر لديه ..

وهكذا تمت أولى مهمات الخيانة بنجاح .. وعندما نظر بالقرب منه فى الفراش .. وقعت عيناه على مكان ميزة فلم يجدها .. بل وجد سوسو .. لا يعرف لماذا شعر بالمفاجأة عندما رأى نظرات سوسو المبتذلة تتجه نحوه .. نظر إلى الساعة الرقمية الموجودة بالقرب من فراشه فوجد أنها قاربت الرابعة فجرًا .. وهنا لا يعرف ماذا أصابه .. قام فأمسك بسوسو من ذراعها .. وتحدث إليها بازدراء واضح كانت هى قد اعتادته بالفعل منذ أن عرفته ..

- قومى .. قومى يا بت إنتى إطلعى برا يللا .. إمشى من هنا قبل ما حد يشوفك..

- يا بيه بالراحة شوية مش كده .. مش هلاقى حاجة أركبها دلوقتى ..

- إطلعى برا البيت يا بت بقولك يللا مش عايز حد من الجيران يشوفك .. يللا قبل ما حد يصحى..

- يا بيه بس .. بس ...

- ما بسسسش .. هتقومى تلبسى وتغورى من هنا ولا تحبى أقوم أرميكى فى الشارع زى ما إنتى كده.

استسلمت سوسو لرغبته وارتدت ملابسها على عجلة ثم تسللت لتخرج من البيت مسرعة فى تلك الليلة .. التى تشاء الأقدار أن تتزامن لحظة خروجها من البيت مع انطلاق أولى نداءات أذان الفجر..

رافقها حتى باب البيت .. ليتأكد أنها سوف تتسلل برفق .. بدون أن يشعر بها ايًا من الجيران .. أو حتى بدون أن يشعر بها الحارس .. وتبين له أنه قد أخرجها من البيت بنجاح .. ثم حملته قدميه ببؤس مرة أخرى فى طريق العودة إلى غرفة نومه هو وميزة .. لا يعرف لماذا لم يقو على العودة إلى سريره مرة أخرى .. لذلك قد آثر الجلوس على أريكتها .. مقعد القراءة، الذى تحبه زوجته كثيرًا لدرجة أنه يعتبر هو قطعة الأثاث القديمة الوحيدة فى المنزل بأسره .. لعله جلس كان يشعر أن هذا المقعد قد أصبح الآن هو البقعة الطاهرة الوحيدة فى هذا البيت ..

صوت الأذان يتكرر بصوتٍ عالٍ .. وفى كل مرة يتردد فيها يخيل له أنه أعلى مما قبله .. غطى عادل أذنيه فى محاولة بائسة ليمنع وصول صوت الأذان إليهما .. إلا أنه ومع ذلك لم يتوقف عن سماعه .. أغمض عينيه لعله بذلك يكف عن النظر إلى ذاك الفراش .. محل خطيئته .. لا يعرف لماذا أجهش بالبكاء فى تلك اللحظة إلى هذا الحد .. أجهش عادل بالبكاء حد الجنون .. استمر فى البكاء والنواح كالأطفال .. البكاء الذى كان قد هجره منذ الصغر .. لما علمه والده أن الرجل الحق لا يمكن أن يبكى .. ها هو الآن يستغل فرصة وجوده وحيدًا فى البيت حتى يبكى بحرقة .. ولن يشهد على لحظة بكائه هذه سوى جدران هذا البيت، التى قد شهدت لتوها على لحظات خطيئته .. وها هى تشهد مرة أخرى على لحظات بكاؤه السرية ..

قد يظن البعض أن عادل يبكى لأنه قد خان زوجته .. أو يبكى حزنًا وخجلًا من ميزة .. وقد يظن البعض أن عادل يبكى خوفًا من الله .. إنما فى الحقيقة .. كان عادل يبكى بحرقة حزنًا على حاله .. حاله الذى قد أمسى يرثى له .. بعد أن ارتكب لتوه الفعلة التى قد قضى عمرًا بأكمله يمقتها .. ويخبر الناس عن بشاعتها .. كان يبكى لشعوره الغريب بالتناقض .. بين ما كره وما اقترفت يداه ..

انظر إلى حالك يا عادل .. ماذا سوف تفعل بنفسك الآن .. كيف ستنظر إلى نفسك فى المرآة بعد أن تكشفت لك دوافعك المظلمة ورفعت الغطاء عن نفسك أمام نفسك ..!! ها هى الأيام تقودك لتفعل الأمر الذى لطالما خشيته .. الذى لطالما كرهته .. ولطالما لاحقته فى كتبك .. وأوهمت نفسك والعالم أجمع أنك أنت نفسك كنت أحد ضحاياه .. ها قد نجح شيطانك فى تحويلك من مظلوم إلى ظالم ..

ظل يبكى ويبكى حتى انتفخت عيناه من فرط البكاء .. فقرر الذهاب إلى دورة المياه .. ليغسل وجهه بالقليل من الماء البارد .. وبينما هو ذاهبٌ .. عبر فى طريقه من أمام المرآة .. فرأى نفسه .. وبالفرط المفاجأة .. شعر للوهلة الأولى أنه لا يرى نفسه هو .. بل يرى أبيه .. أو بالأحرى يرى نسخة مصغرة عن أبيه .. الذى لطالما كانت أكبر مخاوفه أن يكبر ليجد نفسه يتحول إلى نسخة أخرى عنه..

نظر فى المرآة فى تلك اللحظة .. كان وجهه عابثًا ذو عينان منتفختان .. ويرتدى الجلباب .. وباللتشابه .. لقد رأى عادل فى تلك اللحظة على وجهه نفس علامات القسوة والعبوث، التى لطالما ارتسمت على وجه والده .. وهكذا سقط على ركبتيه أرضًا .. ممسكًا بياقة جلبابه .. واستطرد فى موجة

بكاءه الهستيرية، وهكذا ازدادت حدة البكاء شيئًا فشيئًا .. استمر فى محاولة خلع الجلباب وهو يبكى ويقول بصوتٍ عالٍ ..

- بقيت شبهه .. بقيت شبهه بقيت شبه أبوك ..

***

دخلت سوسو إلى الجريدة فى هذا اليوم .. يعتريها شعورًا مبالغ فيه بالفخر .. تكاد من شده فخرها لتبدو كمن كانت قد حصلت لتوها على جائزة كبرى .. وما أن انتهت من تقديم خدماتها الصباحية للموظفين .. عبرت على مكتب عادل فوجدته خاويًا هذا الصباح .. وعرفت أنه من المحتمل ألا يظهر اليوم ..

دخلت إلى حجرة الكافيتيريا .. أغلقت على نفسها الباب .. وأمضت الكثير من الوقت تروى لإلهام عن تفاصيل ليلة أمس ..

كان رد الهام ملىء بالتعجب ..

- إيييه .. يالهوى يا ولاد .. بقى الأستاذ عادل .. إللى بينضرب بيه المثل بالأدب والأخلاق يطلع منه كل دا .. دا صحيح إللى تحسبه موسى يصبح فرعون ..

ردت عليها بفخر واضح على تقاسيم وجهها وصوتها ..

- أومال إنتى فاكرة إيه .. يابت دا أنا سوسو .. دا أنا سوسو يا بت محدش يقدر يقاومنى ..

- آه يا قادرة .. أموت واعرف بتعملها إزاى .. بتوقعى أتخن وأنشف دماغ فى الرجالة إزاى..

- أهو دا بقى سر الطبخة .. لا يمكن أديه لحد أبدًا ..

- بس تفتكرى هو ما جاش النهاردة ليه .. داهية ليكون عقل ورجع لمراته ومش عايز يعرفك تانى .. حاكم الرجالة دول مالهومش أمان..

- مش عايز يقابلنى إيه .. فششششر .. وهو أنا هسيبه .. خلاص دا جالى برجليه .. ودينى منا سايباهولها مراته القادرة دى .. هموت واعرف سايباله البيت وبتعمل إيه .. بيضالها فى القفص بنت المحظوظة .. عارفة يا بت لو كنتى شوفتى بيتهم عامل إزاى بس .. كنتى تعرفى إن إحنا مش عايشين .. أه والله مش عايشين..

***

استيقظ عادل الخاطى .. متأخرًا ذلك اليوم، بينما لا يدرى متى نامت عيناه .. وجد نفسه نائمًا فى موضعه على الأرض .. ولم يقرب هذا الفراش مرة أخرى منذ ما حدث ..

قرر ألا يذهب إلى الجريدة .. فهو لازال لا يعلم بعد كيف سيواجه سوسو .. وكيف سوف يتعامل معها بعد أن وضع نفسه على قائمة رجالاها الكثيرون .. جلس على الأرض لوهلة وآثار النوم المختلطة بآثار البكاء لازالت تعلو عيناه من ليلة أمس..

ذهبت به مخيلتُه إلى أبشع المناطق ظلامًا .. عادت إلى مسامعه للتو أخبار كل هؤلاء الرجال من مرافقى سوسو .. المرأة التى قد بدأ يتراءى له

فى تلك اللحظة كم هى مدنسة .. يذكر الآن كل زوملاؤه فى الجريدة اللذين قد تحدثوا أمامه عن علاقاتهم الوضيعة بسوسو أو كيف اعتاد دائمًا أن تصل إلى مسامعه أخبار تلك العلاقات الكثيرة المريبة، التى لطالما اشتهرت هى بها وكانت ولازالت لا تنكرها عن نفسها كذلك .. شعر أن سوسو قد جمعت كل الدنس الأسود الموجود فى العالم واحتفظت به لنفسها وحدها هى فقط .. لفرط ما عرفت من رجال شعر أنها دنسته معها .. شعر أنه الآن متسخ مثلها .. نظر إلى جسده فشعر أنه ينظر إلى جسدٍ لم يره مسبقًا .. كما لو كان لأول مرة يرى نفسه .. كانت عيناه قد بدأت للتو ترى شيئًا جديدًا .. أو بالأحرى قد بدأت ترى أطيافًا جديدة .. نظر إلى يديه وبدأ فى شمهم .. فشعر أن هناك رائحة من القرف والدنس تغطيهما .. بل تغطى جسده بأكمله .. عرف عادل لتوه أن تلك الرائحة قد التصقت بجسده للأبد .. وهاهو يبدأ رحلته مع صديقه الجديد .. وسواسه الجديد .. هوسه بالنظافة ..

كان لازال واقفًا فى محله أمام المرآة .. عندما قرر أن يركض ويتناول هاتفه سريعًا .. ثم اتصل بإحدى الصيدليات المجاورة، التى تمتلك خدمة توصيل الطلبات إلى المنازل .. طلب منهم إرسال سائل رغوى للاستحمام مزود بمواد معقمة بأسرع وقت ممكن .. أغلق الهاتف .. وظل واقفًا فى موضعه يتحرك يمينًا وشمالًا .. لا يدرى فيم يفكر وماذا سوف يفعل .. حتى يصل طلبه .. لذلك آثر أن يمضى هذا الوقت فى محاولة بائسة لغسل يديه ..

أحدهم قد قرع باب بيته للتو .. فتح عادل الباب ولا يعرف لماذا عندما فتح الباب نظر إلى ذلك الشاب البرئ البسيط .. تلك النظرة .. ويالها من نظرة .. إنها نظرة الحسد، تلك النظرة التى تنبع من ذلك الشعور الذى قد بدأ عادل لتوه يفهم ويستوعب أن للحسد أسبابًا ودواعٍ

أخرى قد تكون بعيدة كل البعد عن السيارة الجديدة والزوجة الجميلة والبيت الأنيق .. اكتشف عادل لتوه أنه أحيانًا قد يحسد الناس بعضهم البعض على براءتهم .. يحسدون بعضهم البعض على نعمة الطهارة .. نعمة النظافة .. بل والأهم من هذا وذاك .. يحسدون بعضهم البعض على حرية الاحتفاظ بنقائهم الطبيعى .. وشفافيتهم .. تلك الأمور، التى قد أدرك عادل لتوه أنه أبعد ما يكون عنها..

حصل على حمامًا طويلًا .. ولم يقرر الانتهاء منه حتى شعر بالإطمئنان النوعى .. أنه قد أصبح نظيفًا بما فيه الكفاية .. ليخرج .. إلا أنه لم يكن يدرى أن ذلك الشعور بعدم النظافة، الذى قد بدأ يزوره لتوه .. لا ينبع من الخارج .. وإنما من الداخل .. لذلك فإن هذا الشعور بالاتساخ لا يمكن أبدًا لإنسانٍ أن يقضى عليه من خلال الاستحمام .. فهو شعور داخلى ينبع من مكان لا يمكن للماء بلوغه ابدًا ..

وهكذا .. لطالما انقسم الخطائون عبر تاريخ البشر إلى صنفين .. صنف يُخطئ ثم يقوده الشعور بالذنب إلى التوبة .. وصنف أخر .. يُخطئ .. ثم يركض مسرعًا ليلقى بنفسه إلى أقرب يدٌ هو على يقين من أنها سوف تهنئه على خطأه .. وبل وستصفق له كذلك ..

وكعادة بعض الخطائين .. وكعادة بعض المُتكَبرين .. لم يكن عادل فى حالة تسمح له بتعنيف نفسه أكثر من ذلك .. لذلك قد عرف وجهته لتوه.. سوف يذهب لينضم إلى أصدقائه .. أصدقاء السوء .. ليروى لهم بكل فخر عن انتصاراته الرجولية فى المعركة التى يظن أنه قد انتصر فيها على زوجته .. وهو لم يكن يدرى إلا أنه لم ينتصر إلا لشيطانه على نفسه..

ذهب عادل هذا اليوم والتقى بأصدقائه جميعًا .. وروى لهم تفاصيل ليلته الحافلة بالأمس .. كانت ردودهم مشجعة للغاية .. فلم يقتصروا على

تشجيعه فقط .. بل هنئوه واحتفوا به كثيرًا .. وعلى الرغم من ردود أفعالهم المهنئة .. المُسكنة للضمير .. الا أن عادل لم يجد عندهم ما يُهدئ من روعه .. لم يرتح لسماع حديثهم كما ظن .. ولم يجد فى حديثهم أى شعور بالراحة .. لذلك عاد إلى بيته تلك الليلة وقد قرر أنه سوف يعيد ميزة إلى البيت غدًا ..

وهنا بدأت لديه مشكلة جديدة .. ألا وهى أحمد المسعدى .. والد زوجته وحموه .. فقد كان عادل يعلم جيدًا انه باستطاعته مراضاة زوجته فقط بعدة كلمات .. لكن والدها .. كان هذا أمرًا صعبًا ومهمة ليست بهينة.. بحيث كان عادل يعلم جيدًا إنه فى طريقه لمراضاة ميزة ينتظره كلامًا لاذعًا من والدها ..

كانت الساعة بالفعل قد قاربت على الثانية عشر ليلًا .. إلا أن عادل كان لازال يقظًا يحاول التفكير فى أمرٍ ما يخول له استعادة ميزة إلى البيت بدون التعرض لوالدها .. وعلى الرغم من تأخر الوقت .. إلا أنه تناول هاتفه واتصل بخالتها هدى بدون تفكير مسبق .. فقد كان ضميره يغلى بما فيه الكفاية للدرجة التى قد قضت على صبره .. لم يكن يقوى على الانتظار للصباح لمكالمتها ..

رحبت هدى بمكالمته كثيرًا .. وعنفته قليلًا .. وعاتبته قليلًا .. ثم اتفقا على أن تُرافقه غدًا فى رحلته إلى بيت عائلة ميزة .. لأجل استعادة زوجته ..

أغلق الهاتف سعيدًا بحصوله على محامٍ أخر .. بإمكانه الاستعانة به فى وجه أحمد المحامى المحنك .. والأب الغاضب لابنته ..

***

هُدى .. وماذا عنكِ يا هُدى ..!! كيف سموكى عبثًا بهُدى، بينما على ما يبدو انكِ فى الحقيقة تفتقرين إلى الكثير والكثير من الهُدى ..

وهكذا و لو عومِل كل إنسان بما يحمله اسمه من معانٍ .. لخدعتنا الأسماء كثيرًا كما اعتادت المظاهر دومًا على خداعنا ..

هُدى .. الزوجة المصرية العتيدة .. التى تلعب فى الحياة أدوارًا متعددة.. فهى تارة زوجة وربة منزل .. تارة أم .. وتارة أخرى خالة لميزة وأخوها مصطفى .. وهكذا تتعدد أدوارها، تلك الأدوار التى لا يمكن لأحدهم إنكار أهميتها .. الا أن هناك أمرًا واحدًا يجب الوقوف عليه لإنكاره.. ألا وهو أن هدى كانت تظن أنها سيدة السيدات .. أنها أكثرهم أمومةً .. وأكثرهم حُبًا .. وأنجحهم كزوجةً .. كانت تعتقد أن أبنائها محظوظون فقط لمجرد فكرة أنهم قد ولدوا ووجدوا أنفسهم أبناءًا لها هى.. محظوظون فقط لأن الحظ حالفهم بعثورهم على أمٍ مثلها هى .. والأكثر من ذلك أنها كانت تظن أن كل من فى الأرض من أولاد وبنات يتمنون فى أعماق أعماقهم أن تكون هى أمًا لهم بدلًا من أمهاتهم الحالية .. بل ويحسدون أبنائها عليها كذلك ..

كانت تظن عبثًا أن أعظم هدية قد تُهادى بها امرأة ما .. هى تلك النصائح الذهبية الرنانة .. النصائح، التى لطالما لقبتها هى بنصائح .. لكنها فى الحقيقة لم تكن فى أغلب الأمر بنصائح .. وإنما هى مصائب مغلفة بكلمة نصائح ..

كانت تستمد سعادتها الأزلية من التدخل فى مشاكل الناس .. والإغداق عليهم بالكثير والكثير من الارشادات .. كانت تتسلى بدور " حمامة السلام " هذا الدور الذى كان يشعرها بأهميتها كامرأة .. تلك الأهمية التى

لطالما ولازالت تفتقد إلى الكثير منها فى حياتها هى الشخصية .. بل فى داخل بيتها هى كذلك ..

هى التى كان أولادها يكادون يفقدون عقلهم من فرط تدخلها فى أدق تفاصيل حياتهم .. مما كان يقودهم فى الكثير من الأحيان إلى الصراخ فى وجهها والتشاجر معها ومعاملتها بازدراءٍ بين ..

هدى التى كانت تفخر بمهارتها كربة منزل .. كانت فى واقع الأمر لا تجلب لنفسها كوب مياه واحد فى منزلها .. فقد عودت زوجها منذ زمنًا على تناول الطعام بالخارج أو إعداده لنفسه بنفسه فى البيت فى حال أراد يومًا تناول طعامًا منزليًا .. وهكذا كَبُر ابنائها ليجدوا أنفسهم ينشأون تحت رعاية امرأة مهملة .. مفعمة باللامبالاة .. هى نفسها كانت بحاجة إلى من يرعاها .. وهكذا اعتادت هدى أن تتمارض تمامًا فى توقيت كل مشكلة تحدث بينها وبين أحد أبنائها أو زوجها .. كانت تتمارض فى سبيل الحصول على عطفهم وجذب انتباهم ثم تجلس لتُمتع نفسها بمشاهدتهم وهم يقومون على خدمتها بتفانى ..

وعن هذه المرأة .. الأم .. الزوجة .. هدى.. التى لطالما كان ينقصها الكثير والكثير من النجاحات الأسرية .. كانت هى كثيرة الحديث عن إنجازاتها الأسرية .. وعلاقاتها المترابطة بزوجها وأبنائها .. والتى هى بالفعل جميعها أحاديث كاذبة وعلاقات وروابط غير موجودة بالمرة.

ولهذا السبب دومًا .. قيل ولازال يُقال .. أن حديث الإنسان عن موضوعٍ واحد بكثرة فى كل وقت وفى أى وقت .. بسبب وبدون سبب .. لا يدل على شىء سوى فرط انتقاص كل مُتَحدث بما يجود فى الحديث عنه..

ذلك وأن البشر بعادتهم يميلون إلى إخفاء ما يُسعدهم .. خوفًا من فقدانه.. رغبةً فى حمايته ..

لذلك كانت هدى دائمًا ما تميل إلى الحديث عما لا تملك .. كانت تميل لأن تتباهى بشيئًا لم يكن يومًا عندها .. لعلها بذلك تقنع نفسها وتوحى لمن حولها بوجوده فى حياتها ..

وهكذا تبقى دائمًا الزوجة التى لا تتوقف عن إخبار الجميع عن مدى حب زوجها لها .. مثيرة للشفقة .. لكونها تسعى جاهدة لإخفاء كراهية زوجها لها ..

وهكذا يبقى دائمًا الرجل .. الكثير الكلام عن نجاحاته وإنجازاته أمام الغرباء .. مثيرًا للشفقة .. لكونه يحاول إقناع الآخرين بأمرٍ هو نفسه يعلم أنه لا يملكه .. ظنًا منه أنه وبهذه الطريقة يخفى فشله تحت قناع من الكذبات المتتابعة .. ولا يعلم أنه يفضح نفسه دون أن يدرى ..

وهكذا تبقى دائمًا الفتاة .. التى لا تتوقف عن إخبار قريناتها أنها الأجمل والأوفر حظًا .. وبأن الخُطاب يتسارعون لأجل نيل قلبها والحصول على ابتساماتها .. مثيرةً للشفقة .. فهى تعلم والجميع يعلمون أنها أكثر فتاة غير ملحوظة فى العالم ..

وهكذا أيضًا .. تبقى المرأة الكتومة .. التى لا تُفصح عن أسرار بيتها .. هى الأسعد بينهم على الإطلاق .. فهى تملك بالفعل حياة سعيدة تُخفيها عن الآخرين منعًا لإثارة الحسد .. تُخفيها أملًا فى الاحتفاظ بها لأطول فترة ممكنة ..

أما عن هؤلاء .. ممن لا يتوقفون عن توثيق أحداث حيواتهم اليومية عبر مواقع التواصل الاجتماعى .. خطوةٍ بخطوة .. يذكرون أين يتناولون الغداء وبرفقة من .. ثم يتشدقون بإخبار الجميع عن حالتهم النفسية .. أود أن أخبركم كم أنتم مثيرون للشفقة ..!!

لو كنتم سعداء بالفعل لما تسنى لكم الوقت لتُفكروا فى هواتفكم وفى إثراء صفحاتكم عبر المواقع المختلفة ..!!

لو كنتم سعداء حقًا كما تدعون أثناء تلك اللحظات .. لألهتكم السعادة عن التفكير فى أى شىء سوى هؤلاء الأشخاص اللذين أنتم برفقتهم ..!!

وهكذا تستمرون فى التباهى على بعضكم البعض .. تارة يتباهى هو بصورة سيارته الجديدة .. وتارة أخرى تتباهى هى بصورة خاتم خطبتها الحديثة .. وتارة أخرى تعلن امرأة عن تناولها عشاءًا رومانسيًا برفقة زوجها فى أفخم المطاعم عبر الإنترنت .. وفى الحقيقة لو كانت كل تلك الأمور، التى تتباهون بها تسعدكم حقًا لأخفيتموها .. وإنما أنتم تتباهون بما ينقصكم كثيرًا .. تتباهون بما ينقصكم ويوجعكم نقصانه .. تخبرون الجميع عن سعادتكم الزائفة، لعلكم بذلك تفلحون فى إنكار تعاستكم ..

وهكذا وبعد عمرٍ من الزمن .. سوف تمضى بكم الأيام .. وسوف تشيخون لتكتشفون أنكم قد أمضيتم أيامكم الأجمل على الإطلاق فى ادعاء السعادة .. بدلًا من النهوض لصناعتها بأنفسكم..

يالتعاستكم ...!!!

***

وهنا يبقى القول .. بأن عادل كان فى طريقه إلى استعادة ذكائه بعض الشىء .. بحيث أنه قد وفق فى اختياره لمن سوف يرافقه فى رحلة استعادة ميزة مرة أخرى إلى البيت ..

أما عن عادل .. الذى قد قرر قضاء ليلته فى إخفاء معالم جريمته .. ألقى بالهاتف مسرعًا من يديه .. ثم ركض فى البيت يمينًا وشمالًا .. وهكذا قام بإعادة تنظيف كل شبر فى البيت .. قام بمحو كل ذلك الاتساخ، الذى قد خلفه من قبل عمدًا فى البيت لإثارة استفزاز ميزة والانتقام منها .. دارت الدائرة سريعًا وهاهو ينظف البيت بنفسه .. دخل إلى المطبخ .. وقام بغسل كل طبق وكل ملعقة وتنظيف كل الأسطح الرخامية وتلميع كل شىء جيدًا .. ثم جمع القمامة من كل أنحاء البيت وألقى بها خارجًا حتى يتأكد أنه لن يكون هناك أى خيط باستطاعة ميزة أن تمسك بطرفه بعد ذلك للاستدلال على حدوث أمرٍ مريب فى بيتها أثناء عدم وجودها ..

انتهى من تنظيف البيت وحان الآن موعد تقفى آثار سوسو .. دخل إلى غرفة النوم التى كان قد ترك مهمة تنظيفها إلى أخر لحظة .. نزع عن الفراش الملاءة .. ثم ألقاها على الأرض ..

استخرج أحد الملاءات الجديدة من الخزانة .. ووضعها على الفراش .. ثم قام بترتيبه بعناية .. وبعد ذلك نظر جانبًا فوجد الملاءة لازالت على الأرض .. تلك الملاءة، التى قد لامستها سوسو بالفعل .. رفع رأسه قليلًا فوقعت عيناه على جلبابه المُبَجَل، الذى كان ملقىً على كرسى التسريحة .. وهكذا .. ذهب إلى المطبخ وحصل على زوجين من القفازات البلاستيكية، التى عادة ما تجلبهم ميزة من السوق بغرض ارتدائهم أثناء تنظيف وإعداد اللحوم والدجاج ..

ارتدى القفازين .. ثم حمل الملاءة و الجلباب ووضعهما فى كيس أخر من أكياس القمامة .. كان الشعور بالقرف جراء ما حدث بينه وبين سوسو تلك الليلة لازال يتملك منه بطريقة غير عادية .. لدرجة أنه لم يعد بمقدوره أن يتحمل فكرة أن تلامس يديه شيئًا قد لامسته سوسو قبلًا ..

ثم فتح باب البيت ووضعهم خارجًا .. بالقرب من بقية القمامة التى قد أخرجها لتوه ..

لقد أوشك موعد أذان الفجر .. بينما هو لازال يدور ويدور فى البيت .. تُدقق عيناه فى كل شىء .. لعله نسى شيئًا ما هنا .. أو هناك .. لعل سوسو نسيت شيئًا ما هنا .. أو هناك .. يحتاج عادل الآن أن يكون دقيقًا إلى أبعد الحدود ..

ثم نظر إلى يديه مرة أخرى .. وقربها إلى فمه .. شم رائحتهما .. فشعر أنه ليس نظيفًا .. ركض مرة أخرى فى نفس اليوم للحصول على حمام باستخدام الغسول المعقم ..

استيقظ عادل فى اليوم التالى على مكالمة من هدى .. تسأله فيها عن موعد قدومه .. وتتأكد من عدة أشياء سوف يتذرع بها كلاهما قبل الذهاب إلى بيت ميزة، واتفق كلاهما على أن تتولى هدى أمر أحمد زوج أختها المتوفاة، وأن يتولى هو أمر زوجته ميزة ..

استيقظ عادل .. ولا يعرف لماذا .. لازال يشعر بالقرف .. وبعدم النظافة .. إنه شعور شديد بالاتساخ يعتريه بالكامل الآن..

حصل على حمام أخر .. ثم ارتدى أفضل ما يملك .. وخرج مسرعًا إلى الشارع .. جلب الكثير والكثير من الزهور .. والشموع ..

عاد مرة أخرى إلى البيت .. وقام بنثر الزهور على الفراش .. وبالقرب من الفراش .. وعلى الأرض وفى كل مكان فى غرفة النوم .. حتى فاحت منها رائحة الزهور العطرية .. فقد كان أنف عادل بأمس الحاجة لأن تشم رائحة أخرى سوى رائحة الدنس، التى كان يشعر أنها تنبعث من جدران هذا البيت ..

إلا أنه ومع ذلك .. لازال يشعر أن هناك شيئًا ما ليس نظيفًا فى البيت.. دخل إلى غرفة الغسيل وتناول قطعة من الأقمشة، التى تستخدمها ميزة فى التلميع .. ثم غمس تلك القطعة فى سائل الكلور .. وقام بتلميع كل القطع الخشبية التى تتدلى من فراشه .. ثم قام بمسح الأرضيات بالكثير والكثير من السوائل المعقمة ..

ذهب إلى طاولة الطعام .. ووضع عليها الكثير والكثير من الشموع .. ثم جلب أطباق ميزة الفخمة، التى تحافظ عليها هى جيدًا .. ووضعها بطريقة فندقية جنبًا إلى جنب على طاولة الطعام .. بالقرب من الشوكة والملعقة والسكين ..

ياااه .. إيه إللى ناقص .. إيه اللى ناقص عشان ما أخليهاش تشك فى حاجة .. أه أه صح .. بالظبط كده..

ركض خارجًا .. قاد سيارته مسرعًا إلى أحد المجمعات التجارية الكبرى.. واشترى لزوجته جهاز كمبيوتر جديد .. من إحدى الشركات العالمية الكبرى .. كلفه الجهاز الكثير من المال فقد كان هذا أغلى عدة مرات من ذلك الذى كانت زوجته بالفعل تملكه ..

قد يظن البعض أن عادل قد اشتراه باهظ الكلفة لإرضاء ميزة .. وإنما فى الحقيقة قد اشتراه فى محاولة بائسة منه لإرضاء ضميره .. ولإسكات ذلك الصوت المزعج الذى لا يتوقف عن وخزه فى كل دقيقة من حياته .. منذ أن فعل فعلته ..

بينما كان لازال خارجًا من المتجر .. وقعت عيناه على أحد المحال الشهيرة، التى تبيع عطور.. دخل واشترى لزوجته زجاجتى عطر .. قد كلفتاه الكثير والكثير من المال ..

وبعد أن عاد لسيارته .. لايزال يشعر بتلك الوخزة .. وخزة ضميره .. التى باتت تعذبه ولا يعرف كيف يُسكتها .. لذلك قرر تجاهلها وتكملة الطريقة وصولًا إلى وجهته المنشودة .. بيت ميزة ..

***

سبقته هدى إلى بيت أختها .. وانفردت بميزة فى غرفتها قبيل وصول أحمد ومصطفى من العمل .. وهكذا دار بينهم الحديث ..

- يا خالتو بقولك أنا حسيت كأنه واحد تانى فى الوقت دا .. والله العظيم أنا شفتها فى عينيه دا قرب منى وكان ناوى يضربنى ورجع فى كلامه فى أخر لحظة وكسر اللاب توب .. دا إتغير وإتحول كأنى متجوزة واحد تانى غير إللى حبيته ..

- يا عبيييييطة .. دا حب .. أه والله العظيم حب .. دا لعلمك بيعمل كده من حبه فيكى ..

- إزاى يعنى يا خالتو من حبه فيا بقولك كان هيضربنى..!!

- ما هو ده إللى مشككنى فيه إنه كان هيضربك ما ضربكيش ..

التفتت ميزة إلى خالتها هدى ورمقتها بتلك النظرة التى توحى بالكثير والكثير من التعجب... ثم قالت ..

- هو إيه دا يا خالتو إنتى كنتى عايزاه يضربنى يعنى أنا مش فاهماكى..

- لأ طبعا يا روح خالتو .. بس مش كده .. الراجل من دول لما يكون بيحب مراته وبيموت فيها .. بيحب دايمًا يشوفها فى أحسن حال .. ولما يلاقيها ابتدت تتعوج منه يروح واكلها علقة حلوة من إياهم عشان ترجع تتعدل تانى .. بيقوم سلوك مراته يعنى .. أصلا ضرب الزوج للزوجة حلال أه والله حلال .. عشان كده الراجل إللى ما بيحبش مراته ما يمدش إيده عليها، ما يهموش أمرها فى حاجة .. سالت إيده منها يعنى بالبلدى كده .. يقولك والله يبقى فيها العبر ولا يهمنى منها حاجة أديها عايشة بتاكل وتشرب وتربى العيال وتخدمنى وخلاص ..

- أولًا يا خالتو مع احترامى ليكى تصحيح يعنى ضرب الزوج للزوجة فى الإسلام بالسواك .. وفى أكتر من طريقة لتقويم سلوك الزوجة برضو فى الاسلام وكلها ملهاش علاقة بالضرب .. وبصراحة يعنى أنا الكلام إلى حضرتك قولتيه دا مش ....

قاطعتها هدى .. – بلا مش بلا ممش .. إسمعى بقولك إيه إحنا ما عندناش بنات تتطلق فى العيلة دى .. آه هترجعى مع جوزك النهاردة وابوكى سيبوه عليه أنا هعرف أتفاهم معاه .. بس إنتى بس عادل زمانه جاى وأول ما ييجى أنا هدخلهولك هنا تتكلموا مع بعض .. وشغل ستات بقى زى ما إنتى فاهمة ..

نظرت إليها ميزة بدون أن تنطق بكلمة .. تلك النظرة، التى تحمل الكثير والكثير من المعانى، التى ليس بمقدور ميزة الإفصاح عنها لخالتها .. لأنها خالتها .. احترامًا لمقامها وسنها ليس أكثر.

لقد حالف عادل الحظ هذا اليوم .. ووصل قبل عودة أحمد إلى البيت من العمل بوقتٍ كافٍ .. فدخل ليتحدث إلى ميزة على انفراد وهو يحمل فى يديه الهدايا، التى قد جلبها لها..

أغلق خلفه باب غرفتها ثم وقف لبرهة لا يعرف كيف يبدأ الحديث .. ثم مد يده قائلًا فى سكون ..

- ميزة أنا .. أنا .. أسف عشان كسرتلك الكمبيوتر .. أنا جيبتلك واحد تانى غيره أهو .. وكمان دى هدية جيبتهم ليكى كمان يارب يعجبوكى ..

نظرت إليه ميزة بتعجب .. ثم قالت ..

- يعنى لو إنت متوقع إنى مشيت وسيبتلك البيت وزعلت عشان أنا عايزاك تجيبلى كمبيوتر جديد بس تبقى غلطان قوى ..

- لأ أنا عارف إنى زعلتك وزعقتلك .. وكسرتلك الكمبيوتر .. بس إنتى كمان يا ميزة عارضتينى .. وقاوحتى معايا وأنا جوزك والراجل بتاعك والمفروض تفكيرك يبقى منبثق من تفكيرى ..

- عادل إنت سامع إنت بتقول إيه .. إنت مش جاى تعتذر إنت جاى تخلى الأمور اسوأ .. ممكن تقعد بس ثانية عشان نعرف نتكلم ولو سمحت تسمعنى للآخر ما تقاطعنيش عشان عندى كلام كتير عايزة أقوله .. أنا الكام يوم دول إللى قعدتهم هنا خلونى أدركت إن المشكلة إللى حصلت

بينى وبينك أسبابها أكبر بكتير من حتة كمبيوتر وزعيق وشخيط .. المشكلة دى سبب من أسبابها الكلمة اللى إنت لسة قايلها دلوقتى حالًا اهو .. أنا جوزك ولازم تفكيرك يبقى منبثق من تفكيرى .. ما هى لو الحكاية كده يبقى إنت ما كنتش إتجوزتنى أحسن .. كنت إتجوزت نفسك أو دورت على واحدة ست تبقى نسخة منك فى طريقتك وتفكيرك وكل حاجة ..!! أنا بس نفسى أفهم إيه السر ورا محاولاتك الرهيبة دى إنك تخليني نسخة تانية عنك .. دا ربنا خلق الناس مختلفين عشان يكملوا بعض .. تفتكر ليه يعنى ما خلقهمش نسخ من بعض مثلًا..!!

لم يرد على سؤالها .. ظل صامتًا يستمع إليها .. أو على الأقل كان يتظاهر هو بذلك..

عادل إنت إتغيرت كتير .. أنا بقيت أحس فى الفترة الأخيرة إنك واحد تانى غير إللى أنا إتجوزته .. فين عادل المثقف المتفتح .. إللى كنت بعد ما إتجوزنا بنقعد أنا وهو بالساعات نتكلم فى حجات كتير فى الدنيا .. نتكلم عن كل حاجة وأى حاجة .. فاكر لما قلتلى واحنا مخطوبين إن أكتر حاجة بتفرحك وإنت معايا هى إنك بتعرف تناقشنى فى أى موضوع إنت عايزه .. راح فين الكلام دا كله .. راحت فين ضحكاتنا وحوراتنا وهزارنا مع بعض .. كل دا راح واتبدل فى لحظة .. ومرة واحدة لقينا نفسنا بقينا زوجين مملين .. كأننا متجوزين بقالنا خمسة واربعين سنة مش حيالله كام شهر .. بقيت الحياة كلها مرتبطة بالنوم والأكل والشرب .. ما بنتكلمش مع بعض غير فى الطبيخ أو الحاجات التانية اللى إنت عارفها .. كل خروجاتنا بقت من البيت للسوبر ماركت ومن السوبر ماركت للبيت .. سواء إنت أو أنا إحنا الإتنين لو تفتكر إتجوزنا بعض بعد طول انتظار .. إنت وانا أخرنا جوازنا عشان نتفادى الدايرة إللى كل الناس عايشين فيها .. الدايرة إلى بتخلى كل

الناس حياتهم زى بعض بيعملوا نفس الحجات وبيتكلموا عن نفس الحجات وبيعيشوا بنفس الطريقة ..

فاكر لما وعدتنى إن إحنا هنتجوز ونسافر نروح حتت كتير .. وعدتنى إننا هنستكشف العالم مع بعض .. فين وعودك وفين حبك ليا إللى كنت ياما بتحكيلى عنه .. فين حنيتك عليه اللى بقيت بحس إنها كل يوم والتانى بتختفى وبتتحول لواحد قاسى ومستبد مش عايز تسمع غير صوتك إنت بس ورأيك إنت بس ..

قالتها ميزة ثم بدأت فى البكاء .. غطت وجهها بكفيها .. بينما كان ميزة لتوها قد ضغطت بقوة على أعمق مخاوف عادل .. ألا و هى شخصية الزوج المستبد الطاغية القاسى، التى لطالما عصفت به فى طفولته وطوال حياته .. وهكذا كان عادل قد أقنع نفسه أن كل ضحكة وكل لمسة حنان إلى زوجته تأخذه خطوات أبعد فى طريقه للهروب من التلبس والتحول إلى نسخة أخرى عن والده ..

عندما قالت له ميزة هذه الكلمات .. شعر أنه بحاجة لأن ينفى عن نفسه تهمة التحول إلى والده .. فاقترب منها .. ووضع يده بحنو على كتفها.. ثم احتضنها بينما كانت هى تبكى ..

ثم قال لها .. أنا أسف .. إرجعى بيتك يللا البيت وحش قوى من غيرك..

اعتدلت ثم استطردت فى حديثها وهى لازالت تبكى ..

فاكر ياعادل أحلى أيام حياتنا أول ما إتجوزنا .. راحت فين حنيتك .. إنت كنت بتحضنى كل لحظة .. أول ما بفرح بتحضنى وتحسسنى إنك

معايا ومشاركنى فرحتى .. أول ما بزعل أو بتعصب على أبسط حاجة كنت بتحضنى وحضنك كان بيخلينى أهدى وافرح فى ثوانى .. كنت بتحضنى وأنا بطبخ .. وساعات بتحضنى أول ما بتصحى من النوم كنت بحس ساعتها كأنى وحشاك بقالى زمن .. مش كأنك لسة شايفنى قبل ما تغمض عنيك بليل .. كنت بتحضنى واحنا بنتفرج عالتليفزيون .. واحنا واقفين على البراندة .. إنما فى الفترة الاخيرة .. أنا فعلًا حاسة إنى ما بقيتش أعرفك..

فى تلك اللحظة .. سمعوا صوتًا صاخبًا من الخارج .. كان هذا أحمد قد وصل لتوه إلى البيت ويتشاجر مع هدى ..

- إنتِ ازاى ياهانم تسمحى لنفسك إنك تخليه يدخل يتكلم معاها من غير ما يكلمنى أنا الأول .. إنتى مش ملاحظة إنك بتتعدى حدودك ..

- ما تنساش يا أحمد إن أنا خالتها .. والخالة فى حكم الأم خاصة لو الأم مش موجودة ..

- وما تنسيش يا هدى إن أنا أبوها .. وحاليًا أمها كمان .. وانا ما أحبش إن حد يتدخل بينى وبين بنتى ..

- إنت قصدك إيه يا أحمد إنت بتطردنى يعنى ولا إيه .. ولا شكلك مش هتهدى ولا هترتاح غير لما بنتك تتطلق منه .. إنت أصلًا ما كنتش عايزها لا تتجوزه ولا تتجوز غيره .. إنت كنت عايز تقعدها جنبك كده .. وقالتها وهى إحدها يديها على خصرها وتنظر إليه بتحدى ..

وفى هذه اللحظة خرجت ميزة من غرفتها برفقة عادل الذى كان ممسكًا بيدها .. وقالت لوالدها وهى تبتسم ..

- بابا خلاص .. عشان خاطرى إهدى .. ما حصلش حاجة عادل جيه أهو واتكلم معايا وإتصالحنا خلاص..

نظر إليه أحمد بغضب .. ثم قال بنبرة من الغيظ ..

- والله إتصالح معاكى .. طب وهو بيتصالح معاكى ما قالكيش هو ليه إتجدعن قوى وإسترجل قوى كده وسابك تنزلى من البيت فى نص الليل لوحدك ..

- خلاص يا بابا والله عادل إعتذرلى ..

- أيوه بس هو ما إعتذرليش أنا .. أنا كمان لازم يعتذرلى ..

كان عادل يفور غيظًا .. ينظر إلى الأسفل فى محاولة لتفادى النظر إلى والد زوجته .. لعله بذلك ينجح فى إخفاء مشاعره ..

- خلاص يا بابا .. حقك عليا ..

- إنتى بتعتذرى ليه .. هو أنا قلتلك إن أنا عايز إعتذارك إنتى .. أنا عايز إعتذاره هو .. وعامة .. معلش بس كده سيبونا لوحدنا أنا وهو .. إتفضلوا كلكوا إدخلوا جوه ..

قالت ميزة .. طب يا بابا بس ممكن ..

- قلت إدخلوا جوه .. كلامى يتسمع .. وإنتى أولهم .. ثم نظر إلى هدى ..

قالت هدى – كده يا أحمد .. ماشى هى دى أخرتها أنا الحق عليا إنى قلبى على بنتك..

انصرفت كلتاهما إلى الداخل .. فاصطحب أحمد عادل إلى الشرفة .. وأغلق الباب من خلفهم .. حتى يتأكد أن محاولات هدى فى استراق السمع الى حديثهما سوف تفشل .. وما إن دخلا إلى الشرفة .. حتى وقف أحمد فى مواجهة عادل وعلى بعد خطوة منه .. نظر فى عينيه بتحدٍ .. وقال له بنبرة تهديد ..

- بص يا أستاذ عادل .. أنا هفهمك حاجة بس عشان نبقى على نور كده من أولها .. مش هكدب عليك أنا بنتى ميزة دى هى كل حياتى .. وأهم حاجة فى حياتى كمان .. مش معنى إنى هسيبهالك دلوقتى ترجع معاك البيت يبقى أنا كده راضى عن إللى حصل واللى بيحصل وإللى أنا عارف إنه لسه هيحصل .. أنا هسيبها ترجع معاك لسبب هو تقريبًا نفس السبب إللى خلانى سيبتها تتجوزك من البداية .. وهو إنى كنت شايف للأسف .. للأسف .. إن وجودك فى حياتها بيخليها مبسوطة .. وعشان كده بقولك إن اللحظة إللى هحس فيها إن ده ما بيحصلش وإن وجودك فى حياتها بيسببلها التعاسة .. أنا هاخدها منك تانى .. وعلى فكرة بس عشان تبقى عارف أنا عندى بنتى تفضل لوحدها حرة ومبسوطة .. أحسن مية مرة ما تكمل حياتها مع راجل ما يستاهلهاش ..

قال له عادل بهدوء .. مفهوم .. بينما مد يده لفتح باب الغرفة وهو يَهُم بالمغادرة .. فأمسك به أحمد ثم قال .. أنا لسة ما خلصتش كلامى .. أخر حاجة هقولهالك .. خليك فاكر إن المرة الجاية إللى بنتى فيها هترجع بالشكل دا .. هتبقى إنت كده حطيت نفسك فى مواجهة مباشرة معايا أنا شخصيًا .. ودى حاجة بالتأكيد إنت لسة ما جربتهاش وما أفتكرش إنك بالغباء الكافى إنك تبقى عايز تجربها ..

***

وهكذا .. مرت الليلة فى سلام .. عاد الزوجان إلى بيتهما .. كانت ميزة فى غاية السعادة، عندما رأت ما قد أعده عادل فى البيت مسبقًا .. أخبرها أنه سوف يقوم بطلب الطعام من أحد المطاعم الليلة .. لقد أبهرها الأمر كثيرًا.. فقد عادت لتكتشف أن زوجها، الذى اعتاد أن يطلب منها أن تأتى إلى غرفة الجلوس لتعطى إليه جهاز التحكم عن بعد .. الذى عادة ما يكون على بعد وسادتين فقط من مكانه .. عادت لتكتشف أن زوجها الكسول عدو التنظيم والترتيب الأول .. قد تحول فجأة إلى آلة نظافة .. صدقًا لقد أبهرتها نظافة وترتيب البيت .. والفراش وكل شىء وصولًا إلى المطبخ ..

- عاادل .. حبيبى .. مين إللى عمل كل ده؟؟

- أنا طبعًا .. أمال مين يعنى.. قصدك إيه ..؟؟ قالها بطريقة دفاعية دون أن يشعر..

- ممم يعنى مش معقول إنت إللى نضفت البيت دا كله لوحدك وخليته بيلمع كده .. كنت مخبى عنى فين المهارات دى قبل كده يا دودو..؟؟

- عادى يعنى .. أنا طول عمرى نضيف على فكرة ..

- عادل قولى بجد بصراحة .. إنت جيبت حد البيت ومش عايز تقولى..؟؟ قالتها وهى تبتسم فى مكر .. بينما رد هو بطريقة دفاعية وبدأ فى التوتر..

- لأ طبعًا حد إيه .. إنتى قصدك إيه يعنى ..؟؟ إنتى إزاى تقوليلى كده؟؟

- ياعاادل مالك إتعصبت ليه ..؟ يعنى ما فيهاش حاجة لو جيبت شغالة تنضف قولى .. مش لازم تحاول تقنعنى إن إنت إللى عملت كل ده لوحدك .. أنا برضو هفضل فرحانة إنك بتحبنى وروحت جيبت واحدة تنضفلى البيت عشان أرجع ألاقيه نضيف ..

تنفس عادل الصعداء .. ثم ابتسم قائلًا وهو يداعب خدها بيديه ..

- لا يا حياتى .. أنا إللى عملت كل ده عشانك .. ما تخافيش مش بكدب عليكى .. والله العظيم أنا إللى نضفت البيت كله لوحدى ..

ميزة المرأة، التى قد أعمى بصيرتها الحب كثيرًا .. لدرجة أنها قد تصورت أن عادل قد أبقى هاتفه مغلقًا تلك الليلة بأكملها .. وطوال فترة بقائه فى البيت رغبة منه بالانعزال عن العالم والبقاء معها وحدها فقط.. ياللهول .. ماذا لو عرفت أنه قد أبقاه مغلقًا خوفًا من إحدى مكالمات سوسو الليلية التى اعتادت أن تداهمه على غير موعد فى أى وقت لما كانت قد بدأت لتوها رحلة مطاردته التى لم تكن سوسو تنتوى أن تضع لها يومًا نهاية ..

مرت الليلة فى سلامٍ ودفءٍ ومحبة .. وفى صباح اليوم التالى ... كان عادل قد قرر البقاء فى البيت وعدم الذهاب إلى العمل كذلك .. فقد أجرى مكالمة هاتفية فى الصباح الباكر وطلب الحصول على يوم أخر كإجازة .. ومُنِحَ الموافقة ..

استيقظت ميزة من نومها .. كمن يستيقظ لتوه من حلم أمس الجميل .. وبدأت تُمارس حياتها الطبيعية اليومية العادية جدًا ..

لقد حصل عادل لتوه على حمام صباحى طويل .. وبينما هو يفتح الباب وعلى وشك الخروج .. وجد ميزة واقفة تُحدق فى تعجب فى التسريحة، التى تعلوها المرآة الموجودة فى غرفة نومها.. نظرت إليه ثم سألته ..

- عادل ... حبيبى .. بقولك إيه هو فين أزايز البرفيوم بتوعى اللى أنا كنت حطاهم هنا .. وعلبة كريم وشى أنا كنت لسة جايباها جديدة ما بقاليش أسبوع .. واللوشن بتاعى كمان .. كل الحجات اللى كانت هنا راحت فين ..

وقف عادل فى صمت .. ينظر إليها ويحاول جاهدًا أن يخفى علامات الخوف من على وجهه ولا يعلم مَن عليه أن يَذِم فى تلك اللحظة .. هل يذم عيناه الرجوليتين اللتين قد خدعتاه عندما أغفلا إخباره باختفاء تلك المستحضرات قبل حضور ميزة .. أم عليه أن يذم سوسو السارقة، التى وبالسخرية الأمر كان عادل مستاءًا من سرقتها لأغراض زوجته .. هو الذى قد منحها بمحض إرادته أغلى ما قد تملك أى زوجة .. ألا وهو زوجها .. يا بنت الحرامية يا سوسو الكلب .. أقولها أنا إيه دلوقتى .. هكذا فكر عادل فى تلك اللحظة قبل أن يتكلم..

- ما تبصى كده كويس ممكن تكونى غيرتى مكانهم أو حطيتيهم هنا أو هنا؟؟

- لأ ما غيرتش مكانهم أنا متأكدة .. هما راحوا فين؟

- عادى يعنى تلاقيكى خدتيهم معاكى وانتى ماشية ونسيتى تجيبهم معاكى تانى.

ضحكت ميزة ثم قالت له – وانا ماشية زعلانة ورايحة هيبقى عندى وقت أخد معايا الحجات بتاعتى إللى أنا سايباها على التسريحة وكمان هاخدهم وانسى..!! إزاى يعنى .. لأ بجد راحو فين؟؟

صمت عادل لبرهة ثم عرف حُجَّتَهُ الملائمة للخروج من الموقف .. اقترب منها وهو ينظر للأرض بخجل .. ثم وضع يده على إحدى كتفيها .. ومنحها تلك الابتسامة الخجلة ..

- بصى بصراحة .. أنا كنت بحاول أخبى عليكى .. أنا جيبت ست تنضف .. أه والله .. بس شكلها كده طلعت حرامية بقى ولطشت الحجات إللى كانت على التسريحة.

ضحكت ميزة بعمق .. ثم قالت له بنبرة من المزاح ..

- شفت .. أدى أخرة الكدب وحشة .. إمبارح قعدت أقولك قول جيبت ست ولا نضفت لوحدك .. وإنت تقولى أه والله العظيم نضفت .. قعدت تحلف كدب بس .. عامة ماشى .. أنا لسة مبسوطة إنك عملت كل ده عشانى .. ومش زعلانة على الحجات إللى إتسرقت ..

تناول يدها .. ووضع قبلة عليها ثم قال لها ..

- حبيبة قلبى .. ولا يهمك أنا هجيبلك أحلى وأغلى منهم ..

- ماشى بس أنا هبص فى البيت كده أدور أشوفها سرقت حاجات تانية ولا لأ .. بس إنت على فكرة مين إللى جابهالك البواب؟؟ لو كده لازم تروح تهزقه وتهدله .. عشان إزاى يجيبلك ست حرامية إفرض كنت حاطة

دهبى أو حاجة غالية هنا ولا هنا مش كانت سرقتها بالمرة .. الحمدلله إنها جت فى شوية كريمات وحاجات هبلة ..

- لأ خلاص مالهاش لازمة أى حاجة تنقص فى البيت أنا هجيبلك بدالها على طول .. هجيبلك أحلى وأغلى منها ..

- لأ بس أنا لازم أهزقه عطية دا أنا هبهدله على الحركة دى .. وهقول لكل الجيران كمان إنهم ما يطلبوش منه أى خدمات عشان هو مش بيتأكد الأول قبل ما يجيب الناس للشقق ..

ارتعد عادل خوفًا من أن تفعلها زوجته عن حسن نية .. وتشيع الخبر بين الجيران ..

- لأ يا حبيبتى إوعى تعملها حرام عليكى ..

- حرام عليا أنا .. وهو مش حرام عليه ..؟؟

- أيوه لأ حرام تفضحيه .. الفضيحة وحشة ودا أكل عيشه .. ما تحكيش لحد لحسن يمشوه من البيت وكده هنقطع عيشه هو وولاده .. يللا يا روحى .. سيبك من الكلام ده .. وروحى إلبسى عشان خارجين ..

***

لقد سارت إلهام فى خطوات مسرعة .. بينما كانت تلهث جراء صعود الدرج .. لأنها لم تكد تملك من الصبر ما يحملها على انتظار دورها أمام المصعد المزدحم كالعادة .. فتحت باب غرفة الكافيتيريا بعنف .. ثم قالت وهى تلتقط أنفاسها ..

- سوسو .. بت ياسوسو .. عندى ليكى حتة خبر .. عادل جه الجورنال النهاردة .. أنا لسة شايفاه دلوقتى حالًا..

انتفضت سوسو من موضعها بسعادة ..

- إيه ده بجد والنعمة .. إوعى كده بقى .. قالتها وهى تزيح إلهام عن طريقها حتى يتسنى لها الخروج من الباب .. فأمسكت إلهام بذراعها وقالت..

- رايحة فين؟؟

- ودى عايزة كلام .. رايحة الحمام .. أظبط التواليت إلى على وشى ده.. أمال إيه يعنى .. هو مش عشانى أصلًا دا عشان دولة ..

انتهت من الاستعداد السريع للقاء عادل .. ثم سارت فى خطى كانت تعرف وجهتها مسبقًا .. ذهبت إلى مكتبه ووضعت القهوة أمامه بحركة خليعة كالعادة ..

ما إن رآها عادل حتى نظر إليها نفس نظرة الاشمئزاز المعهودة .. ثم اعتدل واقفًا وسار خطوتين من مكتبه .. تخطاها ليعبر إلى باب المكتب .. نظر إلى الخارج فلم ير أى شخص يحوم فى الأرجاء فى تلك اللحظة .. بينما كانت هى قد وضعت القهوة على المكتب بالفعل..

أمسك بها من ذراعها بعنف .. وأطبق عليها .. وقال بصوتٍ منخفض يملؤه الكثير من الغضب..

- إنتى يا حرامية يابنت ال*****، إنتى إزاى تمدى إيدك وتسرقى حاجة مراتى وانتى عندى..

نظرت إليه نظرة استعطاف بينما كانت تتلوى فى خلاعة .. مدعية الشعور بالألم بسبب قبضته..

- يا بيه .. يا بيه .. طب سيب إيدى يا بيه .. وإيه يعنى خدتهم من عندكوا هدية .. أهو أبقى طلعت منك بأى حاجة .. إعتبر نفسك إديتهملى هدية يا بيه ..

- هدية يا بنت ال***** عامة خليهوملك .. عارفة لو عرفت كده ولا حتى شميت خبر إن حد هنا عرف كلمة واحدة بس عن إللى حصل بيننا هعمل فيكى إيه ..

ترك يدها ثم وقف ينظر إليها نظرة وعيد وتهديد ..

- حاضر يا بيه ما تخافش سرك فى بير..

أشار بيده إلى القهوة بينما كان فى طريقه ليعود ويجلس على مكتبه مرة أخرى..

- شيلى البتاعة دى من هنا .. وبعد كده ما تجيبيليش قهوة تانى .. أنا خلاص بقيت بشترى قهوتى من برا ..

- برا إيه .. ودى تيجى يا بيه برضو .. تبقى عندك سوسو .. أحلى واحدة تعمل قهوة .. وتروح تشرب من برا.. (قالتها وفى صوتها نبرة من الخلاعة بينما ترتسم على وجهها تلك الابتسامة المبتذلة) ..

- بقولك شيلى القرف دا من هنا .. وما تجيبيليش قهوة تانى .. وياريت كمان بالمرة ما تبقيش تورينى خلقتك دى عالصبح عشان نفسى ما تتسدش ..

obeikan.com

هكذا قال لها عادل .. وهكذا تصرف معها .. ظنًا منه أن وقاحة أسلوبه فى معاملتها سوف تكون كفيلةً بصرفها عنه .. ولكنه كان مخطئًا كل الخطأ كالعادة .. فلو كانت وقاحته كفيلة بصرفها عنه منذ البداية .. لما كانت سوسو قد ألقت بنفسها تحت قدميه وقررت احتمال تلك الوقاحة منه منذ البداية .. ذلك وأن سوسو امرأة لها أهداف .. صدقًا إنها امرأة لها أهداف ..!! سواء صغرت أو كبرت تلك الأهداف .. سواء عظَمُت أو هانت .. كانت فى عينيها هى أهداف وهذا هو المهم .. وهذا هو كل شىء .. فهى لم تكن تفكر جيدًا كم من الأثر سوف تضيفه أهدافها إلى البشرية، قبل أن تخطط إلى أمرٍ ما ..

إلا أنها كانت بالفعل قد عقدت العزم على الحصول على عادل .. وعدم تركه أبدًا إلا حين يحلو لها هى .. وكانت تعرف كذلك أكثر من سبيل للإطباق عليه جيدًا ..

حملت فنجان القهوة .. واتجهت إلى باب المكتب فى طريقها إلى الذهاب .. ثم التفتت إليه مرة أخرى قائلة وهى تضع يدها الأخرى على أعلى حجابها ..

- بس يكون فى علمك يا بيه .. قصدى يا سى دولة .. دخول الحمام مش زى خروجه .. إوعى تكون فاكر إن إللى يجرب سوسو مرة يعرف يسيبها.. تبقى غلطان .. دا أنا سوسو ...

ما لبثت أن خرجت من المكتب .. حتى وضع عادل يديه على لوحة المفاتيح التابعة لجهاز الكمبيوتر المقابل له .. وبعد لحظات لا أكثر .. وجد نفسه دون أن يشعر ينظر إلى يديه متفحصًا .. كما لو كأنه يرى فيها شيئًا غير مرئى لدونه من البشر ..

قرب يده التى لامست لتوها ذراع سوسو إلى أنفه .. شعر أنه يَشُم رائحة عفنة .. قام من موضعه وركض إلى المغسل حتى ينظفهما بالماء والصابون .. وبعد أن عاد إلى مكتبه مرة أخرى عاد إلى موضعه ثم مد يده فى حقيبته واستخرج منها زجاجة صغيرة .. كُتِبَ عليها سائل معقم غسول لتنظيف وتعقيم اليدين .. فتح الزجاجة وأغدق على يديه بالكثير والكثير من هذا السائل ..

وقبل أن تلامس يديه لوحة المفاتيح جهاز الكمبيوتر مرة أخرى .. نظر إلى لوحة المفاتيح وتذكر أنه قد لامسها لتوه باستخدام يده الملوثة .. التى لامست ذراع سوسو..

لذلك قرر تعقيم لوحة المفاتيح قبل بدأ العمل .. أمسك بيديه إحدى المناديل الورقية .. ووضع عليه الكثير والكثير من هذا السائل .. ثم استمر فى مسح مفاتيح اللوحة واحدًا تلو الأخر..

***

وقف أمام باب البيت .. مد يده فى أحدى جيوبه .. واستخرج مفتاح البيت .. فلقد انقطع عادل عن عادته فى طرق باب البيت قبل أن يدخل .. واستبدلها باستخدام المفتاح .. حتى يُفاجئ ميزة دائمًا ويتعرف على نشاطاتها .. دخل بخطوات هادئة حتى لا تشعر به ..

وبينما هو يدخل .. سَمِع صوت زوجته تضحك .. وتتحدث عن أحد الأفلام العربية القديمة، التى تعشقها هى بشدة .. وقف عادل بالقرب من باب غرفة الجلوس حيث كانت تجلس ميزة .. ووقف يختلس السمع .. بينما كانت سارة لتوها تُخبر ميزة عن أمرٍ ما ..

- ميزة .. إنتى فى حد عندك فى البيت ..؟؟

- لأ مفيش غيرى .. عادل لسة ما جاش .. كان عادل فى تلك اللحظة يقف خلف الباب يختلس السمع فى حماس ..

- إنتى بجد لوحدك ..؟

- أه والله العظيم لوحدى مالك فى إيه ..

- اصلى مش عارفة ليه حاسة إنى لمحت من ورا صورتك كده رجلين ماشية ..

- إيه إنتى متأكدة؟؟

- أه متأكدة .. إنتى معاكى سلاح أو حاجة ..؟؟

انتفضت ميزة من موضعها بقلق .. – لأ معاييش ولا حاجة .. بس عادل زمانه جاى .. أنا هعمل إيه دلوقتى ..

- إهدى كده وروحى بسرعة إندهى على البواب وِعَلِّى صوتك وسمعى كل الجيران إن فى عندك حرامى .. سيبى الخط مفتوح عشان أبقى سامعاكى وأتطمن عليكى ..

وقفت ميزة واستدارت نحو الباب وهى تتحرك بخفة وخوف على أطراف أصابعها .. وفجأة ارتطمت بعادل واستمرت فى الصراخ لعدة لحظات .. بينما كان هو يضحك بشدة .. ويُهدئ من روعها ..

- إيه يابنتى دا .. مالك خايفة كده ليه ..؟

- إنت فى البيت وما قولتليش ليه إنك جيت ..؟ إحنا إفتكرنا إن فى حرامى ..

جاء صوت سارة من الخلف عبر جهاز الكمبيوتر .. مناديًا .. ميزة .. ميزة...

- أيوه يا سارة دا طلع عادل .. كان عايز يخضنى ..

- طب الحمدلله جت سليمة .. إزيك يا عادل عامل إيه ...؟

- الحمدلله .. وإنتى إزيك وإزاى جوزك ..؟

- الحمدلله أنا هروح أنا بقى دلوقتى .. سلام ..

نظرت ميزة إلى شاشة الجهاز حتى تأكدت من أن المكالمة قد انتهت .. وأنه ليس بوسع سارة أن تسمعهم .. ثم نظرت إلى عادل بضيق .. وقالت ..

- كده يا عادل حرام عليك .. كده كنت هموت من الرعب ..

- بهزر معاكى يا حبيبتى .. عامة معلش ما تزعليش ..

- ها هتتغدى دلوقتى ..؟؟

- لأ هاخد دش الأول ..

نظرت إليه ميزة بغرابة .. ثم قالت .. خلاص وانا هحط الأكل على ما تخلص حمامك ..

- لأ ما تحطيش الأكل غير لما أطلع عشان الأكل ما يبردش ..

دخل عادل ليحصل على حمامه .. وما إن سَمِعَت ميزة صوت خروجه من الحمام ركضت إلى المطبخ وأعدت الطعام ثم وضعته على الطاولة .. وذهبت إلى غرفة النوم لتُخبره أن كل شيء جاهز .. فوجدته واقفًا بالقرب من الخزانة .. مُلصقًا يديه فى أنفه .. ويَشُم رائحتهما ..

- عادل .. الأكل خلص إنت مش هتيجى ..

لم يشعر عادل بخطواتها تقترب لفرط انهماكه فى تأمل نظافة يديه .. وعندما نطقت باسمه ارتعد ونظر إليها وهو يبتسم ..

- أيوه يا حبيبى أنا جاى أهو .. خلصت وجاى ..

- عادل إنت عيان أو تعبان أو فيك حاجة أنا ما أعرفهاش ..؟؟ قالتها بقلق ..

- لأ أنا مش عيان مين إلى قالك كده ..

- عادل بجد قولى ما تقلقنيش عليك .. إيديك مالهم كنت واقف بتشم ريحتهم ليه..؟

- لأ والله عادى دا النهاردة بس عشان فى عصافير عملتها على إيدى وانا واقف تحت الشجرة فكنت قرفان وبشوفهم نضاف ولا لأ ..

- لأ يا عادل ما تكدبش عليا .. أنا حسة إن فيك حاجة متغيرة إنت ما كنتش كده .. كل يوم بتاخد حمام وساعات حمامين .. واحد بعد ما ترجع من الشغل على طول والتانى قبل ما تنام .. وبقيت كل الصابون والحجات إلى بتستعملها مواد معقمة .. وكمان ماشى بغسول يدوى معقم فى

شنطتك .. إيه اللى حصلك دا إنت كنت بتغسل رجلك بالعافية .. إيه إلى إتغير فيك ..

بدأ عادل فى المزاح للتغطية على الموقف ..

- يا سلام عليكوا إنتوا يا ستات .. يعنى الواحد يبقى نضيف مش عاجبك .. الواحد ما يغسلش رجله ولا وشه تشتكى وتقوليلى النضافة من الإيمان .. أعمل إيه يعنى عشان أعجبك أنا مش فاهملك حاجة ..

وهكذا .. مر اليوم بسلام كالعادة .. يومًا عاديًا جدًا كأحد أيام السنة.. وحان موعد النوم .. وأغمض كليهما عينيه وانفصلا عن العالم بروحيهما وغطا فى نومٍ عميق .. ولم يشعرا بصوتٍ خارجى إلا ذاك الصوت .. صوت دقة هاتف عادل، الذى قد أغفل إغلاقه قبل أن ينام هذه الليلة ..

نظر عادل بعينين نائمتين إلى شاشة الهاتف فوجد رقم سوسو .. الذى على الرغم من أنه قد آثر محوه منذ أن عادت ميزة إلى البيت من قبل إلا أنه كان يعرفه ويعرف أرقامه جيدًا.. بل قد أوشك على حفظه عن ظهر قلب لفرط ما كان يتلقى مكالمات من سوسو فى جميع الأوقات .. أغلق المكالمة ثم أغلق الهاتف واستكمل نومه .. بينما همست له ميزة فى صوت نائم كذلك ..

- مين دا ياعادل إللى بيتصل بينا دلوقتى ..؟

- ما أعرفش يا حبيبتى نمرة غريبة بقالها فترة مستلمانى ..

ما لم يلبث أن قالها حتى عاد كلاهما إلى النوم .. سريعًا ..

وهكذا عاد عادل إلى النوم بينما كانت سوسو المُقاتلة المستميتة يقظة .. تُخطط إلى وجهة جديدة فى حربها، تبحث عن إجابة لأسئلتها الكثيرة .. كيف تستحوذ على عادل ..؟ كيف تُخبر زوجته بوجوها ..؟؟ أسئلة كثيرة لم تجد لها حلًا سوى ذلك الحل القديم العجيب السحرى .. الذى لطالما عاش عبر العصور .. ويتلخص فى المثل القائل .. " الزن عالودان أمر من السحر " ... نعم سوف تحتفظ به بقوة الملاحقة .. تلك الخطة التى كانت بالفعل قد اتبعتها منذ أن عادت ميزة إلى البيت .. وقد بدا لها أنها تؤتى ثمارها .. فها هو عادل قد بدأ يلين نحوها شيئًا فشيئًا .. وها هو شيطانه يلين رأسه ويميل عينيه باتجاهها مرة أخرى ...

فقد عاد عادل إلى العمل فى اليوم التالى وطلب من سوسو أن تُرافقه لتناول الغداء فى أحد المطاعم .. اتصل بميزة وأخبرها أنه سوف يتأخر .. وسوف يلتقى بحفنة من أصدقائه .. طلب منها ألا تنتظره على الغداء هذا اليوم .. وذهب برفقة سوسو للخارج ..

جلسًا معًا .. كان هو صامتًا أغلب الجلسة بينما تولت سوسو الحديث هذه المرة .. فلم تتوقف عن ذكر شوقها إليه .. وكم هو خطأ جسيمًا أن تحتفظ به لنفسها امرأة واحدة فقط .. بل من المفترض أن رجلًا عظيمًا مثله .. وجميلًا مثله .. ورشيقًا مثله .. وذكيا مثله .. أن يكون كالشركات المساهمة .. كل امرأة على وجه الأرض تملك فيه سهمًا .. لقد تلاعبت سوسو بعادل .. فقد كانت تعرف جيدًا كم هو رجل مغرور .. وحتى هؤلاء الرجال العاديون جدًا، قد يتحولون إلى طغاة بسبب بضع كلماتً لا قيمة لها صدرت عن امرأة مثل تلك ..

لقد أَسَرَت سوسو أذنيه هذه المرة .. تمهيدًا لما هو آتٍ ..

بعد أن انتهوا من تناول الطعام فى ذلك المكان النائى جدًا، الذى قد اصطحبها إليه عادل حتى يتأكد من أنه سوف يكون فى مأمن بعيدًا عن عيون كل من يعرفه ..

وفى طريق العودة .. لا يعلم عادل من كان هو المسؤول فى هذا اليوم عن غوايته .. هل كانت هى سوسو أم الشيطان ..؟؟ أم كليهما ..؟؟ لم يعبأ كثيرًا بالإجابة عن هذا السؤال فى تلك اللحظة .. لعلمه أن سوسو والشيطان كلاهما وجهان لعملة واحدة .. فقد وجد نفسه يصف السيارة جانبًا فى إحدى تلك البقاع المظلمة النائية الخاوية على عروشها إلا من الحشرات التى كانت قد بدأت تعتاد على أمثال عادل وسوسو من زوار الظلام ورفاق السر .. وهكذا .. ضحك الشيطان كثيرًا وهو يجلس برفقة قرناءه مستمتعًا بمشاهدة ما يجرى بينهما ..

وهكذا أيضًا .. يعود عادل إلى بيته .. ومرة أخرى .. الذنب يملؤه .. وكذلك الشعور بالاتساخ يتزايد شيئًا فشيئًا .. حتى يكاد يخنقه .. فتح باب البيت فوجد ميزة فى انتظاره كالعادة .. قامت من موضعها لتقبيله على جبينه كما قد تعود أن تفعل معه كل يوم عند عودته .. إلا أنه قد صدها عن ذلك .. فقد كان يشعر بالاتساخ المطبق .. لم يَرد لزوجته أن تقترب منه وهو متسخ .. اكتفى بأن يقول لها .. – أنا هدخل أخد دش ..

لم يرد عادل هذا اليوم أن يحصل على حمامًا فقط .. وإنما أراد أن يحصل كذلك على قسطٍ من الخصوصية فى هذا البيت، الذى لم يعد بوسعه أن يستوعب بكاء عادل أكثر من ذلك خاصة بعد عودة ميزة إليه ..

دخل فأغلق الباب من خلفه .. وفتح المغسل .. وجلس يحصل على حمامه ويبكى فى بؤسٍ وفى صمتٍ .. أو على الأقل هكذا هيئ له .. أنه يبكى

فى صمت .. الا أن صوت أنفاسه الباكية كانت تكاد تتسرب عبر الباب إلى الخارج .. حيث سَمِعتها ميزة، التى كانت قد بدأت بالفعل تشعر بالغرابة وتقلق على زوجها لما طالت مدة حمامه ..

ذهبت إليه فطرقت الباب .. ونادته فى قلق .. عادل .. عادل .. إنت كويس..؟؟

صَمت ولم يجاوبها .. فزاد قلقها وحاولت فتح الباب .. وبالطبع فشلت لأن عادل قد أوصده من الداخل فور دخوله .. وهنا جاء صوت عادل ...

- نعم يا حبيبتى .. فى إيه ..؟؟ قالها هو مبتسمًا حتى يغطى على نبرة الحزن فى صوته ..

- إنت كويس ..؟؟ قلقتنى عليك حاسة إنى زى ما أكون سمعتك بتعيط أو عندك ضيق فى التنفس أو فى حاجة ..

- لأ مفيش يا حبيبتى أنا كويس .. خمسة وطالعلك ..

- طب ممكن تفتحلى ..؟

- لأ مالهاش لازمة أنا خمسة وطالعلك ..

ارتدى ملابسه .. وارتدى كذلك ابتسامته الكاذبة .. وخرج مازحًا مع زوجته قبيل النوم .. كان عادل جالسًا على فراشه بينما كانت هى تقف بالقرب من الخزانة .. تبحث عن مناشف نظيفة ..

- كده خضتينى .. داخلة تخبطى عليه فى الحمام زى المباحث بالظبط..

- أنا خفت عليك .. بيتهيألى زى ما أكون سمعت صوت عياط طالع من الحمام .. اللهم احفظنا ..

- عياط .. عياط إيه يا بنتى .. دى تلاقيها تهيؤات ..

- أه والله عندك حق .. أنا فعلًا حسة إن بقى بيتهيألى حجات كتير قوى اليومين دول .. بس صحيح يا عادل .. إنت ما شوفتش الملاية اللى لونها أبيض وفيها مربعات موف بتاعتى؟؟

- ملاية .. ملاية إيه .. شكلها إيه دى؟؟

- أيوه البيضا إلى فيها مربعات موف .. أنا مش لاقياها خالص قلبت عليها البيت هتجنن واعرف ضاعت راحت فين .. دى أخر مرة كنت حاطاها على السرير قبل ما أروح عند بابا ساعة ما إتخانقنا فاكرها؟؟

دق قلب عادل فى جسده .. وتذكرها بالفعل .. ثم قال لها ممازحًا ..

- يا بنتى دورى كويس تلاقيها هنا ولا هنا .. وعامة خلاص يعنى لو ما لقيتيهاش أشتريلك بدالها بدل الواحدة ألف ..

- هو مش عالشِرا .. أنا بس هتجنن الحاجات بقت بتضيع منى ومش بلاقيها حاسة إنى بدأت أخرف..

***

وهكذا ومن خيانة إلى أخرى .. ومن سقطة إلى أخرى .. مر شهران .. كان عادل خلالهما قد اعتاد على أن يتجرد من كل ما له علاقة بإنسانيته ويترك العنان لرغباته الحيوانية فى كل مرة يلتقى فيها مع سوسو ..

وهكذا أيضًا .. تدرج عادل فى سُلم الخطيئة .. بدءًا من الشعور بالذنب .. ثم محاولة مقاومة الذنب والعودة عنه .. ثم الاستسلام إليه إطلاقًا .. بل والاعتياد عليه كذلك .. فقد أصبحت سوسو جزءًا من روتين وعادات عادل المستعصية .. الرجل الذى كان قد اعتاد أن يسمع من أمه دائمًا مقولة " إبنك على ما تربيه وجوزك على ما تعوديه .." قد عرف الآن حجم حاجة كل رجل إلى التزام عاداته واحترامها جيدًا .. وهكذا أيضًا .. واعتمادًا على نفس هذا المثل .. كانت سوسو قد حاربت حتى تحفر لنفسها مكانًا على قائمة عاداته ..

وهكذا يُقال .. أن البشر قد خلقوا على نوعين .. خلقوا على صنفين .. القوى منهم والضعيف.. وكلاهما مخطئ وخطاء وميال للخطيئة .. إلا أن القوى يُخطئ ويقاوم خطيئته .. ويرجع عنها فى النهاية .. القوى يُخطئ ثم يندم حتى يتوب .. حتى يمحو ندمه خطيئته ..

أما الضعيف .. هو من يخطئ ويندم حتى يستسلم لذنبه .. يُخطئ ويترك خطيئته تتحكم به وتسيطر عليه وتجرفه إليها ... ثم تمر الأيام بعد ذلك ليجد نفسه قد أصبح عبدًا لخطيئته .. وهكذا لقد وضع عادل الذى لطالما وصف نفسه ووصفوه الناس بالقوة نفسه فى مصاف الضعفاء .. بل الأضعف على الإطلاق .. عادل الذى كان يسعى منذ أن تزوج ميزة إلى إحكام قبضته وسيطرته عليها .. فشل لتوه فى إحكام قبضته وسيطرته على نفسه هو .. على رغباته وشهواته هو .. لقد فشل عادل فى السيطرة على النزعة الحيوانية بداخله ..

لقد أصبح عادل يرى فى نفسه اليوم الحق فى تجربة امرأة واثنتين وثلاثة وعشرة .. إنه حق مكتسب لرجل عظيم مثله .. هكذا أخبرته

سوسو.. وهكذا هو اقتنع .. وهكذا اعتقد أن رجلًا مثله يشبه التحف الفنية الفرعونية النادرة الأصيلة .. التى لا تقدر بثمن .. ومن وجهة نظره .. ومن أعماق قلبٍ قد أعماه الغرور وأغرقته الخطيئة .. تصور عادل أو صور له الشيطان أنه وكما يُعد إهدارًا للموروث الثقافى الإنسانى أن يحتفظ إنسانًا ما بتحفة فرعونية له وحده ويعزلها بذلك عن دون البشر.. كذلك يُعد من الظلم والأنانية أن تستأثر امرأة واحدة به لنفسها، وتعزله عن بقية نساء الأرض اللاوتى قد بات من حقهن أن يجربن هناء الحصول عليه ولو لليلة واحدة فقط على الأقل .. فقد كان يرى فى نفسه نهرًا من أنهار الجنة، التى من حق كل امرأة أن ترتشف منه كأسًا واحدًا على الأقل فى الحياة ..

وأما عن مشكلته ومعضلته الوحيدة فى ذلك تتلخص فى وسواسه المرضى .. الذى قد بدأت وتيرته تعلو وتتزايد شيئًا فشيئًا .. فحتى وإن كان بمقدوره أن يتناسى شعوره بالذنب والخطيئة .. فهو لم و لن يتمكن يومًا من الهرب من ذلك الشعور القوى بالاتساخ الذى ينبع من داخله ولا يمكنه ابدًا السيطرة عليه أو حتى محاولة تنظيفه وتطهيره ..

***

وهكذا يقولون .. أن المواقف تصنع الإنسان .. وأقول أنا .. أن المواقف تفضح الإنسان .. نعم تفضحه..!! فموقفِكَ من القاتل يُحدد دواخلك .. لأنك عندما تتعاطف مع قاتل الأطفال، فإن تعاطفك وحده كفيلًا بأن يصنع منك وحشًا ..!!

وعندما تتعاطف مع واحدًا من أشهر اللصوص وأكثرهم ثراءًا .. تعاطفك وحده كفيلًا بأن يُخبر الناس عن نواياك وأمنياتك الدفينة ..

نواياك التى لو كانت الظروف قد أعطتك الفرصة مثل هذا الرجل لكنت سرقت مثله وحصلت على حياة مثل حياته وثراءًا ضالًا مثل ثراءه ..!!

وعندما تتعاطف مع مُتحرش .. تعاطفك يُبلغ الجميع أنك ما تتعاطف معه وإنما تتعاطف مع نفسك .. لأنكَ أنت أيضًا متحرشًا مثله ..

وعندما لا يخلو حديثًا لك من نقدٍ صريحٍ ولاذعٍ لملابس كل النساء .. فهذا أيضًا لا يفضح أمرًا سوى رغباتك الدفينة فى امتلاكهن والحصول عليهن جميعًا فى آنٍ واحد..

وكذا موقفك من الخائن .. إن طاوعته فى خيانته .. لتبين لمن حولك الكثير والكثير عنك وعن اختياراتك وعن ميولك الخفية .. وهكذا هم البشر .. وهكذا هو الإنسان .. عندما يتحدث ويُبدى رأيًا فى شأنٍ ما .. يكون بذلك قد أخبر عن رؤياه ودواخله لمُحدثه ..

كان عادل فى طريقه إلى البيت .. بعد يوم طويل من العمل كالعادة .. عندما تناول هاتفه ليرد على مكالمة من زوجته ميزة .. أخبرته أن مصطفى أخوها سيحضر اليوم إلى البيت ويتناول معهم الغداء .. وأخبرته كذلك أن سر زيارته هو مشكلة ما قد حدثت .. ستخبره بها عندما يصل.

وهكذا وصل عادل إلى البيت .. ورحب بمصطفى .. الذى وعلى عكس والده كان يكن له الكثير من الود .. بينما كانت ميزة تُعَنِف أخوها كثيرًا بسبب فَسخ الخطبة بينه وبين خطيبته ..

وما إن حضر عادل حتى أخبرته عما حدث وذهبت وتركتهم يتحدثون بعضهم البعض حتى تضع طعام الغداء .. وما إن ذهبت حتى بدأ كلًا منهم يتحدث إلى الآخر..

- إيه يا عم الكلام إللى أنا سمعته دا .. هى مها يعنى عرفت تفتح أكونت الفيس بوك بتاعك إزاى وتشوف الرسايل إلى بينك وبين البنات إياهم ..؟؟ مش منطقية يعنى؟

- آه والله دا إلى حصل ..

- يا رااااجل قول كلام غير دا .. يعنى هى شافتهم إزاى أصلا وعايزة تسيبك .. لأ أنا شاكك إن فى حاجة تانية ..

- أه والله .. إستغفلتنى بنت اللذينة .. كنا قاعدين مع بعض زى السمن على العسل وفى كافيه كبير يا ابنى وبس سيبت الموبايل على الطرابيزة ودخلت الحمام ورجعت لقيتهالك معيطة وعاملاها مناحة وتقولى يا خاين وتشتم فيا شتايم .. الهانم فتحت الموبايل وبصت وقرت الرسايل بتاعتى .. أنا مش فاهم أنا إيه الجنان دا ..

- طب هى موضوع رسايل بس يعنى .. دى عبيطة قوى روح راضيها بكلمتين ..

- اه اتفضل يا سيدى .. أديك إنت قلتها دى رسايل بس يعنى .. وهو أنا كنت عملت إيه عشان دا كله .. أصل بابا وميزة شغالين تهزيق فيا من إمبارح للنهاردة وكأنى أذنبت مثلًا لا سمح الله .. محسسينى إنى أنا بنت وقفشوها بتكلم ولاد على النت فى كلام لا مؤاخذة يعنى .. أنا راجل ومن حقى إنى أتسلى .. وبعدين هو أنا إلى فسخت الخطوبة مهى إلى فسخت ورمتلى الدبلة فى وشى ..

كانت ميزة قد وضعت الطعام على الطاولة وعادت لتخبرهم بذلك عندما سَمِعَت رد عادل التالى ..

- بقولك إيه بص هو لو على البنات فالبنات على قفا من يشيل .. إنما إنت الأول لو بتحبها وعايزها روح صالحها وراضيها بكلمتين وقولها إنك غلطان ومش هتعمل كده تانى وبعدين إبقى إعمل إللى على كيفك بعد كده فى السر ..

- لا يا عم حب إيه ونيلة إيه .. إنت نفسك قلتها البنات على قفا من يشيل .. يعنى هى وقفت على مها .. والله إتصالحت يبقى بخاطرها نرجع عادى ونكمل مع بعض عادى .. ما إتصالحتش عادى برضو هخسر إيه أنا كده كده راجل هروح أشوف بنت واتنين وتلاتة وعشرة لحد ما واحدة فيهم تعجبنى أخطبها ..

- آهه طب يا عم إنت كده سليم قوى .. بس الصراحة ياض يا مصطفى طلعت غشيم غشومية .. بقى دى حركة تفوت عليك .. ياررااجل فى واحد عاقل كده يسيب الموبايل بتاعه من غير باسوورد ..؟؟ بقى إنت واحد عايز تشوف نفسك برا وتظبط نفسك برا .. يبقى فى السر .. الراجل الشاطر هو إللى يعرف يعمل إللى على كيفه من غير ما أقرب الناس ليه ياخد باله .. إفهموها بقى.

وقف بها الزمن عند هذه اللحظة .. لم تكد تُصدق أذنيها .. كما لو كانت الأنفاس تضيق بها وصدرها يطبق عليها .. لقد عبر أمام عينيها للتو شريط أحداث حياتها مع عادل .. تذكرت ما حدث منذ أن رفض منحها رمز الدخول إلى جهاز الكمبيوتر الخاص به .. وصولًا إلى تلك المكالمات الليلية، التى تؤرق مضجعه كل يوم ويتجنب الرد عليها .. عبورًا على كل شىء غريب قد طرأ على سلوكه مؤخرًا .. ومن دون أن تشعر .. سالت إحدى الدمعات الخفيفة تُبلل وجنتها .. وفى تلك اللحظة فقط عادت عن

شرودها ثم جففت دموعها .. وقررت أن تتظاهر بأن كل شيء طبيعي وعلى ما يرام .. أو على الاقل حتى تتأكد من شكوكها .. لعل كل ما تتصوره الآن ليس أكثر من مجرد شكوك .. آثرت الصمت حتى لا تستبق الأحداث .. وبينما هم جالسون على طاولة الغداء .. قررت أن تجرب قول أمرٍ ما .. بوسعها أن تستشف من ردة فعل عادل شيئًا ملموسًا .. نظرت إلى مصطفى وقالت له ..

- عارف يا مصطفى .. أنا ممكن دلوقتى حالًا أعمل مكالمة لمها واقنعها ترجعلك .. أه والله ..

مصطفى – بجد .. طب ياللا مستنية إيه يا أحلى أخت فى الدنيا ..

- بس أنا مش هعملها .. عارف ليه عشان إنت ما تستاهلهاش أه والله

مصطفى - دا ليه البواخة دى .. إنتى جاية هنا تبع مين بالظبط ..؟؟

- أنا هنا تبع الحق .. هقولك إنت لو كنت بتعمل أى حاجة تانية أو غلطت فى أى حاجة تانية أنا كان ممكن أتوسطلك .. إنما أتوسطلك فى الخيانة أبدًا .. بعينك مش هتشوف ضفر مها دى تانى .. ولعلمك أنا هتصل بيها فعلًا بس عشان أقويها عليك .. وأقولها إياكى تفكرى تبصى فى وشه ولا ترجعيله تانى عشان هو ما يستاهلش واحدة نضيفة زيك .. دا يستاهل واحدة لفة ودايرة على ميت واحد قبله .. ويتجوزها وهو على عماه وفاكرها قطة مغمضة وهى أصلا أنصح منه وعملت كل إللى نفسها فيه وضحكت عليه وفهمته إنها ملاك ..

مصطفى – يا بنتى حرام عليكى .. دا بدل ما تتمنيلى الخير مع واحدة بنت حلال .. وبعدين يعنى انتى مالك محبكاها كده ليه .. ما عادى يعنى أصلا كل الشباب بتعمل كده مش أنا لوحدى ..

- أولًا أتمنالك الخير أه .. بس ما أقدرش أقولك غير .. الطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات .. والواحدة بتسامح فى أى حاجة إلا الخيانة .. ثانيًا يا أستاذ مصطفى .. هو إنت لو مشيت حياتك بمبدأ إن الحاجات إللى كل الناس بتعملها هى الصح يبقى كده هتشرب حشيش وهتعرف بنات وهتمشى فى سكة الحرام من أولها لأخرها .. إحنا طول عمرنا متربيين على إن الصح صح والغلط غلط .. ومش معنى إن فى حاجة كل الناس بقت بتعملها يبقى معنى كده إنها صح وإن من حقنا نظيط فى الظيطة إحنا كمان ونعمل زيهم .. دا حتى ربنا قال ولا تعجبك كثرة الخبيث يا أخى ..

كانت ميزة تراقب وجه عادل بينما هى تتحدث إلى مصطفى .. الذى امتعض فجأة .. وراح ينظر إلى الطبق الموضوع أمامه ويأكل فى صمت .. ويتجنب النظر إلى عينيها أو تجاهها .. ويتجنب حتى مشاركتهم الحديث .. كان رد فعله أكبر دليل على أنه يُخفى أمرًا ما ليس بهينًا .. وهكذا لقد بدأت ميزة فى التحقق من أولى شكوكها ..

نظر مصطفى إلى عادل وقال له .. – ياعم إلحقنى من مراتك دى دخلت فى حوارات خيانة وحشيش ومش عارف إيه ..

ميزة - والله أنا ما أعرفلهاش إسم تانى .. إنت بتسميها إيه ..

مصطفى – بسميها راجل وبتسلى .. الخيانة دى حاجة ما تحسسينيش إنى بغضب ربنا لا سمح الله ..

ميزة – لأ وانت لما تروح تكلم بنات عالنت كلام قذر تبقى كده مش بتغضب ربنا لا سمح الله .. على أساس إنك كده هتاخد ثواب مثلًا .. أسوأ حاجة فيك هى فهمك الغلط للدين إلى موديك فى داهية ده ..

مصطفى – يووه بقى ما تحبكيهاش .. يا عادل شوف مراتك بتقول إيه والنبى .. ولا كأنى اخوها ..

نظر إليه عادل بجدية ثم قال له .. كلام إيه .. أختك عندها حق طبعًا إنت ما تستاهلش مها ولا حاجة ..

قال له مصطفى وهو يتناول الطعام – ماشى ياعم عندك حق يا عادل .. عندك حق يا ميزة .. أنا غلطان ووحش وما أستاهلهاش ..

مرت الساعات تلك الليلة على ميزة كما لو كأنها سنوات .. كانت كلما عبرت دقيقتان نظرت إلى الساعة .. كما لو كأنها ترجوها سرًا أن تتحرك وتمضى إلى الأمام .. كانت ميزة تتوسل الوقت بإحساسها وبأعصابها التى قد بدأت تنفذ من فرط عدم صبرها على انقضاء الليل وحلول الصباح حتى موعد ذهاب زوجها إلى العمل واختلائها بالبيت ..

ذهب مصطفى فى طريقه .. بينما وجدت ميزة نفسها وحيدة فى مواجهة أمرين .. زوجها وشكوكها به.. جاءت ساعات المساء .. وضع كلًا منهما نفسه على أريكتين منفصلتين فى غرفة الجلوس .. تمدد عادل فى نفس بقعته المفضلة، التى يحب أن يتمدد بها أمام التلفاز كل يوم بعد تناوله الغداء ..

تناول جهاز التحكم عن بعد .. واستمر فى التحول من محطة فضائية إلى أخرى .. وميزة تنظر إليه من وهلة لأخرى .. نظرات هى نفسها لم تكن تدرى مغزاها أو سببها ..

كانت كمن تبدو لمن يراها من بعيد كما لو كأنها تراقبه .. ولا تعلم لِمَ تراقبه وهو ماثلًا أمام عينيها لن يتحرك إلى أى مكان ..

وفجأة قالت له فى لهفة ..

- بس بس .. خلى الفيلم دا ..

- فيلم إيه دا أنا ما أعرفوش؟؟

- دا فيلم الباب المفتوح بتاع فاتن حمامة ومحمود مرسى وصالح سليم وحسن يوسف ..

- أيوه يعنى دا فيلم بهتان وشكله قديم جدًا .. بيتكلم عن إيه ..؟؟

- مش كل حاجة قديمة لازم تكون بالضرورة بهتانة .. إتفرج عليه وانت تعرف .. قالتها ثم صمتت بعد ذلك .. وهى تردد فى داخلها عبارة " مش يمكن تلاقى نفسك شبه شخصية من الشخصيات إللى طالعة فى الفيلم دا إنت كمان " ..

أحداث الفيلم تمر شيئًا فشيئًا .. حتى يبدأ شعور ميزة تجاه هذا الفيلم يتبدل شيئًا فشيئًا بدوره .. ميزة التى كانت من قبل تعشق هذا الفيلم الكلاسيكى .. وترى فيه عمقًا وبعدًا جديدًا للحرية .. بدأت تراه الآن بمنظور أخر .. بدأت ترى كم هى متورطة إلى إخمص قدميها مع عادل .. بدأت تشعر أنها تمر بنفس حالة الحصار التى شعرت بها ليلى فى الفيلم ..

تشعر هى بذلك تجاه عادل .. زوجها الذى أصبح لا يترك محاولةً ولا فعلًا لبسط سيطرته عليها إلا وفعله ..

كانت تُشاهد فى تلك اللحظة الدكتور فؤاد .. أستاذ الفسلفة المتزمت.. المتحفظ .. الديكتاتور .. وهو يحوم حول ليلى الطالبة الجامعية الرقيقة لمدة ثلاث سنوات .. لقد رآها فؤاد وشعر تجاهها بالإعجاب منذ ثلاث سنوات بالفعل .. ولم يجرؤ على الذهاب لخطبتها إلا عندما أمرها ذات مرة بإزالة أحمر الشفاه من على فمها فطاوعته وانصاعت لآرائه ..

يا إلهى .. لقد انتظر كل هذا الوقت قبل أن يعلن رغبته من الزواج منها فقط حتى يتسنى له أن يتأكد من إمكانية نجاحه فى بسط سيطرته عليها .. حتى يتأكد من حقيقة إذا كانت ليلى مادة خام لفتاة قابلة للخضوع .. هكذا فكرت ميزة .. ثم نظرت إلى عادل بتأمل وتفحص .. كانت كمن ترى زوجها بنظرة مختلفة الآن ..

إزاى كنتى مغفلة وغبية للدرجة دى .. إزاى سمحتيله يخدعك بكلماته الرنانة وأسلوبه الشيك .. كده على طول فهمتى إنه ماعندوش نزعات السيطرة الجنونية إللى عند كل الرجالة .. ولا لأ لأ بلاش تقولى عليهم رجالة .. دول إسمهم ذكور .. ما يختلفوش كتير عن الحيوانات ..

تسير أحداث الفيلم إلى الأمام مجددًا .. حتى وجدت نفسها ميزة أمام هذا المشهد المؤلم .. تراه الآن فى التلفاز .. بعد أن عايشته اليوم فى الواقع.. وبالفرط التشابه بين كلا المشهدين..

جاء مشهد الفنان محمود مرسى .. الذى يلعب دور فؤاد خطيب ليلى " فاتن حمامة " بينما هو ينصح أخاها بعدم الإقدام على الزواج من

المرأة، التى يُحب واختيار أخرى .. كانت ليلى فى هذا المشهد رغمًا عنها قد اختلست السمع إلى حديثهما .. ذلك الحديث الذى افتضح لتوه أمر الكثير والكثير بشأن الرجل .. الذى توجه بكلامه إلى أخيها ناصحًا ..

فى فرق بين الحب .. والرغبة .. إنت لازم تتجوز يا محمود .. ما ينفعش تستنى أكتر من كده .. لازم تتجوز عشان الرغبة .. الإنسان لما ييجى يتجوز لازم يختار واحدة تعيش تحت رجليه .. تخدمه .. تبقى مطيعة ومؤدبة .. واحدة يعرف يتحكم فيها .. يعرف يسيطر عليها ..

بمجرد سماعها هذه الكلمات .. شعرت ميزة بوخزة قوية فى قلبها .. بدأت تفكر فى نظرتها للزواج .. وفى نظرة عادل للزواج .. الجواز بالنسبالك حب وحياة .. وبالنسباله هو رغبة وسيطرة وخدامة من غير فلوس..

لقد فاجأت كلمات فؤاد ليلى فى الفيلم .. كما فاجأت كلمات عادل ميزة فى الحقيقة .. وعلى اختلاف الأحداث .. يبقى دائمًا مضمون الشخصيات ومحتوى تفكيرهم واحدًا لا يختلف كثيرًا .. وها هو فؤاد الذى قد بدا لتوه كثير الشبه بزوجها .. زوجها الذى وياللصدفة اسمه عادل فؤاد ..

نظرت إليه ميزة فوجدته لازال مستلقيًا على ظهره .. جامدًا فى موضعه كما هو لا يتحرك .. هل يشبه فؤاد هذا أبيك فؤاد فى الحقيقة ..!! أم يشبهك أنت ..!! هكذا فكرت هى .. واستمرت فى التفكير حتى توصلت إلى إجابة .. إن شخصية فؤاد فى الفيلم ما هى إلا مزيج من فؤاد والد عادل وعادل نفسه.. بل والأكثر من ذلك مزيجًا من شخصية رجال كثيرون لطالما عاشوا ولازالوا يعشيون بيننا .. يتداولون أفكارهم ويتوارثونها من جيلٍ إلى جيل ..

لا تعرف لماذا دفعتها مشاهدة هذا الفيلم الآن إلى أن تضع نفسها فى موقف عادل .. فى محاولة بائسة منها لتتوصل إلى سبب واحد قد دفعه للزواج منها .. سبب غير الحب الذى لطالما ادعاه وتظاهر به ..

لا تعلم لماذا .. كانت ميزة تتوجه بعينيها بالنظر إلى عادل فى تلك الليلة.. أكثر ما كانت توجه عينيها إلى التلفاز .. نظرت وفجأة انتابها شعور قوى جدًا بالعطش .. لدرجة أنها فكرت أنه قد مضى على أخر مرة شربت فيها الماء ما يقرب من عشرون يومًا .. وليس عشرون دقيقة فقط .. ياللغرابة .. تُرى ما هو سر هذا الشعور الغريب بالعطش الذى يجتاح حنجرتها الآن ..!!

- عادل .. ممكن تناولنى إزازة الميه إللى جنبك دى ..؟؟

- هى فين دى إللى جنبى .. إنتى عايزانى أقوم أجيبهالك من على الطرابيزة ولا إيه..!!

- آه وإيه المشكلة ..؟؟ دا إنت لو مديت إيدك كده هتطولها ..

- هاهاها .. دا عشم إبليس فى الجنة .. إنتى فاكرانى الخدامة الفلبينية إللى أبوكى جابهالك ولا ايه؟؟

- لأ لا سمح الله .. ما تقولش كده على نفسك .. إنت مش الخدامة بتاعتى .. أنا الخدامة بتاعتك .. قالتها وهى تنظر إليه بحزن ثم قامت من موضعها وجلبت لنفسها زجاجة الماء .. ولو كانت ميزة فى أى يومٍ أخر لتحدثت وقالت الكثير والكثير لعادل ردًا على هذه الكلمة .. إلا أنها قد آثرت أن تقابلها بصمت وطاعة، لما كانت لا تريد لصوتٍ أن يعلو صوت فكرها فى تلك اللحظة .. فقد علمت أنها لو تحدثت إليه أو لامته لتشاجر

معها .. لذا آثرت البقاء فى صمت حتى تتمكن من الحصول على قسطٍ كافٍ ومريح من التفكير ..

لم تحصل ميزة على قسط طيب من النوم فى تلك الليلة .. فلقد انتظرت حتى تأكدت من نوم عادل .. ثم تسللت بعد ذلك بالقرب منه وتناولت هاتفه .. الذى اكتشفت لتوها أنه مغلق باستخدام كلمة سر .. ميزة تذكرت لتوها متى أخر مرة أمسكت فيها بهاتف عادل .. كان هذا بعد زواجهم بثلاث أشهر وكان حينها يبقى على هاتفه دائمًا مفتوحًا .. تذكرت كيف كان دائمًا يُخبرها عن اعتقاده بأن الأغبياء فقط هم من يحرصون على إحكام غلق الأبواب خلفهم فى كل شىء .. فى البيوت والهواتف وأجهزة الكمبيوتر .. وضعت الهاتف فى محله وتذكرت كلماته إلى مصطفى .. وصوت الشك بداخلها يسألها .. يا ترى إيه اللى إنت خايف إنى أعرفه لدرجة إنك قافل موبايلك منى ...؟؟

تسللت مرة أخرى وعادت إلى موضعها فى الفراش بالقرب منه .. وتظاهرت بالنوم .. حرصت على ألا تحدث من الجلبة ما يكفى لإفاقته من نومه .. لعلمها أنه كان خفيف النوم يستيقظ من أقل صوت ..

انقضت ليلتها على مضض .. وما إن ذهب عادل فى طريقه .. حتى نهضت هى واستخرجت معظم قمصانه وتفحصتها بعمق .. ولكنها بالطبع لم تعثر على أى شىء على الإطلاق، ذلك لأن عادل قد عوده وسواسه أن يتخلص من ملابسه فى سلة الغسيل مباشرة بعد كل مرة من مرات اختلاطه بسوسو ..

تركت قمصانه .. ثم نظرت إلى تسريحتها وتذكرت أمرًا ما ..

ذهبت إلى خط الاتصال الداخلى الموجود بالبناية كلها .. واتصلت ب عطية حارس البناية .. وطلبت منه الصعود إلى شقتها ..

فتحت له الباب ثم قالت ..

- صباح الخير ياعم عطية .. بقولك إيه خد هاتلى الحاجات إللى أنا كتبهالك على الورقة دى .. بس نقى الخضار صابح ما يكونش مفعص .. كأنك بتنقيه لنفسك بالظبط ..

- حاضر يا مدام تؤمرينى بأى خدمة تانية ..

- آه كنت عايزة أسألك على حاجة .. بقولك إيه هو أنا لو طلبت منك تشوفلى واحدة ست تيجى تنضف البيت عندى هنا هتجيبلى أم أحمد مراتك ولا إنت ما بتشغلهاش فى البيوت؟

- أيوه طبعًا أجيبهالك .. ولو ما رضيتش أجيبهالك يا ست هانم لحد عندك هنا تعملك كل إللى إنتى عايزاه أمال إيه يعنى دا إحنا تحت أمرك .. لهو إوعى تكونى قولتيلها إنك عايزاها وهى ما رضيتش ..؟؟

- لأ لأ .. طبعًا ياعم عطية ما حصلش بيننا كلام خالص .. أنا بسألك بس عشان أعرف إنت بتجيب ستات من برا العمارة تدخلهم الشقق هنا ينضفولنا ولا مراتك بس ..؟ بتأكد يعنى عشان الأمان إنت عارف الدنيا بقت خطر دلوقتى والحرامية انتشروا ..

- لأ طبعا يا مدام .. أنا لا يمكن أبدًا أدخل واحدة من برا على شقق السكان أبدًا .. هى أم أحمد بتروح لكل شقة فى العمارة يوم فى الأسبوع .. والله العظيم لو عايزاها دلوقتى أنزل أصحيهالك تطلعلك.

- لأ مالهاش لازمة كمان شوية كده .. أو يوم تانى .. أول ما أعوزها هناديلها..

أغلقت ميزة باب البيت .. واستمرت فى التفكير .. لو أم أحمد مراة عم عطية بتطلع البيوت على طول، أكيد كانت هتسرق من الجيران زى ما سرقت من عندى هنا .. ولو كانت هى بتسرق من الناس كان عم عطية إزاى هيكمل فى العمارة دى يومين على بعض أكيد كانوا هيطردوه ..

طب لو عادل جاب واحدة تانية تنضف البيت غير أم أحمد .. إزاى كده وعم عطية لسة قايل إنه ما بيجيبش حد غريب يدخله العمارة .. وبعدين هيجيب لعادل ليه واحدة تانية ويضيع الرزق على مراته .. ماهى مراته موجودة ...

جلست تُفكِر لبرهة من الوقت .. ثم قامت من موضعها وقررت تناول نفس الهاتف الداخلى ومناداة عم عطية وطلب زوجته للصعود .. أخبرته أنها تريد زوجته فى تنظيف المطبخ فقط هذا اليوم .. وبالفعل صعدت أم أحمد .. وأثناء ضلوعها بمهمة تنظيف المطبخ قررت ميزة إستجوابها بطريقة باطنية ذكية .. وهكذا .. وعلى صيغة الدردشات النسائية .. قررت ميزة المرأة التى لم تكن يومًا بحاجة إلى العثور على طريقٍ مباشرً يوصلها للإجابات اللازمة لأسئلتها .. بدأت ميزة الحديث ..

- عارفة يا أم أحمد .. والله كويس إنك موجودة هنا .. تساعدينى .. أصل أنا تنضيف المطبخ بيتعبنى قوى .. أكتر حتة فى الشقة بتتعبنى .. وما بحبش أدخل حد غريب البيت هنا .. بس إنتى مش غريبة ..

- أيوه طبعا يا مدام .. تنضيف المطبخ يتعبك ويهد حيلك .. دا أنى حيلى مهدود أهون .. ألا صحيح يا مدام .. هو أنى كنت مستغربة .. إنتى شكلك بنت أصول كده وواخدة عالعز .. إزاى بتقومى بالبيت الشِرِح البِرِح دا كله لوحدك .. ألا عمرنا من ساعة ما جيتوا سكنتوا هنا إنتى والأستاذ عادل ما شفناكى جايبة واحدة تخدمك .. دا أنى كنت ببقى قاعدة تحت بضرب أخماس فى أسداس أنى وسى عطية .. أه والله ..

قالتها أم أحمد .. فى نفس التوقيت الذى بدأت أولى الدموع تنهمر فيه على جبين ميزة .. التى قد تجمدت فى موضعها للحظات ولم تستفق إلا على صوت أم أحمد منادية إياها ..

- يا مدام .. يا مدام .. مالك يا مدام إنتى تعبانة ولا إيه؟

- لأ مليش .. ثوانى كده ..

ركضت ميزة إلى الداخل وعادت وفى يدها ورقة نقدية تساوى عشرون جنيهًا .. ومنحتها لأم أحمد ثم صرفتها بعد ذلك ..

- شكرًا يا مدام بس أنا لسة ما خلصتش شغل .. عايزانى أمشى كده والمطبخ يضرب يقلب..؟

- أه إنزلى دلوقتى وانا هبقى أندهلك بعدين .. أصل ورايا حاجات افتكرتها ..

كانت ميزة تسارع الزمن لتختلى بنفسها .. كانت تحاول بكل جهد الإسراع من وتيرة رحيل أم أحمد حتى يتسنى لها البكاء وحدها .. بدون أن يراها أحد أو يشعر بها أحد .. فقد تأكدت لتوها من خيانة زوجها ..

خرجت أم أحمد واغلقت ميزة الباب خلفها .. ولم تشعر بنفسها إلا وهى ملقاة على الأرض ظهرها ملتصق بالباب وتبكى بحرقة .. استمرت فى البكاء لفترة زمنية هى لا تدرى متى .. حتى قامت من موضعها وأدركت أن هذا هو الوقت الذى أصبح يتوجب عليها مكالمة سارة فيه .. عليها إخبارها بكل ما تعرف .. ولحسن الحظ .. كانت سارة موجودة على شبكة الإنترنت فى هذا الوقت .. كما لو كأنها كانت تشعر سلفًا بأن امرًا ما قد طرأ لدى أعز صديقاتها .. تحدثتا وأخبرتها ميزة كل شىء .. منذ بداية الخلافات وصولًا إلى تلك المعلومة، التى قد حصلت عليها ميزة لتوها من أم أحمد زوجة عم عطية الحارس .. وجاء رد سارة بصوت مهدئ كالتالى ..

- بس ممكن تهدى شوية وتبطلى عياط عشان نعرف نفكر مع بعض

- أهدى إزاى .. بقولك بيخونى بيخونى .. أنا متأكدة ..

- أولًا إنتى لحد دلوقتى ما ينفعش تكونى متأكدة .. لأنك فعلًا مش ماسكة عليه دليل قاطع فحرام تنكدى على نفسك وعلينا وعليه هو كمان.. يعنى مثلًا بالنسبة لسرقة برفاناتك وكريماتك يا بنتى إنتى تعرفى منين .. مش يمكن عادل يكون فعلًا جاب شغالة من برا العمارة تبع واحد من أصحابه المتجوزين .. مش يمكن يكون جابها والبواب ما شافهاش ..

- أه والله .. جابها ولبسها طاقية الإخفا .. أصل منطقى كده إنه عادل هيدخل شغالة البيت من غير ما عم عطية ولا مراته ولا عياله المتلتين يشوفوها ويعدوا يحققوا معاها رايحة فين وعند مين .. بقولك بيخونى .. أنا ست وعارفة .. هو اتغير معايا وكل حاجة فيه إتغيرت .. أنا كنت حاسة إن فى حاجة غلط بس ما كنتش أتصور إن عادل يطلع منه حاجة زى دى

أبدًا .. أنا حاسة إنى هتجنن مش عارفة اعمل إيه فى المصيبة دى .. أنا هسيبله البيت وامشى ..

- لأ لأ لأ .. مش عايزين أى تهور .. إنتى ما ينفعش تعملى كده حجتك إيه يعنى .. ما هو لو بيخونك فعلا ولقاكى هتمشى عشان كده هيطلعلك ألف مبرر وهيطلعك فى الأخر إنتى إلى غلطانة ..

- أمال أعمل إيه ..

- أولًا إنتى ما تجيبيش سيرة لحد خالص .. ولا باباكى ولا مصطفى بالذات ما يعرفش عشان دا متهور ومجنون .. وعادل ما تحسسيهوش بحاجة خالص تبقى معاه طبيعية جدًا .. عشان هو لو فعلا بيخونك وشم خبر من بعيد كده إنك عرفتى هياخد حذره واحنا مش هنعرف نمسك عليه حاجة ..

- وبعدين ..؟؟

- وبعدين تراقبيه بقى .. طبعًا ما أقصدش تخرجى تمشى وراه فى الشارع والحركات الهابطة بتاعت الأفلام دى .. أقصد تراقبيه تركزى فى تصرفاته .. خرج الساعة كام رجع الساعة كام .. بيتأخر برا كام يوم فى الأسبوع .. وأهم حاجة هدومه .. يرجع يقلعها تمسكيها تفليها بالمنظار .. الراجل إلى بيخون مراته دايمًا بيسيب أثر على هدومه ..

- أه صحيح أنا إفتكرت .. دا على طول فى الأيام إللى بيرجع فيها متأخر بيقلع هدومه وبيحطها فى الغسيل وانا زى الهبلة بغسلها من غير ما أبص عليها ..

- لأ تركزى .. وحاولى كمان حاجة تعمليها .. حاولى تركزى معاه وهو بيكتب الباسوورد على الموبايل بتاعه .. لو عرفتيه يبقى كده إحنا أحرزنا هدف هنفتح تليفونه ونجيب من الأخر ونعرف كل حاجة ..

- أه صح إنتى عندك حق .. فعلًا كلامك صح ..

- بس زى ما قلتلك أهم حاجة ما تبينيلوش أى حاجة .. الأمور تمشى بينكم طبيعية جدًا لحد ما نتأكد ونعرف هنتصرف معاه إزاى ..

- طيب خلاص أنا هروح دلوقتى أعمل الأكل وأظبط البيت واعمل نفس إللى بعمله كل يوم عشان ما يشكش ..

مر يومان والحياة بينهما تسير على وتيرة طبيعية جدًا .. كانت ميزة قد نجحت فى أن تتظاهر بالطبيعية لأقصى درجة ممكنة .. لدرجة أن عادل لم يلحظ أى تغير قد طرأ على سلوكها .. لذلك كان يمارس عاداته بطريقة طبيعية .. هاتفها فى نهاية يوم العمل ليخبرها أنه سوف يذهب اليوم لمقابلة أصدقائه .. بينما كان فى الحقيقة ذاهبًا للقاء سوسو ..

عاد متأخرًا كالعادة .. بدل ملابسه ووضعها فى سلة الغسيل ثم دخل ليحصل على حمام طويل كالعادة .. انتظرت ميزة حتى تأكدت أنه قد اضطجع لينام .. حتى تحركت وفحصت ملابسه تحت أقوى أضواء المنزل سطوعًا .. وبالفعل لقد عثرت على أطراف قميصه على شعر نسائى أصفر اللون .. كان هذا هو لون الشعر الاصطناعى الذى تستخدمه سوسو حتى تضيف على شعرها القصير المصبوغ المهترئ طولًا وكثافة .. أمسكت الشعرة بيدها .. ثم نظرت إليها وضعت يدها على فمها حتى لا يشعر عادل بأصوات أنفاسها المتسارعة التى عادة ما تسبق موجة البكاء الحامية ..

التى كانت ميزة على وشك خوضها .. أمسكت بهاتفها فى التو وأرسلت إلى سارة رسالة نصية تخبرها فيها بما عثرت عليه ..

جاء رد سارة مقتضبًا .. إصبرى شوية هنتكلم بكرة الصبح إن شاء الله أول ما ينزل من البيت .. إوعى تتجننى وتعرفيه حاجة .. فاهمة ..؟

- طيب أنا هصبر أهو .. أنا هسكت أهو ..

قضت الليلة على قلق .. ذلك القلق الذى اعتاد أن يصيب قلبها ويؤرق مضجعها كل ليلة منذ أن بدأت تنتشر فى الأجواء رائحة خيانة عادل .. زوجها الحبيب .. انقضت الليلة وهى تحترق فى نار وحدها هى من تراها .. ووحدها هى من تستشعر حرارتها وسخونتها .. استلقت بالقرب منه فى الفراش .. تتأمل ملامح وجهه النائم فى عمق .. وتسأل نفسها أسئلة عدة.. كان أهمها كيف يتسنى له النوم بعد ما اقترفت يداه .. وأنا ها هنا لا أملك للنوم سبيلًا ..

ما إن ذهب إلى العمل حتى تناولت الكمبيوتر واتصلت بسارة .. التى كانت يقظة ومستعدة لمكالمتها بالفعل ..

- سارة شوفتى .. لقيت شعره صفرة على كتفه .. تخيلى .. الخاين الحقير..

- إنتى ما عرفتيش تاخدى باسوورد الموبايل بتاعه ..؟؟

- لأ ما عرفتش .. حويط قوى حضرتك طبعًا لازم يبقى كده ما هو بيعمل حاجة غلط .. لازم يحاوط على أسراره وحقارته ..

- وهتعملى إيه دلوقتى بعد ما إتأكدتى ..؟

- لأ لسة ما إتأكدتش .. أنا لازم أشوف بعينى .. عشان لما أواجهه ما يعرفش ينكر الحقيقة ويكدب عليا ويضحك عليا زى ما بيعمل على طول

- هتعملى إيه ..؟

- هقولك .....

***

دق صوت هاتفه .. وعندما نظر إلى الشاشة .. وجد رقم ميزة ابنة خالته ..

- هيثم إزيك عامل إيه .. وإزى خالتو ومنى والولاد عاملين إيه؟

- أنا الحمدلله كويس وكلهم كويسين وبخير.. إنتى إزيك إنتى وعادل عاملين إيه؟؟

- الحمدلله .. كان نفسى أقولك كويسين بس مش قادرة .. هيثم أنا عايزة أتكلم معاك ضرورى فى حاجة مهمة قوى ..

- إيه خير قولى قلقتينى ..

- لأ مش هينفع على التليفون .. لازم أشوفك فى أى حتة بس إوعى تقول لعادل إنى كلمتك .. أه أه ولا بابا ومصطفى كمان ..

- طيب ماشى خلاص تعالى نتقابل فى أى كافيه إنتى تختاريه ..

- ساعة زمن بالظبط وهجيلك عند الشغل إستأذن ساعة معلش هنقعد فى أى حتة نتكلم شوية مش هطول عليك ..

سيدتى الجميلة .. أحيانًا يكون لكِ أخًا .. وأحيانًا يكون لكِ أخوان .. وأحيانًا يكون لكِ أخًا لم تلده أمك .. وإنما ولدته من هى بمنزلة مشابهة لها .. إنه ابن خالتك وصديق طفولتك .. وقع اختيار ميزة على هيثم بالطبع.. ومن سواه بوسعه حفظ سرها ومساعدتها بدون تهور .. إنه حقًا خير صديق .. فلو أخبرت ميزة والدها لانفجر غضبًا فى عادل دون تفهم .. ولو أخبرت أخوها لفعل بالمثل .. لكن هيثم كان لها دائمًا أخًا وصديقًا وخزانة أسرار.. هكذا هى فكرت .. ولهذا هى قررت الاعتماد عليه ..

خرجت من بيتها والتقت به فى أحد المقاهى، بعد أن أخبرت عادل أنها سوف تخرج لشراء بعض الحاجيات اللازمة للبيت ..

- مالك يا ميزة قلقتينى .. فى إيه؟

- بص يا هيثم .. الكلام إللى هقولهولك دا سر كبير قوى بينى وبينك ما تقولش لحد أبدًا .. أنا بحكيلك عشان تساعدنى .. فاهمنى ..

مر الوقت وهى تخبر هيثم عن شكوكها فى عادل .. وعن ما توصلت له تحقيقاتها خلفه .. كان يستمع إليها وهو لا يصدق .. علامات التعجب والغرابة تبدو بقوة على وجهه .. لا ينفك يسألها بين العبارة تلو الأخرى ..

- عادل .. عادل .. يا شيخة لأ مش ممكن مش معقول ..

وهى تؤكد له .. طلبت منه أن يساعدها فى كذبة على عادل .. أن يهاتف عادل ويخبره أن ميزة مطلوبة للمساعدة فى ترجمة فعاليات مؤتمرٍ ما فى مدينة الإسكندرية .. وسوف يتعين عليها المبيت هناك لمدة ليلة واحدة .. وطلبت منه أن يختار يومًا فى منتصف الأسبوع حتى يبقى عادل وحيدًا فى القاهرة بالقرب من عمله .. لعلمها أنه قد استنفد رصيد

إجازاته بالفعل .. ولن يملك أى فرصة للسفر معها .. وافق هيثم على خطتها .. شرط أن يرافقها فى كل خطوة سوف تخطوها فى تلك الليلة .. وشرط أيضًا أن تأتى لتمكث هذه الليلة فى بيته هو وزوجته وألا تسكن فى أحد الفنادق ..

وافقها هيثم على الرغم من رغبته الدفينة بعدم التصديق .. وافقها واشترط مرافقتها أملًا منه فى أنها سوف تكتشف فى النهاية ظلمها لصديقه عادل .. وافقها خوفًا عليها لما لاحظه من الحالة المزرية، التى كانت عليها أثناء هذا اللقاء ..

عادت ميزة إلى البيت .. وأثناء طريق العودة مرت على أحد الأسواق وقامت بشراء بعض المنتجات، التى تنقصها ..

مر يوم واحد بعد ذلك حتى قام هيثم بعمل المكالمة الهاتفية المرجوة منه إلى عادل .. وافق عادل على سفر زوجته .. وها هى ميزة تحزم حقيبتها الصغيرة، التى من المفترض أن تكفيها ليومٍ واحد ..

استيقظت ميزة فى الصباح الباكر .. أراد عادل أن يقوم بإيصالها إلى محطة القطارات بنفسه إلا أنه لم يستطع لتعارض موعد قطارها مع مواعيد عمله الرسمية فى الجريدة .. لذلك أخبرته ميزة أنها سوف تستقل سيارة أجرة ..

هذا الصباح كان صباحًا مختلفًا .. استيقظ عادل فى موعده كما اعتاد .. وبينما كان يرتدى ملابسه إلى العمل وقعت عيناه على حقيبتها الصغيرة .. الموجودة بالقرب من الخزانة .. كان يتأملها بعناية .. وصوت بداخله يخبره بأمرٍ ما .. ذلك الصوت الداخلى المؤلم كان يسأله .. ماذا

سوف تفعل يا عادل إن كانت هذه هى الحقيبة الأخيرة التى تعدها زوجتك قبيل رحيلها عنك إلى الأبد ..!!! ماذا سوف تفعل ..؟؟

ظل يتأملها قليلًا .. حتى أجاب نفسه بنفسه .. مفكرًا .. يا سلام على التهيؤات إللى بتيجى للواحد على الصبح .. كان عادل يعتقد أن صوته الداخلى يُسمى تهيؤات .. وهو لا يعلم أن هذا الصوت هو صوت الغريزة .. هو صوت القلب .. وصوت القلب لا يكذب أبدًا .. إلا إن كان القلب مريضًا.. وعلى الرغم من أن قلب عادل قد تعلم الكذب بالفعل منذ أن تعلم صاحبه الخيانة والخطيئة .. إلا أنه وفى هذه المرة .. صدق قلبه عندما سأله هذا السؤال .. لقد كان قلبه يهيؤه لما هو آتٍ ..

ودعته ميزة هذا الصباح وداعًا مختلفًا عن كل صباح .. كان يجب عليه أن يشعر أن هناك أمر ما .. إلا أنه وكما قيل قديمًا ودائمًا .. ساعة القدر يُعمى البصر .. وبالفعل كان هذا ما حدث مع عادل .. فتحت له باب البيت تودعه الوداع الأخير .. بينما ظن هو أنها تودعه وداع ما قبل السفر.. وعلى الرغم من جراحها .. عانقته ميزة عناقًا طويلًا .. كانت تعلم مسبقًا أنها وبعد هذه الليلة لن تتمكن من منحه هذا العناق مجددًا أبدًا

كانت تعلم أن فى هذه الليلة .. سوف يتغير الكثير .. ماعادت ميزة تعلم أكثر من ذلك .. هل هى تحبه بشدة ..؟؟ هل هى تحبه حد الغفران ..؟؟ عانقته وهى تفكر وتسأل نفسها كيف سيتسنى لكِ العيش بدونه بعد هذه الليلة ..؟؟ فكرِى مجددًا .. هل بإمكانك المضى قدمًا وتجاهل كونه يخونك..؟؟ بإمكانِك الادعاء بأن شيئًا لم يحدث .. كل هذه الأفكار راودتها فى لحظات بينما هى تعانقه .. وما إن افترقت عنه راحت تلك الافكار عنها رواح الرياح بلا عودة ..

رفع يدها من حول عنقه وضحك متسائلًا .. إيه يا بنتى مالك متأثرة كده ليه .. ما تخضينيش عليكى .. إنتى محسسانى إن دى أخر مرة تشوفينى فيها ..

ياللسخرية .. لقد قالها لتوه .. كانت هذه الليلة بالفعل سوف تكون أخر مرة ترى فيها ميزة عادل كما تراه الآن .. كانت تعلم جيدًا أنها لن تراه بعد هذه الليلة .. وهل من الممكن أن ترى امرأة رجلًا بعد سقوطه من نظرها؟؟

استطرد عادل قائلًا .. يلا مع السلامة خلى بالك من نفسك ..

أجابته بحزن .. وإنت كمان خلى بالك من نفسك ..

تتمنى له أن يعتنى بنفسه .. تلك النفس التى قد اختار هو بنفسه لها أن تبقى ملوثة ..

***

وصلت ميزة إلى بيت هيثم .. وبقيت بصحبة زوجته منى .. مرت تلك الساعات عليها كالسنوات .. لا بل أكثر من ذلك .. لقد مرت كدهورٍ بأكملها من الزمن .. قضى فيها كلًا منى وهيثم فى محاولات مستميتة لأجل إلهاء ميزة عن التفكير فى عادل .. وعن النظر إلى الساعة ..

دق قلب ميزة مع دقات الساعة السابعة .. ها لقد اقترب الموعد .. ها لقد اقتربت خطواتها أكثر فأكثر من معرفة الحقيقة ..

ثم دقت الساعة الثامنة ودق معها جرس باب بيت هيثم .. الذى فُتِحَ لتوه ليدخل أحمد المسعدى والد ميزة مندفعًا كالطوفان .. معنفًا ابنته ..

التى ما لبثت أن رأته حتى نظرت إلى هيثم نظرة يملؤها الكثير والكثير من الخيبة .. وقالت له ..

- ليه كده يا هيثم .. حرام عليك هو أنا ناقصة ..

أجاب والدها بعصبية – آه طبعا .. مش عايزانى أعرف حاجة .. ما إنتى خلاص ما بقاش ليكى أب .. ما بقيتيش عايزة تعرفينى حاجة عنك .. رايحة تتحامى فى هيثم .. أصل أنا مت خلاص وإنتى مالكيش أب عشان كده رايحة تستنجدى بيه ..

- بعد الشر عنك يا بابا والله العظيم الحكاية مش كده .. أنا أصلًا شاكَّة لسة ما إتأكدتش لو كنت متأكدة كنت قلتلك .. أنا خوفت من الفضيحة أفضحه قدامكوا إزاى وهو جوزى ..

- عارفة يا ميزة إنتى عيبك إيه .. إنك فكرانى مش أبوكى أو عشان أنا أبوكى مش هحس بيكى .. أصلًا انتى لو ما كنتيش متأكدة إنه بيخونك ما كانش زمانك قاعدة هنا دلوقتى .. كان زمانك هناك فى بيته قاعدة بتشتغليله خدامة ..

نظرت ميزة إلى هيثم نظرة عتاب .. وقالت له : أنا الحق عليا إنى قولتلك ..

هيثم – يا ميزة إنتى مش فاهمة .. دى بالذات عمو كان لازم يعرفها .. تقدرى تقوليلى أنا كان يبقى موقفى ولا موقفك إيه لو روحنا النهاردة بالليل ولقيناه فعلا معاه واحدة فى الشقة .. هيبقى عيب قوى .. لازم عمو يبقى شاهد وحاضر ..

تدخل أحمد بقوة فى الحوار .. وتحدث إلى ميزة بأسلوب صارم، وهو يشير إليها بالسبابة.. قائلًا...

- إتصلى بيه .. إتصلى بيه دلوقتى حالًا ..

أجابته ميزة وفى صوتها تلك الرعدة، التى عادة ما ترتعدها النساء أمام أبٍ غاضب ..

- أكلمه أقوله إيه ..؟

- إتصلى إسألليه هو فين وهيعمل إيه النهاردة بليل .. وإعملى نفسك بتتطمنى عليه ..

- حاضر يا بابا ..

هاتفته ميزة وما أن أنهت المكالمة حتى استدارت صوب والدها وقالت له .. قاللى إنه هيروح النهاردة يسهر مع أصحابه فى الكافيه بتاعهم دا معرفش إسمه إيه .. وإحتمال يبات عند واحد فيهم ..

- وإنتوا البواب بتاعكم إسمه إيه دا بينام الساعة كام هو ومراته ..

- على الساعة عشرة حداشر كده مش متأكدة ..

- يبقى هنطب عليه الساعة إتناشر ..

ساد الصمت الجلسة .. كان الجميع ينتظر مرور تلك الساعات القليلة فى عمر الزمن الطويلة فى عمر الموقف بفارغ الصبر .. أرادت منى كسر حاجز الصمت .. فقالت ..

- تحبوا تاكلوا حاجة .. أقوم أحضر العشا ..؟؟

سألت منى الصمت .. وكذلك كان الصمت المطبق وحده هو من أجابها ..

دقت الساعة الثانية عشر والربع دقاتها .. وها هم قد وصلوا فى سيارة هيثم أسفل بناية ميزة، الموجودة فى ذلك الحى الهادئ ليلًا .. الذى قد بدأ هدوءه يقترب من حد الخوف ..

نظرت إليهم ميزة .. بينما كانت أصابعها ترتعد دون أن تدرى من فرط الخوف .. قالت لهم بصوت خافت ..

- خليكوا هنا .. أنا هاخد شنطتى وأطلع أعمل نفسى كأن سفريتى إتلغت عشان لو طلع إن ...

أجابها والدها الذى كان يفور من الغيظ .. مندفعًا ..

- لو طلع إيه ونيلة إيه .. هو لسة هيطلع .. هى مش دى برضو تبقى عربية البيه إللى راكنة تحت البيت أهى .. ولا أنا بيتهيألى .. هو مش كان قايلك إنه مش موجود النهاردة .. إطلعى إطلعى .. ثم نظر إلى هيثم وقال له.. وانت كمان إطلع ..

- بابا أرجوك عشان خاطرى بلاش هيثم .. بلاش فضايح .. طب بجد كفاية إن إنت هتطلع بلاش قدام هيثم .. قالتها وهى تتوسل إليه ..

- فضايح هو لسة شاف فضايح .. بقولك إيه أنا قايلك ما تدخليش إنتى أنا محامى وعارف أنا بعمل إيه كويس قوى .. إنت هتطلع يعنى

هتطلع يا هيثم .. ومحدش يناقشنى دلوقتى خالص عشان أنا مش مستحمل كلمة من حد ومش شايف قدامى ..

خطوة تليها خطوة .. ودرجة تليها الأخرى .. كانت ميزة تحاول جاهدة أن تلتقط أنفاسها .. تحاول أن تُقنع نفسها قبيل اللحظات الأخيرة .. أن هناك أملًا ألا يكون عادل خائنًا .. أن هناك أملًا أن يكون عادل نائمًا الآن وحده أو يأكل وحده أو يشاهد التلفاز وحده .. أو من المحتمل أن يكون الآن يفعل أى شىء أخر سوى خيانتها .. هكذا هن النساء .. عندما يقعن فى الحب .. يسقط عنهن المنطق والعقل كذلك ..

حاولت أن تستجمع قواها طوال تلك الدقائق .. كانت تصعد الدرج وهى تُقرر أن تواجه الموقف بقوة .. ألا تبكى وألا تنهار .. قررت عبثًا أن تتماسك وأن تتمالك نفسها .. فى إحدى تلك المواقف وإحدى تلك الأيام التى لا يمكن لإنسان ما أن يقرر ماهيتها وكيف تعبر على أصحابها سوى أصحابها أنفسهم .. سوى من عبروا بها قبلًا .. أو بالأحرى سوى من اختبروها قبلًا ..

فتحت ميزة باب الشقة بسلاسة وهدوء مطلق .. وما إن دخل ثلاثتهم إلى البيت .. حتى بدأت تتراءى إلى مسامعهم أصوات عادل وامرأة أخرى غريبة قادمًا من غرفة النوم ..

حملتها أقدامها إلى حيث ذلك المكان الذى اعتاد أن يكون فى السابق لها هى وعادل .. الحب الأول فى حياتها .. وقفت أمام الباب بالضبط تختلس السمع فى ذهول .. تتوسط هيثم من جهة وأبيها من جهة أخرى .. وها هى المرأة التى كانت لتوها تتوعد بالتماسك والقوة، تنهار فى البكاء ..

لم تكن تقوى على فتح الباب .. ولكم تمنت أن تستدير وتعود أدراجها فى صمت فى تلك اللحظات ..

استمرت واقفة تبكى فى صمت للحظات .. حتى مد والدها يده وضعها على مقبض الباب وفتحه فجأة .. يا إلهى .. لقد فتح أحمد الباب.. بيد أنه لم يفتح بابًا عاديًا لإحدى الغرف .. بيد أنه قد فتح لتوه إحدى أبواب الجحيم ... الجحيم الذى سوف يلاحق ذاكرة عادل وميزة مدى الحياة ..

التفت عادل إلى الخلف فوجد ميزة تقف أمام الباب .. جاحظة العينين .. بدت مقلتيها كمن كانت على وشك الخروج من وجهها من فرط البكاء ..

وأحمد واقفًا بالقرب منها يقول .. شايفة ... شايفة .. أهو والله العظيم كنت متأكد إنه مش مظبوط من الأول .. استمر أحمد فى الحديث ولكن ميزة لم تكن تسمعه فى تلك اللحظات ..

التفت عادل وعلى الرغم من وجود أحمد وهيثم وميزة .. وعلى الرغم من رؤيته عينا زوجته وهى تتراوح ما بين النظر إليه والنظر إلى سوسو عشيقته .. إلا أنه لم يكن يلحظ فى تلك الساعة شيئًا سوى عُريه .. بدأ يشعر أن جسده قد امتلأ فجأة بالثقوب .. بالكثير والكثير منها .. وفى مقابل كل نظرة كان يتلقاها من أحدهم .. كانت تلك النظرة تُحدث ثقبًا غائرًا فى جسده .. لا يعلم متى وأين وكيف سوف يتسنى له ملء هذه الثقوب مجددًا وإعادتها إلى ما كانت عليه..

لقد تراءى له الآن أن للرجال شرفًا كذلك مثلهن مثل النساء .. لقد تراءى له الآن أن الرجل أيضًا من الممكن أن يجلب العار على نفسه، وليست فقط النساء هى من بمقدورها فعل هذا الأمر..

عادل ظل مشدوهًا .. عاجز الفكر .. بل مشلول الفكر .. كانت تلك هى إحدى اللحظات التى لم تخطر له ببال أنها قادمة لا محالة فى يومٍ من الأيام .. لقد ظن عادل عبثًا أنه قد ملك الدنيا وما فيها .. ولن يقوى على كشف مخططاته أكثرهم ذكاءًا .. إلا أنهم وكما يقولون .. أن الإنسان يبدأ فى ارتكاب أكبر أخطاؤه وأكثرهم حمقًا فى تلك اللحظة التى يظن فيها أنه قد ملك ذكاءًا غير عاديًا .. وأن جميع من فى الأرض ما هم إلا حفنة من المخلوقات الغبية .. التى لا تقوى على كشف ألاعيبه ..

دارت فى رأسه أفكار كثيرة وأشياء بعيدة غاية فى البعد عن مجريات الأحداث .. لم يكن يملك عادل أدنى فكرة عن أسباب هذه الأفكار .. بدا لنفسه كمن كان يحتضر .. بدأ يشعر أن روحه تخرج من جسده .. وأنه يرى الآن شريط أحداث حياته يمر بالكامل عبر عينيه .. فقد تذكر لتوه أشياء من ماضيه السحيق .. لقد تذكر إحدى تلك اللحظات التى رأى فيها والده وهو يضرب أمه .. لقد عادت إلى مسامعه الآن فقط كل صرخة صرختها أمه .. وكل لحظة هلع عاصرها هو وأخوه أثناء تلك العلقات الساخنة التى كان والده قد اعتاد على أن يمنحها لأمه على مسمع ومرأى من أطفالها .. لقد تذكر الآن فجأة كل صفعة وكل لكمة وكل ركلة .. لقد عاد لتوه شبح والده فى الظهور ولكن فى حلة جديدة .. لم يستفق عادل إلا عندما سقطت ميزة على ركبتيها من فرط البكاء على الأرض .. أراد أن يقوم من موضعه ولكن يا للعار .. كان بحاجة إلى شىءٍ يستر به جسده .. ذلك

الجسد الذى كرمه الله بالملابس، ولكن نزعت عنه الرغبات الحيوانية إنسانيته بانتزاعها بيديه ..

عندما سقطت ميزة على الأرض منهمرة فى البكاء .. أراد أن يركض إليها ومنعه عريه .. جلس فى موضعه مفكرًا للحظات .. حتى تناول بيده أحد تلك الأغطية المتناثرة على الفراش يمينًا وشمالًا .. لف جسده بها وتحرك بخطى سريعة إلى ميزة .. التى كانت تجلس على الأرض .. جلس بالقرب منها ووضع كلا يديه على ذراعيها .. لقد أحكم قبضته على منكبيها واستمر فى تحريكها .. ومناداتها باسمها .. ميزة .. ميزة .. الذى كان صدقًا فى تلك اللحظة لا يدرى ماذا عساه أن يقول سواه .. وكيف عساه أن يدافع عن نفسه ..؟؟ كيف ..؟؟

جلست سوسو التى كانت لازالت فى الفراش فى موضعها .. تنظر إلى الجميع بفخر يكاد يطير من عينيها .. وتلك السعادة تملؤها .. فقد كانت هذه هى أول مرة فى حياتها ترى تلك النظرات فى عينين امرأة شريفة أخرى.. لقد عرفت زوجته اليوم عنى، أخيرًا انتصرت عليها .. هذا كان كل ما فكرت فيه .. وهذا كان كل ما حلمت به يومًا .. بدأت ملامح وجهها تتحول من نظرات السعادة إلى تلك النظرات النسائية المبتذلة .. التى قد تمنحها امرأة لأخرى احتفالا بالنصر .. وإخبارًا لها عن أنوثتها الغير منقطعة النظير التى قد جعلت زوج هذه تركها وركض خلف الأخرى ..

بينما كان عادل مستمرًا فى ترديد ميزة .. ميزة أرجوكى سامحينى .. بدأت الدموع تنهمر من عينيه هو أيضًا وزوجته فى الأرض تبكى .. لا تقوى حتى على النظر إليه أكثر من ذلك ..

ميزة أرجوكى سامحينى .. أنا مش عارف أقولك إيه .. أنا ما عنديش كلام أقوله غير كلمة سامحينى .. ميزة ميزة .. مالك فيكى إيه .. انتى مش بتتكلمى ليه .. ردى عليا .. ردى عليا أبوس رجلك ردى عليه .. إنتى ست الستات .. أنا عمرى فى حياتى ما هلاقى ضفرك ..

وهنا أتاه من الخلف صوت أحمد مرددًا .. أه عمرك ما هتلاقى ضفرها.. أصل إللى زيك أصلًا ما يعرفش ستات .. يعرف ضوافرهم بس ..

بصوا بصوا يا جماعة .. أهو زى ما قلتلكم .. كان هذا صوت أحمد مشيرًا بذراعه إلى عادل وسوسو من خلفه ..

رفع عادل عينيه إلى الأعلى فلمح أحمد يقف بالقرب من عم عطية الحارس وزوجته بالقرب منه ينظرون كلاهما إلى عادل نظرة يملؤها الاستحقار والازدراء والتعجب ..

بدأ عادل يدرك حجم المصيبة، التى وقع فيها لتوه .. لقد كُشف سترك يا عادل .. وما أصعب أن يسقط رداء الستر الإلهى الذى يغطى البشر أجمع عن أحدهم .. إن هذا الرداء ما هو إلا رحمة من الله .. يغطى به الله العبد مرة تلو الأخرى .. ولا يسقط عنه إلا عندما يطغى .. ولقد طغيت وطغى سلطانك وغرورك يا عادل ... ألم تمنحك الأقدار فرصة تلو الأخرى للتراجع ..!!! ألم تحصل على أكثر من فرصة للتراجع فى السر..!! كم من مرة أخطأت فيها يا عادل ولم يعرف بخطأك سوى من خلقك ..!! ولكنك مع ذلك لم تتراجع .. بل لم يزدك الستر إلا طغيانًا .. فسقط عنك رداءك ..

قيل قديمًا أن الستر هو هبة الله .. فى وجودها حكمة .. وفى سقوطها حكمة أكبر .. ففى وجودها فرصة للتراجع والتوبة .. وفى سقوطها أمر صريح بالتراجع ..

كانت ميزة لا تشعر بالعالم من حولها .. فقط تجلس على الأرض باكيةً فى انكسار .. أنهضها أحمد وسلمها لهيثم .. وقال له .. خدها إنت على العربية وإستنونى أنا جايلكم ..

لا يعلم عادل لماذا وقف واعتدل فى موضعه فى نفس توقيت وقوف ميزة .. لعله كان يريد ملاحقتها ولكن لا يملك أدنى فكرة عن كيف من الممكن أن يلاحقها وهو شبه عارٍ تلاحقه الأنظار من كل حدب وصوب..

ذهبت ميزة بينما بقى هو فى موضعه .. لا يعلم فى أى اتجاه يتوجب عليه النظر .. يمينا أم يسارًا .. هنا أم هناك .. فهنا أم أحمد .. وهناك عم عطية .. يمينًا هيثم .. ويسارًا أحمد حماه .. يا إلهى لقد ضاقت عليه الدنيا.. لم تمنحه حتى بقعة واحدة من بمقدوره النظر إليها ..

ذهبت ميزة مع هيثم .. الذى قد حرص على البصق فى وجه عادل باشمئزاز قبل أن يتحرك قائلًا ..

- إتفو .. إتفو عليك يا أخى وعلى إللى يعرفك وعلى إللى يعوز يعرفك ..

بقى أحمد صامتًا فى موضعه .. ينظر صوب الباب وعينيه مملؤتان بالكثير والكثير من الوعيد والتوعد .. تتبعهم حتى خرجوا من البيت .. ثم نظر إلى عادل .. وقال له ..

- بص بقى يا حلو .. إنت وقعت ولا حدش سمى عليك .. إنت راجل متجوز .. ودا مسكن الزوجية .. واللى إنت عملته دا إسمه فعل زنا مثبت.. يعنى شهود عيان عليك موجودين وشافوك بعنيهم وإنت متلبس .. ولو على الصور الصور أهى .. أنا صورتلك فيديو وصور عادية عشان ما أبقاش حرمتك من حاجة .. وإللى إنت هتعمله بكرة الصبح أول ما النهار يطلع هتروح تطلق بنتى وتديها كل مستحقاتها .. ومش بس كده إنت ما توريهاش وشك تانى .. أنا مش عايز أسمع إسمك كده بالصدفة .. عشان أنا مش ضامن نفسى الصراحة بعد ما أخرج من هنا هعمل إيه بالصور الحلوة إللى عندى على الموبايل دى .. بفكر .. لسة بفكر .. يا ترى أفضحك بيهم .. ولا أنزلهم عالنت وأخلى الناس تنبسط وتشوف المؤلف المحترم عادل فؤاد عمل إيه .. ولا مش عارف .. فيستحسن كده إنك تسمع كلامى زى الشاطر وما تلعبش بديلك لا يمين ولا شمال .. بدل ما أفضحك ..

لم يقو عادل على الرد .. لم يقوى عادل على النطق بحرفٍ واحد .. ياللهول .. لقد عرف لتوه أن أحمد قام بتصويره .. ياللهول لقد ألهته فجيعته عن ملاحظة عدسة الكاميرا وهى موجهة صوبه .. لقد عرف الآن أنه ليس فقط بصدد مواجهة فضيحته أمام من رأوه .. وأمام من سمعوه.. وإنما فقط سوف يتعين عليه مواجهة احتمال الفضيحة أمام البلاد بأسرها ..

سار أحمد صوب باب البيت خطوتين .. ثم تراجع مرة أخرى خطوتين للخلف .. ولكم عادل فى وجهه لكمة بالغة القوة .. قد أفقدته توازنه وأعادته مرة أخرى إلى الأرض .. ولكن هذه المرة لم يجلس بمحض إرادته وإنما سقط سقطة يملؤها الذل ..

أحمد الرجل الخمسينى المسالم .. الذى قد عُرف بإنسانيته طوال حياته .. الذى قد عرف عنه أنه ليس بمقدوره أن يؤذى ذبابة .. ها هو يستجمع كل ما يملك من قوى ليلكم شابًا قوى البنية على وجهه لكمة بالغة القوة .. لكمه أحمد ثم قال له ..

- دى عشان بنتى إللى أنا يا خسارة إكتشفت دلوقتى إن غلطة عمرى كانت إنى فى يوم من الأيام أمنتك عليها ..

ظل عادل ملقى فى موضعه على الأرض .. لم يكن يملك شيئًا واحدًا من القوة أو الطاقة ليرفع جسده من على الأرض .. لم يكن يقو حتى على أن يرفع عينيه فى وجه عم عطية أو زوجته أو أى إنسان كان ..

خرج أحمد .. وتلاه عم عطية وزوجته .. وتركوا خلفهم باب الشقة مفتوحًا على مصراعيه .. وعلى الرغم من شبه عريه .. إلا أنه لم يكن يعبأ فى تلك اللحظة بمسألة الأبواب المغلقة أو الأبواب الموصدة أكثر من ذلك .. ولم عليه يعبأ أو يخاف من أن يراه أحدهم عاريًا أكثر من ذلك ..!!

وكما كان دائمًا الشعور بالاتساخ الداخلى هو مرض عادل المستعصى فى الماضى القريب .. وجد نفسه الآن يعيش ليضيف إلى قائمة أمراضه مرضًا أخر .. ألا وهو الشعور بالعرى الداخلى ..

مشاعر صعبة ... مشاعر لا توصف .. تلك المشاعر التى تجعلك تظن أنك أينما ذهبت وكلما تحدثت وكلما التقيت بأحدهم .. سوف تظل عاريًا فى أعينهم مهما بلغت ملابسك من سُمكٍ .. ومهما ازدادت الوان ملابسك من قتامة .. سوف تظل مكشوفًا دائمًا .. سوف تسير بين الناس لتجد نفسك مخترقًا من قِبَل أعينهم .. إحساس بالرخص والعهر يعتريه الآن

بالكامل .. يجعله يظن أنه مهما فعل .. ومهما بالغ فى شراء أغلى الملابس .. سوف يظل دائمًا رخيصًا .. عاريًا .. متسخًا...

إنها أمراضك ولوازمك الجديدة يا عادل .. فقط بات عليك أن تعتاد عليها .. وتعيش كل دقيقة من عمرك القادم تتأمل ما اقترفت يداك .. وما أوصلتك إليه نفسك .. نفسك الأمارة بالسوء ..

***

قد يظن المرء أن النساء تقوى بأزواجهن .. قد يظن المرء أن النساء تقوى بأبنائهن .. قد يظن المرء أن النساء تقوى بإخوتهن .. إلا أنه وفى الحقيقة النساء لا تقوى إلا بآبائهن .. فكما أن وراء كل رجل عظيم امرأة أعظم .. وراء كل امرأة قوية .. أبًا أقوى منها .. قرر أن يتحدى بها ولأجلها العالم ..

أوشكت الساعة على الرابعة فجرًا .. وهى لازالت تبكى .. ولكن خفت وطأة دموعها .. بعد أن أوشكت على استنفاذ رصيدها من الدموع فى هذا اليوم .. كانت تضع رأسها فى حضن والدها .. الذى يمرر يده فى رفق على عينيها محاولًا تجفيف دموعها .. قائلًا ..

- عارفة يا ميزة .. أنا قبل ما إنتى تيجى الدنيا .. كنت خايف أخلف بنات .. أه والله .. كنت خايف أخلف بنات بس مش عشان البنات وحشين لا سمح الله .. أنا كنت خايف أخلف بنت عشان كنت دايمًا عارف إنى هفضل خايف عليها طول عمرى .. بس ربنا رزقنى ببنت حلوة .. أول ما شوفتك حسيت بمشاعر أنا ما عرفتهاش وما حسيتهاش قبل كده .. عرفت إن أحلى إحساس فى الدنيا هو الإحساس إللى بيحسه الأب ناحية بنته ..

إتغيرت ساعتها وبقيت بعامل مامتك المعاملة إللى حلمت إنك فى يوم من الأيام لما تكبرى تلاقى واحد يعاملهالك .. بس وكبرتى وكل الناس كانوا فاكرين إنى مش عايزك تتجوزى عشان بغير عليكى .. أو بكرهلك الخير أو إن عندى حب تملك .. لأ هما فهمونى غلط .. الأب بيعيش عمره كله بيحمى ولاده من الحاجات والأخطار الملموسة .. أنا كافحت وحاربت الدنيا عشان أعرف أحميكى من الفقر وما أخليش فى نفسك حاجة .. كنت عارف إنى أقدر أحميكى من حرامى عايز يسرق شنطتك .. أو من حرامى تانى عايز يسرق جسمك .. بس أكتر حاجة كنت عارف إنى مستحيل أعرف أحميكى منها هى الحرامى إللى عايز يسرق قلبك .. لأن إللى بيسرق القلب ما بيستأذنش قبل ما يسرقه .. أنا عارف إن يمكن الكلام إللى بقوله دا غريب وانتى أول مرة تسمعيه .. بس أنا كنت عارف دايمًا إنى مهما بالغت فى حمايتك من كل حاجة ومن أى حاجة عمرى فى حياتى ما كنت هقدر أحميكى من حُبِك ومن قلبك.. أنا عشان راجل كنت دايمًا حاطط رغبات الرجالة وأطماعهم قدام عينيه .. أكتر حاجة كانت طول عمرها مخوفانى حصلت النهاردة .. إنى أربيكى وأكبرك وأشوفك بتبقى أحلى يوم بعد يوم .. وبعد كل دا ييجى راجل فى لحظة .. فى غمضة عين .. بين يوم وليلة يكسرلك قلبك.. مش عارف أقولك إيه .. مش عارف أقولك إيه ..

تنهد أحمد قليلًا .. ثم استطرد حديثه ..

وعشان كده ربيتك على إنك تبقى قوية عشان تعرفى تعتمدى على نفسك فى كل حاجة .. وإنك تروحى تحققى أحلامك لنفسك وما تستنيش راجل يحققهالك .. وعشان كده برضو أنا عايز أقولك إن اللى حصل النهاردة دا مش النهاية .. اللى حصل النهاردة دا مش أكتر من مجرد بداية ..

بداية جديدة ليكى عشان تعرفى تعيشى حياة جديدة .. وتفتحى صفحة جديدة وتنسى كل إللى فات..

فاكرة يا ميزة زمان وانتى صغيرة .. لما كنتى كل مرة بنروح نصيف فيها بتقفى قدام البحر .. وتفتحى بوقك من كتر الإنبهار .. ما كنتيش ساعتها بتبطلى تفكير فى البحر .. وفى نهاية البحر.. ساعتها ياما سألتينى .. كنتى بتقوليلى يا ترى يا بابا أخرة البحر دى نهاية؟؟ يا ترى أخر البحر دا الناس لازم تموت؟؟ وانا كنت أرد وأقولك مفيش حاجة إسمها نهاية .. وإن أخر البحر فى حياة تانية .. وإن تحت البحر برضو فى حياة تانية زى ما فوق البحر برضو فى حياة كبيرة.. وكبرتى وفضلتى تسألينى نفس السؤال سنة ورا سنة وما بطلتيش تسأليه إلا لما أشتريتلك منظار وبعدين أخدتكم وطلعنا فى رحلة بحرية .. عشان أعلمك إن الحجات إللى عنينا بتشوفها على إنها النهاية .. وأعلمك إن الحاجات إللى إحنا بنفتكرها النهاية .. مش ضرورى تكون نهاية فعلًا .. وساعتها بس حسيت إنك فعلًا فهمتى إن الخط إللى إحنا بنفتكره النهاية دايمًا بيكون بعده حياة وحياة أجمل كمان .. ودى الحاجة إللى أنا عايزك النهاردة تفتكريها يا حبيبتى ..

صمت أحمد لبرهة .. ثم انحنى فنظر إلى وجه ابنته .. فوجدها قد نامت بالفعل..

***

سارة .. المرأة القريبة من الله .. المحجبة .. التى تُفضل أن تُسمى درجة علاقتها بالله " بالقرب من الله " عوضًا عن تسميتها بالتدين .. حتى لا يُساء فهمها فى مجتمع قد غير معانى كلمة التدين وحملها معانٍ أخرى بعيدة كل البعد عن معناها .. تلك التى لامها الجميع على حبها لإليخاندرو .. تلك التى

توقع لها الجميع الفشل فى زواجها .. تلك التى لم يتوقف يومًا أحدهم عن إخبارها بأن ذلك اليوم الذى يرتد فيه اليخاندروا عن الدين قادم لا محالة .. وبأنه سوف يخونها مع عشرة نساء وليس فقط واحدة .. أخبروها أنه سوف يعود إلى حياته السابقة .. وأنه لاخير أبدًا فى مسلم مستجد .. راهنوها على ارتداده وراهنتهم هى على بقاءه .. اتهموها عبثًا بالركض خلف الغرب ومحاولة الالتصاق بهم والخروج عن مجتمعها .. ولكن كانت الحقيقة أنها ما ركضت يومًا خلف الغرب لمجرد أنهم غربًا .. وما نبذت يومًا العرب لأنهم عربًا .. وإنما مال قلبها نحو رجل على نفس درجة قربها من الله .. لما عرفت عن الإسلام من أنه دين لا يُميز بين بشريٍ وأخر .. بين غربى وعربى إلا بالتقوى والقرب من الله .. تزوجت سارة اليخاندروا لأنها رأت فى قلبه إيمانًا لطالما افتقدته فى قلوب معظم من عاصرتهم من رجال عرب مولودون على الإسلام..

تركت الهاتف من يديها .. وألقته جانبًا .. وبدأت تتأمل الماضى والحاضر والمستقبل .. تتساءل فى نفسها .. متى سوف تتوقف تلك الكوابيس عن الحلول .. لقد ظننتُ أننى هربتُ وانتهى الأمر .. ولكن يبدو أنه لن ينتهى أبدًا ؟؟

فجأة دخل اليخاندروا إلى الغرفة .. فوجدها تجلس والوجوم بين على وجهها .. سألها ماذا بكِ؟؟

أجابته .. – لقد خان عادل ميزة .. تخيل؟؟

- كيف؟؟

- خانها .. يا اليخاندروا أقصد أنه قد اقام علاقة غير شرعية مع امرأة أخرى غريبة عنه ..؟؟

- حقًا ..!! لا أفهم .. كيف فعلها اليس هذا النوع من العلاقات محرم فى الإسلام ..؟؟ هل عادل يعلم أن هذا الأمر محرمًا؟؟

- نعم يا اليخاندروا .. محرم .. وهو بالتأكيد يعلم؟؟

- إذًا لماذا فعل هذا الأمر وهو مسلم يوقن جيدًا حرمانيته ..؟؟

كان هذا هو السؤال الأكثر إيلامًا على قلب سارة .. نظرت إليه فى عجز.. لم تكن تعلم بماذا يتوجب عليها الإجابة الآن .. إنه السؤال الأكثر عجزًا والحقيقة الأكثر إيلامًا ..

فكرت لبرهة ثم قالت له ..

- سوف أذهب إلى مصر .. يجب أن أعود إلى مصر بسرعة .. يجب أن أبقى بالقرب من ميزة فى هذه الأيام ..

- حسنًا هل تحبين أن أحضر معِك ..؟؟

- لا .. سوف أذهب وحدى هذه المرة .. هذا أفضل ..

***

فى نهار اليوم التالى .. كان مصطفى جالسًا فى غرفة أخته ميزة .. يواسيها .. بينما كان أحمد فى البيت هذا اليوم .. لقد قرر أن يبقى فى المنزل بالقرب من ابنته الحزينة كذلك .. عندما دق جرس الباب .. فتح أحمد وفوجئ بعادل .. الذى لا يعلم كيف قد تمكن من أن يستجمع قواه

ويذهب مباشرة للحديث إلى ميزة، التى لازالت حتى هذه اللحظات زوجته أمام الشرع والقانون ..

فتح أحمد الباب .. ثم نظر إلى عادل نظرة من أسفل إلى أعلى يملؤها التعجب والتعالى فى نفس الوقت .. وقال..

- إيه دا .. إنت رجلك شايلاك وجابتك لحد هنا .. دا أنا قلت زمانك روحت طلقتها .. إنت جاى هنا تعمل إيه .. طلقت بنتى ولا لسة ..؟؟

- جاى أتكلم مع مراتى .. أنا أسف يا عمى لو سمحت أرجوك خلينى أكلمها إنشاالله حتى لو خمس دقايق ..

- عما الدبب .. مراتك دا كان زمان يا حيلتها .. إنما دلوقتى الكلام إختلف إنت هتطلقها .. يعنى هتطلقها ..

- أيوه أرجوك .. أرجوك أنا غلطان وجاى أعترفلها وأطلب منها تسامحنى .. أرجوك يا عمى إدينى فرصة تانية إعتبرنى زى إبنك مصطفى .. أرجوك خلينى أكلمها أنا بحبها ما أقدرش أطلقها.. ما أقدرش ..

- هتطلقها ورجلك فوق رقبتك .. ماذا وإلا هفضحك .. وهروح أرفع عليك قضية طلاق وإنت عارف وأنا عارف إنى هكسبها فى جلسة واحدة بس بالصور والشهود إللى معايا .. ومش بس كده أنا هروح أقف فى المحكمة وأجيب صحفيين وأقول بعلو صوتى .. بنتى عايزة تطلق من عادل فؤاد بيه المحترم عشان قفشته مع واحدة شمال فى الشقة والصور أهى ..

- ياعمى أبوس إيدك .. بلاش فضايح .. طب بلاش عشانى أنا هتفضح بنتك يعنى ..

- أفضح بنتى ليه .. وهى بنتى مالها .. تكونش فاكرنى واحد متخلف هدارى على فضيحتك عشان بنتى ما تتفضحش .. لا دا أنا هفضحك إنت أنا بنتى مالهاش دعوة بالموضوع ..

وفجأة اندفع مصطفى من الداخل .. خارجًا بخطى مسرعة وعلامات الغضب تبدو على وجهه .. ويُهلل بصوتٍ عالٍ ..

- إنت يا ***** إيه إلى جايبك هنا .. إنت ليك عين تيجى بعد إلى عملته .. قالها وهو يقترب من عادل ليضِربه ..

إلا أن عادل لا يعلم لماذا لم يشعر بالانكسار أمام مصطفى بالتحديد.. بل نظر إليه بعيون ثابتة وقوية .. ولم يتحرك من مكانه ولم يتراجع حتى خطوة واحدة للخلف .. ثم قال..

- يا سلاااام .. ومالك محموق قوى كده ليه .. وعاملى فيها أبو الشرف.. على أساس إنك ما عملتهاش قبل كده .. وبعدين عادى يعنى أنا راجل ومن حقى أتسلى .. ولا هى التسلية دى حلال عليك وحرام على كل الرجالة .. زعلان قوى عشان جت فى أختك .. روح بص لنفسك الأول قبل ما تيجى تعيب على الناس ..

كانت ميزة تجلس فى غرفتها تستمع إلى حديثهم .. كانت لا تريد رؤيته .. ولكنها لا تعلم لماذا انهمرت من على وجهها دمعة عندما سَمِعَت رد عادل على مصطفى .. وشعرت أنه مُحق فى كلماته .. لقد كان هذا دين على أخوها .. توجب رده إليه عبرها .. لذلك استجمعت قواها وخرجت ..

بينما كان أحمد يَصرخ فى وجه عادل .. إطلع برا .. إطلع برا .. ثم ينظر إلى مصطفى الذى قد بدأ يفور ويقترب من عادل أكثر فأكثر بعدما قاله

رغبة منه فى ضربه .. وإنت كمان إنت إتجننت .. داخل تضربه وعاملى نفسك فتوة ما هو من عمايلك السودا ..

خرجت ميزة .. فاجأت الجميع .. بابا.. مصطفى لو سمحتوا أنا عايزة أسمعه ..

أجابها أحمد – لأ .. تسمعيه إيه إنتى إتجننتى .. إدخلى أوضتك يللا وما تطلعيش منها خالص..

- بعد إذنك يا بابا دى رغبتى لو بتحبنى خليه يتكلم حتى لو للمرة الأخيرة ..

- طيب .. إتفضلوا فى الصالون وما تطولوش ..

وهكذا دخل كلاهما إلى الغرفة وأغلقا خلفهما الباب .. وقفت ميزة فى مواجهة عادل .. تنظر فى عينيه بقوة .. بدون دموع .. بدون بكاء .. بدت متماسكة بينما صمت هو قليلًا لا يعلم من أين يتوجب عليه أن يبدأ حديثه ..

- إتفضل إتكلم .. مش كنت لسة بتقول إنك عايز تكلمنى .. إتفضل كلمنى ..

- عينيكى مالها .. كنتى بتعيطى طول الليل صح .. عيطتى ليه أنا ما أستاهلش زعلك عليا ..

- ومين قالك إنى كنت بعيط عشان زعلانة عليك .. أنا كنت بعيط عشان زعلانة على نفسى..

- ميزة أنا أسف .. سامحينى بجد ... أنا مش لاقى كلام أقولهولك .. ومش لاقى أى مبرر يبررلك غلطى غير إنى أطلب منك السماح .. أنا عارف إن إللى بطلبه دا كبير قوى .. بس فى نفس الوقت أنا عارف إنك قوية وإنك هتسامحينى .. أنا مش هعمل كده تانى .. أوعدك لو رجعتيلى هخليكى أسعد إنسانة فى الدنيا وعمرى فى حياتى ما هخونك تانى ..

- زى ما وعدتنى قبل كده صح ..؟؟ نظرت إليه بسخرية ..

اقترب منها وأمسك بيدها أراد أن يقبلها فسحبتها هى ..

- أنا أسف .. أنا غلطان والغلط راكبنى من ساسى لراسى .. وجاى لحد عندك أهو وبعترفلك بغلطى وبطلب منك تسامحينى ..

- عادل .. ممكن أسألك سؤال .. لو الوضع إتعكس .. لو كنت أنا إللى خنتك فى سريرك كنت هتسامحنى بعدها؟؟

صمت عادل لبرهة .. مفكرًا فى مخرج لتلك الزاوية التى قد حشرته فيها ميزة لتوها .. فنظرت بمكر وقالت له ..

- طبعًا ما كنتش هتسامحنى .. دا مش بعيد كنت تقتلنى فيها كمان وساعتها كانت الناس هتصفقلك على رجولتك مش كده ..؟؟

- يا ميزة أنا راجل ..

- الغلط ما يعرفش فرق بين راجل وست .. الغلط غلط والصح صح.. هو ربنا لما حرم الزنا فى القرآن كتب جنب التحريم .. دا محرم إرتكابه للستات .. وحلال للرجالة؟؟ ربنا حرم الحجات الغلط على الستات والرجالة .. بس للأسف إحنا إللى مهما بنتطور أو بندعى إننا بنتطور

بيفضل برضو باقى عندنا ناس زيك فاكرين إن من حقهم يغلطوا براحتهم بس عشان هما رجالة ..

- أيوه بس إنتى أحسن منى وطول عمرك قلبك كبير وبتسامحى .. سامحينى يا ميزة دا ربنا بيسامح ..

- أيوه ربنا بيسامح .. بس أنا مش ربنا .. والقوة إللى إنت متخيل إنها عندى دى وهقدر أسامحك بيها .. مش موجودة أصلًا ..

التفتت وسارت عدة خطوات باتجاه الباب .. بحيث أصبح ظهرها إليه ووجهها موجهًا صوب الباب.. بينما قال هو لها ..

- أنا راجل وغلطان وعارف إنى..

التفتت اليه وقاطعته قائلة .. لأ يا عادل .. إنت عارف إنت مشكلتك الحقيقية والوحيدة إيه .. إنك مش راجل غلطان .. إنك راجل شرقى ..!!!

فتحت الباب وذهبت إلى غرفتها ... بينما خرج هو من باب الشقة وصوت أحمد يتردد إلى مسامعه .. قدامك 24 ساعة عشان تطلقها بعد كده هرفع قضية وهفضحك يابن ال*****

***

عندما تحب المرأة زهرة .. فهى ترعاها فى موضعها .. ترعاها فى موطنها.. تتركها على حالها .. تترك لها حق الحياة فى وعاءها الذى ولدت منه إلى الحياة .. فقط جل ما يمكن أن تفعله هو أن تقترب منها لتحصل على رائحتها .. وصورة لها بعد ذلك .. ولكن عندما يُحب الرجل زهرة .. فهو يُحبها بأنانية تجعله ينتزعها من موضعها ليحملها معه ويضعها فى بيته ..

يحملها معه على الرغم من علمه أنها قد ماتت بمجرد انتزاعها من تربتها .. ماتت وما هى إلا أيام حتى تذبل فى بيته وتفقد أخر أيام جمالها ورحيقها وعطرها ..

وهكذا لطالما كان دائمًا الفرق بين المرأة والرجل كالفرق بين الحياة والموت .. كالفرق بين العطاء والأنانية .. بين الحُب وحُب التملك .. بين الرحمة والقسوة .. وهكذا كان أيضًا هو الفرق بين ميزة وعادل .. ميزة التى كانت ترى أن الحب حرية .. وعادل الذى كان لا يعلم كيف بإمكانه استعادة زوجته إلى قفص الزوجية .. غير مكترثًا بأى شىء سوى بتلك الرغبة الدفينة فى إعادة زوجته التى تشبه الزهور كثيرًا من وعاءها إلى تلك الزهرية اليابسة الموضوعة على الطاولة .. كانت ميزة زهرة .. انتزعها عادل من وعائها وذهبت هى معه على أمل أن تجد عنده وعاءًا جديدًا .. يتسع لها ولبذورها .. منحته ميزة نفسها بحثًا عن وطنٍ جديدٍ عنده .. إلا أنها ذهبت لتكتشف أن مكانها محدد مسبقًا فى قعر إحدى تلك الزهريات الجميلة، التى يزين بها الناس مساكنهم .. وهكذا كان عادل يقضى معظم أوقاته متباهيًا متزينًا بميزة .. غير مكترثًا بأن الزهرة تبدأ بالإحتضار منذ لحظة خروجها من وعائها .. لم يكن يعبأ بضوء زوجته وحياتها التى قد بدأت فى الانزواء على يديه .. وفى بيته ..

عادل الرجل الذى كاد يجن لشعوره أن لأفعاله عواقب .. هو الذى ما اعتاد على أن يعاقبه أحدهم منذ أن تخلص من شباك والده .. كان متمسكًا بميزة بقوة .. مُحكمًا قبضته عليها ولا يريد أن يفلتها أبدًا .. لا يعرف كيف سوف يتمكن من الإبقاء عليها بعد اليوم.. يحتاج أن يشعر أن كل شىء لازال على ما يرام و يمكن إصلاحه وبأنه من الممكن لخطأه أن يتم تداركه .. وهو يعلم جيدًا أنه لا يمكنه أبدًا الشعور بهذا الامر إلا باستعادة

ميزة .. ميزة التى يعتبرها هو إحدى ممتلكاته، التى لا يمكن أن يسمح لرجلٌ أخر أن يحصل عليها من بعده .. إنها زوجته هو وسوف تظل هكذا إلى الأبد ..

خرج عادل من بيتهم وهو يفور غيظًا .. كانت علامات الجنون تُبدو على وجهه .. يُفكر فيما بوسعه أن يفعله فى تلك المهلة الزمنية القصيرة، التى قد منحه أحمد إياها قبل تطليقها أو الفضيحة ..

لذلك جاءت دائمًا هدى هى الحل والمخرج الوحيد .. والمحامى العائلى المتفانى الذى كان عادل أكيدًا من أنها سوف تساعده كالعادة .. وسوف تقف إلى صفه كالعادة ..

وبدون سابق موعد .. ذهب عادل إلى منزلها، الذى كان يعرف عنوانه جيدًا .. وأخبرها بكل شىء .. لامته ولكنه قد الحق القصة باعتذاراته وشعوره القاتل بالألم .. وبرغبته فى الحصول على غفران ميزة وبتمسكه بيها وعدم رغبته فى تطليقها .. صدقته بالطبع وارتدت ملابسها وطلبت منه أن يُقلها إلى بيت أختها بسيارته ..

- يا خالتو أنا قلتلك هتطلق يعنى هتطلق .. لو سمحتى ما تحاوليش معايا .. أنا مش هغير رأيى ومش هرجع فى كلامى..

- بس تفى من بوقك ما تقوليش كده .. إحنا ما عندناش بنات تطلق فى العيلة .. إنتى عايزة الناس تاكل وشنا ولا إيه .. ما كملتيش سنة جواز وعايزة تتطلقى وتطمعى الرجالة فيكى ..

- رجالة إيه إللى يطمعوا فيا عشان إتطلقت .. والراجل إللى هيطمع فى ست مطلقة دا أصلًا ما يبقاش راجل ..

- راجل ولا مش راجل دا مش موضوعنا .. موضوعنا المصيبة إللى إنتى عايزة تعمليها فى نفسك .. إيه يعنى جوزك غلط .. غلطة وتعدى .. يا حبيبتى يا بنتى كل الرجالة كده .. مفيش راجل فى الدنيا مالهوش نزوات، بس فى الأخر الراجل من دول بيلف يلف وفى الأخر بيرجع لمراته أم عياله .. الست الشاطرة هى إللى تعرف تحاجى على بيتها وجوزها وتخلى دايمًا عينها عليه .. إنتى كمان كنتى غلطانة ميت مرة أقولك سيبى شغلك وركزى فى بيتك .. بس إنتى دماغك ناشفة طالعة لأبوكى مخك تخين زيه ..

- بصى يا خالتو أنا مش هدافع عن نفسى ولا هقولك إنى مش غلطانة وشغلى ومش شغلى لأن عادل فعلًا ما بقاش يهمنى وفعلا ما يهمنيش أبرر موقفى لحد .. أنا خلاص قررت أتطلق وهتطلق يعنى هتطلق

- بص برضو البت بقولها إيه وبتقولى إيه ..

- وأنا إيه إللى يجبرنى إنى أعيش مع راجل خاين زيه ..

- إللى يجبرك إنك ست .. والست الأصيلة هى إللى بتستحمل الراجل .. وبتصبر عليه ..

- أيووواااه الست هى إللى بتستحمل .. يبقى أنا عشان ربنا خلقنى ست وهو ربنا خلقه راجل مطلوب منى أعمل نفسى ما شفتوش وهو بيخونى مع واحدة تانية فى سريرى .. مطلوب منى أستحمل غيرته وشكه الأعمى فيا إللى ساعات كان بيوصل لدرجة إنه يطعنى فى شرفى .. والأيام إللى كان بيرجع فيها متأخر من برا وأنا عارفة وهو عارف إنه كان متأخر بيعمل إيه مطلوب منى أنساها برضو دى كمان .. مطلوب منى استحمل راجل حاسس بالنقص من ناحيتى وخايف من ذكائى وعايز يلغى

شخصيتى.. تعرفى هى دى المشكلة .. إننا فعلا عايشين فى مجتمع مبنى على فكرة واحدة .. هى إن الست هى إللى بتستحمل .. حضرتك عايزانى أفضل كده لحد ما أكبر وألاقى نفسى بستحمل خياناته ليا .. إللى هتجر بعدها ضرب وإهانة وقلة أدب وحاجات تانية كتير.. وأصبر وكل دا ليه عشان هو الراجل وأنا الست والست الأصيلة هى إللى بتستحمل .. وأنا المفروض أستحمل عشان يتقال عليا أصيلة .. لكن لو أخدت موقف وطلع عندى كرامة ما أبقاش أصيلة أبقى وحشة .. وبعدين تقدرى تقوليلى الراجل فى مجتمعنا إيه دوره فى الحياة ..؟؟ بيشتغل وبيصرف عالبيت وبيخرج يُعط برا ويعمل إللى على مزاجه .. فى الوقت إللى مراته فيه بتكون بتعمل كل حاجة جوا البيت .. بتنضف وتمسح وتكنس وتطبخ وتشتغل وتاخد بالها منه ومن طلباته ومن هدومه وأكله وتاخد بالها من العيال وتربيهم وتذاكرلهم ... وأهم حاجة تاخد بالها من نفسها لحسن تتخن أو توحش شوية أو يشم منها ريحة ما تعجبوش يقوم يجرى جرى يرمى نفسه فى حضن أول ست تقع فى طريقه عشان مراته ما بقتش لسة حلوة زى زمان.. الست فى مجتمعنا بتربى العيال لوحدها وبتكبرهم لوحدها وبيكبروا وهما كل مفهومهم عن أبوهم إن هو دا الراجل إللى بيصرف علينا .. دا على أساس كمان حتى إن لسة فى رجالة بتصرف فعلًا على مراتاتها وولادها .. دول لو حتى صفة الصرف بقت دى لسة موجودة فيهم كمان .. كل حاجة إستحملى إستحملى ... الست هى إللى بتستحمل .. يبقى راجل خاين الست إللى تستحمل .. بخيل الست برضو هى إللى تستحمل .. قليل الأدب وعصبى وعنيف الست هى إللى بتستحمل .. أنانى وما بيفكرش غير فى نفسه وبس برضو الست هى إللى بتستحمل .. يبقى الراجل فيه عبر الدنيا والأخرة وبرضو مطلوب من الست هى إللى تستحمل .. عشان هو راجل وعشان هى ست.

بس لأ .. لأ وألف لأ أنا مش هستحمل ... أنا هتطلق ومش هستحمله.. ومش هستحمل أى سخافات تانية من المجتمع المريض دا .. دا مجتمع مريض وبيطلع كل أمراضه وعقده على الستات بس ..

- طب تقدرى تقوليلى هتعرفى تعيشى إزاى من غير راجل فى حياتك..؟؟

- هعرف أعيش ازاى ..؟؟!! ومين قالك يا خالتو إنى محتاجة راجل فى حياتى عشان أعرف أعيش .. أنا طول عمرى بعرف أعيش من غير راجل .. عشان أنا إنسانة مش حيوانة يا خالتو .. إنسانة عندى روح وقلب .. ليه كيان وربنا كرمنى بالعقل .. وأنعم عليا كمان بحاجة إسمها الإرادة .. أقدر أستخدمها عشان أتحكم فى نفسى وامنع نفسى من أى حاجة أنا مش عايزاها .. لازم تكونى عارفة يا خالتو إنى مؤمنة إن لو مكانش وجود الراجل فى حياة الست بيزودها سعادة على سعادتها .. يبقى أكرملها تحتفظ بحريتها لنفسها .. ولا إنتى عايزانى أعيش مع واحد يحرمنى من حريتى ويقضى على سعادتى .. يعنى لا سعادة ولا حرية .. دا يبقى ظلم كبير قوى ليه ..

- أدى أخرة الكتب إللى بتقريها دى هى إلى بوظتلك دماغك، أهو كله من أبوكى هو السبب الله يسامحه .. أمك الله يرحمها لو كانت لسة عايشة ما كانش عجبها حالك دا أبدًا.. يا بنتى يا حبيبتى إللى إنتى بتعمليه دا عيب.. آه والله العظيم عيب .. راجعى نفسك الراجل لسة شاريكى وعايزك جنبه ..

- عيب .. إللى أنا بعمله عيب وإللى هو بيعمله صح ومش عيب .. أنا تعبت من المجتمع دا .. إللى دايمًا باصصلى على إنى عيب عشان أنا ست... عيب تطلقى .. عيب تحبى .. عيب تعيشى .. عيب تسافرى .. عيب

تخرجى ... عيب تتنفسى .. عيب تاكلى .. عيب تشربى .. عيب تضحكى فى الشارع .. عيب تكلمى صحبتك فى التليفون قدام الناس لحسن الناس يفتكروكى مصاحبة راجل لا سمح الله .. عيب عيب عيب .. أنا زهقت وتعبت من كتر كلمة عيب دى اللى بقت زى اللعنة بتلاحقنى فى كل حتة بروحها .. أنا مش عيب ياخالتو .. وعمرى فى حياتى كلها ما كنت ولا هكون عيب .. أنا ميزة وهفضل طول عمرى ميزة..

***

كانت أمها تعمل منذ فترة الشباب كإحدى الموظفات فى مبنى محافظة الجيزة .. لذا كان من الطبيعى جدًا أن تحظى امرأة فى مثل موقعها بعدد لا بأس به من الصديقات .. أو بالأحرى الزميلات اللواتى قد تحولن بفعل الزمن والعشرة إلى صديقات..

اصطحبتها أمها معها هذه المرة إلى بيت صديقتها نهلة .. أو "طنط نهلة " .. بعد أن كانت مها تمر بفترة صعبة ولا تريد الحديث إلى أى كائنٍ يكون.. ولكنها لم تقو على الصمود أمام ضغط والدتها، التى كانت تظن أنها بهذه الطريقة تقوم بالترفيه عن ابنتها ..

ذهبت مها .. ووجدت نفسها تجلس بين أمها وصديقة أمها تتابعهم فى صمت .. بينما كانت كلا السيدتين تتبادلان الأحاديث النسائية العادية جدًا ..

- ألا صحيح يا سعاد .. شفتى الواد أحمد .. مش خلف وجاب توأم ..

- توأم .. بسم الله ما شاء الله .. ربنا يكرمه ويسعده ويفرحه بعياله .. عقبال ولادك يا نهلة ..

- وعقبال ولادك كمان .. بس صحيح .. عارفة المهندس حمدى ..؟

- المهندس حمدى مين .. مش فاكراه ..؟؟

- المهندس حمدى يا سعاد .. أخو منى زميلتنا فى الشغل .. عمو حمدى.. مش فاكراه يا مها؟؟

مها – أه يا طنط بس دا أنا أخر مرة شوفته هو وولاده كانت من سنين .. يااااه كنا صغيرين قوى ساعتها ..

إستطردت نهلة حديثها بالنظر إلى سعاد والدة مها ..

- أهى بنتك فاكراه أهى .. إنتى مش فاكراه إزاى شكلك خرفتى ..

- أه أه صحيح .. يااااه دا إيه إللى فكرك بيه دا بقالنا زمان لا شفناه ولا سمعنا عنه حاجة لا هو ولا مراته ..

- آه ياختى رجعوا من الكويت .. أتاريه إبن المحظوظة كان شغال هناك كل دا .. لأ وراجع إيه على قلبه شىء وشويات .. سمعت إنه إشترى فيلا فخمة قد كده وفرشها أحسن فرش .. وبناته التلاتة .. منار الكبيرة إتجوزت من شهرين وسمعت إنها حامل دلوقتى .. والتانية إللى بعديها على طول إسمها إيه دى بسمة مخطوبة لواد زى القمر أنا أصلى شفتهم فى فرح بنت منى الأسبوع إللى فات، لو كنتى جيتى كنتى شفتيهم إنتى كمان ...

تذكرتهم مها لتوها .. الثلاث فتيات منار وبسمة والأخيرة مى .. أصغرهم .. التى كانت فى مثل عمر مها بالضبط .. التى كانت مها تلعب معها وهى صغيرة ..

تذكرتها مها لتوها وقفزت وعلامات الفرحة على وجهها .. وسألت نهلة

- إيه دا .. طنط نهلة .. طنط نهلة .. ومى عاملة إيه دلوقتى .. ما معاكيش صورة ليها .. دى وحشتنى قوى ..

نظرت إليها نهلة فى تلك اللحظة .. تبدو علامات الفخر والجدية على وجهها .. وقالت..

- مى .. مى مرتبطة ..!!!

قالتها نهلة ثم استدارت لتستكمل الحديث مع نهلة .. وهكذا لقد ألقت نهلة لتوها وبدون أن تشعر بقنبلة إلى قلب مها .. كانت مها تسألها عن أحوال مى .. بينما لم تجيبها هى سوى بكلمة واحدة .. مى مرتبطة ..!! وهل كل ما يجب على الفتاة أن تفعله لكى تقنع الناس أنها بخير هو فقط أن تكون مرتبطة ..؟؟

هل بالضرورة يجب أن تعادل الحالة الاجتماعية للفتاة فى مجتمعنا .. حالتها النفسية كذلك ..؟؟ وهل الإرتباط أصبح الآن فى حياتنا هدفًا .. أو بالأحرى أصبح إنجازًا يُحسد الناس عليه؟؟

قالتها نهلة " مرتبطة " كما لو كأنها تقول أن مى قد حصلت على جائزة نوبل فى أمرٍ ما ..!! كان من الممكن أن تختار نهلة أى كلمة أخرى للرد على هذا السؤال .. أى كلمة سوى " مرتبطة" .. كان من الممكن أن تقول " بخير " أو حتى " بتشتغل فى المكان الفلان الفلانى " ولكنها قد استخدمت الكلمة الوحيدة التى رأت فيها هى الخير للفتاة .. الارتباط أو الخطوبة أو الزواج ..

يعنى مى دلوقتى مرتبطة وأهلها وكل الناس عارفين إنها ماشية مع واحد .. ومع ذلك طنط نهلة بتتفشخر بالموضوع دا عادى .. أمال لو كانت مخطوبة بقى كانت عملت فينا وفى نفسها .. أووووف .. يا ريتنى ما كنت سألت ..!! هما هيعايرونى يعنى عشان فسخت خطوبتى ولا إيه ..!!

كان طريق العودة إلى البيت طويلًا نوعًا ما .. ساد الصمت السيارة .. ولكنه لم يَسُد ذهن مها..

خليكى كده قاعدة .. الدنيا كلها بتتحرك حواليكى وإنتى قاعدة .. عملتى نفسك بطلة وأخدتى موقف زى الهبلة .. كنتى فاكرة إنه بيحبك ومش هيقدر يبعد عنك زى ما بيقول .. صدقتيه ..!! أهو أديه رماكى ولا سأل فيكى .. ولا حتى كلف نفسه يتصل يستسمحك أو يحاول معاكى .. دا كأنه مصدق ..

وإنتى اللى رحتى رميتى نفسك فى حضنه .. بقت حياتك كلها تجاوزات فى تجاوزات .. وزعلتى ربنا منك .. تقدرى تقوليلى دلوقتى لو مصطفى ما رجعلكيش .. هتتجوزى واحد تانى إزاى ..!!!

إحساسك هيبقى إيه لما تتجوزى واحد تانى ما يعرفش عن ماضيكى أى حاجة وفاكرك ملاك برىء وإنتى أصلًا نيلة سودا وزبالة وتاريخك إسود ..!! منك لله يا مصطفى .. أنا كنت نضيفة .. كنت طول عمرى نضيفة .. إنت اللى عملت فيه كده .. إنت اللى وسختنى .. ياريتنى ما كنت سمعت كلامك .. على الأقل دلوقتى لما سيبتك ما كنتش هندم كده ولا هحس إنى مش نضيفة بالشكل ده ..

بس لأ .. أنا مش هسيبك .. مش بعد إللى إحنا عملناه مع بعض .. أنا أه أقدر أتجوز حد غيرك عادى .. بس أنا هتجوزك إنت .. عشان إنت اللى وسختنى .. وأنا ما أقدرش أسيبك بالبساطة دى وأروح لواحد تانى يعمل فيا نفس اللى إنت كنت بتعمله دا .. مش بعد كل إللى حصل بينا وبعد إللى إنت أخدته منى ..

وهكذا يُنهى الرجل علاقة عاطفية تلو الأخرى .. يذهب إلى تلك بعد أن يفرغ من التى تسبقها .. يخبر هذه أنه يعشقها بجنون ثم يدير إليها ظهره بعد أول خلاف ..

يدير إليها ظهره بعد أن يتركها ملتصقة بهاتفها .. أسيرة له .. لا ترفع عيناها من عليه .. ولا تسمح ليديها أن تفلته أبدًا ..

وهكذا وبفضل الرجال .. تتحول النساء إلى عبدات لهواتفهن ..!!!

***

طلقها عادل .. لقد وقع لتوه على تلك الورقة .. التى ينظر إليها الناس على أنها ورقة للفراق .. ولكن من وجهة نظره هو .. كانت بمثابة ورقة الحرية .. التى سوف تمنح ميزة الحق فى الاقتران برجل غيره .. ويالللرعب .. سوف يعيش ليشاهد زوجته وهى تذهب إلى رجلٍ أخر سواه .. سوف يعيش ليعلم أن ميزة تمنح رجلًا أخر ما منحته إياه مسبقًا .. وفى عينيه إنها لخيانة أكبر بكثير من خياناته هو لها .. وبطريقة أو بأخرى .. عاجلًا أو آجلًا.. كان عادل يعلم جيدًا أنه سوف يتجرع من نفس الكأس، الذى قد عبر قبلًا على شفاه ميزة .. كأس مرار الخيانة .. كأس مرارة الشعور بأن أحدهم يختلس النظر إلى حياته السرية مع زوجته السابقة ميزة ..

ليس من الضرورى أن تربح دائمًا كل معاركك .. وإنما من الجيد أن تعلم أنك قد حاربت فى يومٍ من الأيام .. هكذا قالت مارجورى هولمز..عندما كانت تصف معارك الإنسان فى الحياة .. وكيف يترتب مصير كل إنسان على موقفه من معركته الخاصة .. وهكذا أيضًا يجب عليك أن تُفَكِر جيدًا قبل إعلان حربك التالية .. حتى لا يمضى بك الزمان لتكتشف أنك قد شِختُ وابيَضَّ شعرك بينما كنت تُحارب طوال تلك السنوات فى معركة خاسرة منذ البداية ..

وهكذا يبقى دائمًا قرارك فى محاربة ميولك لِلَّهوِ والتسلية .. والتمسك بدراستك والاجتهاد فيها هى معركة ناجحة تستحق خوضها والبقاء لأجلها

وهكذا أيضًا .. يبقى دائمًا اختيارك البقاء بالقرب من أحد والديك المسنين ورعايته فى عجزه .. هو قرار بخوض معركة ناجحة .. تستحق البقاء لأجلها كذلك ..

وهكذا أيضًا .. تبقى معركة كفاح النفس هى المعركة الأكثر شراسة والأكثر عنفًا التى قد عرفتها البشرية منذ قديم الأزل ولازالت تعرفها حتى الآن .. تلك المعركة التى قد أسقطت رجالًا إلى مزبلة الإنسانية .. ورفعت أخرون إلى قمة الهرم الانسانى .. وهذه المعركة أيضًا هى ما تضع رجلًا قد رفض لتوه امرأة جميلة عرضت نفسها عليه فى مصاف أعظم عظماء البشرية .. فهل هناك رجل أقوى من ذاك الذى نجح فى مقاومة أقصى لحظات ضعفه ..!!!

أما عن ميزة .. تلك المرأة التى كانت دائمًا تفكر مرة وألف مرة قبيل إعلان معركةٍ ما .. وقبيل اتخاذ قرارٍ ما .. لقد ظن الناس أنها قد قررت

التخلى عن عادل .. ولكن الحقيقة أنها قد قررت التنحى عن خوض معركة هى تعلم جيدًا أنها خاسرة منذ البداية ..

وكيف بوسعها البقاء والكفاح لأجل إنقاذ أحد النفوس المعذبة، التى حكمت عليها فطرتها السيئة بالعذاب سلفًا .. وكيف بوسعها أن تخوض معركة بعد أن انتهت وحُسِمَت خساراتها فيها بالفعل ..

هربت ميزة بنفسها لتركض بعيدًا عن أرض تلك المعركة الخاسرة .. ولقد يبدو للبعض أن فى هروبها خسارة .. بينما كانت ترى هى أن فى هروبها نجاة وخلاصًا ..

طلقها عادل .. منحها حريتها لتوه .. وذهب بائسًا .. لاهثًا خلف سوسو.. يحاول الاتصال بها مرة واثنتان وثلاثة .. حتى يلتقى بها كما اعتاد دائمًا أن يحصل عليها هو متى يريد .. ولا تحصل هى عليها متى تريد ..

لم ترد على اتصالاته .. ابتئس كثيرًا .. واستمر فى المحاولة لساعات .. لم يكن يعلم أن سوسو كذلك قد انصرفت عنه أخيرًا .. سوسو التى قد ربحت لتوها معركة منذ البداية حتى النهاية .. لم تكن بحاجة لعادل أكثر من ذلك .. فقد حصلت عليه رغم تمنعه .. وانتصرت على زوجته .. وهذا هو كل ما كانت تريده .. وهذا هو كل ما كانت تسعى إليه منذ البداية .. إنها تتلذذ بهدم البيوت .. فقد كانت هذه موهبتها التى لطالما برعت فيها كثيرًا .. والتى لم تكن تنتوى الانقطاع عن ممارستها مدى حياتها..

انصرفت عنه سوسو وقررت البحث عن مهمة جديدة .. عن رجلٍ أخر متزوج حتى تُلقى بشباكها عليه .. فهكذا كانت دائمًا وستظل هى حياتها .. وهكذا كانت دائمًا وستظل هى طبيعتها التى تحبها هى كثيرًا وتتقبلها كثيرًا ..

انزوت عنه ميزة .. وانزوت عنه سوسو كذلك .. وبقى وحيدًا بائسًا لا يدرى إلى أين يذهب .. ومع من عساه أن يتحدث ويشكو همومه .. وهكذا حملته قدميه إلى حيث يجتمع أصدقائه المعتادون .. ذهب والتقى بهم وأخبرهم قصته .. وكانت ردودهم كالتالى ..

- يا عم فكك .. مالك زعلان ومتضايق كده ليه .. تروح واحدة يبجو عشرة غيرها دا الستات على قفا من يشيل ..

رد أخر – وبعدين ما هو بصراحة يعنى لا مؤاخذة الست هى إللى غلطانة .. يعنى هو الراجل بيخون مراته ليه .. مش عشان هى مقصرة معاه.. ما هى لو ما كانتش الست بتقصر مع جوزها كان هيروح يبص لبرا ..

وأخر يقول – الستات دول صنف عايز الحرق .. ما هو لو كانوا كلهم محترمين ولمين نفسهم كان الراجل مننا فى لحظة ضعفه هيلاقى ست يخون معاها .. يا راجل بقى خلينى ساكت الواحد هيقول إيه ولا إيه ..

- وبعدين سيبك إنت إحنا أصلًا رجالة .. والواحد مش عارف ليه الخيانة فيها حاجة أحلى من الحلال .. الواحدة من دول لو بتعامل جوزها كأنها عشيقته .. ما كانش بص لبرا .. أصل العشيقة دى دايمًا كده بيبقى سبحان الله معرفش ليه فيها حاجة أحلى من مراتك .. إسألونى أنا ..

- لعلمك أه .. الستات دول عاملين زى الأكل .. كل واحدة فيهم محطوطة فى طبق .. والراجل مننا يحب يجرب معلقة من كل طبق كده عشان يحس بنفسه ويعرف يفرق بين دى ودى ودى ..

- أصلًا الستات دول كلهم خطيئة وكائنات بتميل للغواية بطبعها .. أصلًا غلط إنهم يطلعوا من بيوتهم .. أنا مش فاهم يا أخى هما بيطلعوا كل

يوم ليه ويزاحمونا فى رزقنا .. وينزلوا معانا الشوارع لابسينلى الضيق والمحزق .. وهى الواحدة من دول لو كانت بتتهد وتقعد فى بيتها زى زمان كنا سمعنا عن التحرش ولا الخيانة .. ما هما السبب يا أخى إحنا الرجالة غلابة أوى وأقل حاجة بتغوينا ..

فى العام 1766 اكتشف هنرى كفاندش الهيدروجين .. وفى العام 1844 نجح صامويل مورس فى إرسال أول رسالة تلغرافية فى العالم .. وفى العام 1953 قام العالم الألمانى ريختر باختراع مقياس ريختر لقياس قوة الزلازل .. ومع ذلك .. هل تعلم أنه وفي عامُنا الحالي لازال يعيش فى المجتمع المصرى رجالًا يملكون تلك النظرة الدونية إلى النساء من حولهن ..!!!

وهكذا يبقى السؤال .. إلى متى ..!! وإلى أين نحنُ ذاهبون ..!!

***

وصلت ميزة إلى حديقة الأزهر العامة .. وما إن عبرت البوابة حتى وجدت مها فى انتظارها .. تبادلا التحية معًا .. ثم ذهبتا للجلوس فى أحد المطاعم، لتناول الغداء معًا كما اتفقتا مسبقًا عبر الهاتف ...

- شكرًا يا ميزة إنك جيتى .. وشكرا كمان إنك ما عرفتيش مصطفى إنى إتصلت بيكى ..

- شكرًا إيه بس أنا أصلًا كان المفروض أكلمك من بدرى بس والله العظيم أنا من ساعة ما إنتى فسختى وأنا مشغولة جدًا وحياتى إتقلبت وإتطلقت زى ما إنتى عارفة ..

- آه منا عارفة .. معلش ما تزعليش ..

- أزعل ..!! ومين قالك إن أنا زعلانة ..!! المهم سيبك منى أنا ومواضيعى .. أنا جاية أتكلم معاكى إنتى .. عايزة أسألك إنتى تقدرى ترجعى لمصطفى تانى؟؟

صمتت مها .. ونظرت إلى الأسفل .. فاستطردت ميزة ..

- بصى يا مها ... إنتى زى أختى الصغيرة بالظبط .. وإنتى عارفة أنا قد إيه بحبك وحتى لو ما حصلش نصيب بينك وبين أخويا إنتى هتفضلى دايمًا صاحبتى .. وعشان كده أنا عايزة أتكلم معاكى وأنا عارفة إنك مش هتفهمينى غلط ولا هتقولى إنى بوقع بينك وبينه ومش عايزة الجوازة تتم والكلام دا ..

- لأ قولى .. قولى مفيش مشكلة إنتى عارفة أنا بحبك إزاى .. والله مش هفهمك غلط ابدًا..

- وأنا كمان بحبك يا مها.. بس أنا ما أقدرش أبدًا أنصحك أو أشجعك إنك تعملى حاجة أنا ما قبلتهاش على نفسى .. يمكن يكون الوضع مختلف ويمكن يكون حجم خيانة عادل ليا كان أكبر بكتييير من حجم خيانة مصطفى ليكى .. بس الحالتين فى النهاية بيندرجوا بالنسبالى تحت مسمى خيانة .. وأنا بكره الخيانة والخاينين .. وما أعرفش إنتى عندك فكرة ولا لأ.. بس أنا عادل خانى وشوفته بعينى .. أنا مش بقولك كده عشان أفضحه ولا حاجة .. أنا بقولك كده عشان يمكن إنتى تحسى إن خيانة عادل ليه فيها عزاء بالنسبالك لأن أخويا خانك .. وفى حاجات كده فى الدنيا داين تدان .. هو عمل كده معاكى وإتردت ليا ..

- لأ ما تقوليش كده .. أنا عمرى فى حياتى ما هفرح بموقفك دا ولا أتمناهولك وإنتى عارفة كده كويس ..

- ما تخافيش أنا عارفة مشاعرك كويس يا مها إنتى بنت طيبة جدًا .. وعلى نياتك ويمكن عشان كده إنتى ما عرفتيش تسلكى مع مصطفى .. للأسف هو أخويا بس أنا عارفاه كويس وما أقدرش أجمل من صورته عشان هو أخويا .. هو الغلطان والغلط راكبه من فوقيه لتحتيه ..

انتهت كلاهما من تناول الغداء .. ثم قامتا للحصول على جولة فى الحديقة .. بينما تستكملان أحاديثهما ..

- ميزة .. أه .. ممكن .. مم أسألك سؤال ..؟؟

- إتفضلى ..

- هو إنتى قدرتى تعملى كده إزاى ..؟؟

- قدرت أعمل إيه ..؟؟

- تقعدى فترة كبيرة بمزاجك ما تتجوزيش وترفضى تنزلى تقابلى عرسان زى ما كل البنات بتعمل وتستحملى كلام الناس .. ولا أه صحيح إنتى عندك عمو ما بيخليش حد يتكلم عنك ربنا يخليهولك ..

نظرت إليها ميزة برفق .. ثم ابتسمت وقالت ..

- طبعا ربنا يخليلى بابا ويخليليك باباكى .. بس إنتى فاكرة إن باباكى أو بابايا أو إن فى أى حد يقدر يمنع عن بنته كلام الناس ..!! يا بنتى دا أنا إستحملت كتير وقابلت أشكال ياما .. أشكال وألوان .. أه والله العظيم ..

- زى إيه كده ..

- قابلت نوع من الستات اللى هى عارفة كويس إنها ما قدرتش تربى إبنها .. وإنه طالع سافل وزبالة وفلتان وما عندوش أخلاق .. وأول ما شافتنى عرفت إنى محترمة وعشان أنا محترمة إستنتجت إنى لما أتجوز إبنها هقدر أعدل حاله وأربى إبنها اللى هى نفسها ما عرفتش تربيه طول عمره كله .. يعنى من الأخر كده كانت عايزة تلاقى زوجة محترمة لابنها إللى مش محترم ..

وقابلت كمان نوع تانى من الستات إللى هى عشان جوزت كل بناتها بالطريقة دى مصممة إن إنتى كمان تتجوزى زيهم عشان ما يبقاش فى حد أحسن من حد .. وتروح تجبلك عرسان مستواهم أقل من مستوى إجواز بناتها عشان تضمن إن إنتى تبقى أقل من بناتها ..

وقابلت كمان نوع من الرجالة .. دا بقى هتلاقيه كبير فى السن وبخيل.. متجوز وعنده أورطة عيال وعايش مع مراته مقهور وبيكرهها كره العمى .. هو إتجوزها طبعًا صالونات وبعدين هى دبسته وخلفت عيال كتير عشان تضمن إنه ما يسيبهاش لأنها عارفة كويس إن عينه زايغة وبيكرهها ونفسه يتجوز عليها .. فقالت فى نفسها أما ألخمه بالمصاريف الكتير .. النوع دا بقى تعيس وفاشل فى حياته وفاضى كمان.. دا أول ما بيشوف بنت عايزة تختار لنفسها زوج كويس .. ومش عايزة تتعك فى جوازة زى جوازته .. بس يروح قافش تحت باطه أول عريس فاشل زيه ويروح جايبه ويقرر يرازيها بيه .. أهو منه يضمن إنه يبقى صاحب جمايل عليها هى وأهلها .. ومنه يضمن إنها تعيش عمرها كله تعيسة ومضروبة بالجزمة ومتدبسة زيه .. ومنه كمان يضمن السمعة بقى يلف فى بيوت الناس يقول

ميزة أنا إللى جوزتها كانت هتعنس من غيرى لولايا ما كانتش إتجوزت .. ما هو ما عندوش طريقة تانية تحسسه بأهميته غير دى ..

وقابلت كمان الراجل الغنى الناجح فى شغله .. اللى هو لسة شاب وشكله كويس .. مغرور جدًا وأنانى كمان وما بيفكرش غير فى نفسه هو وبس.. إتجوز وهو صغير فى السن لسبب أنا ما أعرفوش وعنده ولاد طبعًا.. ودلوقتى أول ما شافنى قرر إنه من حقه إن مفيش حاجة فى الدنيا دى تفوته .. وإنه لو عرف يقربلى هيبقى حقق إنتصار كبير قوى لنفسه ولكبرياءه .. الراجل اللى زى دا بيفتكر إنه يقدر يمتلك أى بنت بفلوسه ... دا بقى يعتبر أكتر راجل أنا خوفت منه فى حياتى كلها .. كنت أول ما بشوفه قلبى بيتقبض وبتوتر وأعصابى بتبوظ .. أنا بعدت عنه بسرعة جدًا على فكرة عشان خفت على نفسى منه..

وقابلت كمان الشاب اللى لف وصاع ودار .. لحد ما الدنيا إسودت فى عنيه وما بقاش عارف يميز الصح من الغلط .. والحلو من الوحش .. وعشان كده طلب من مامته هى إللى تختارله .. قالك لو العروسة طلعت فشنك أو قليلة الأدب أطلقها وأرمى اللوم على ماما .. أنا ببساطة مش غلطان لأنى أصلًا ما إخترتهاش ..

وقابلت كمان فى الجامعة الشاب إللى عارف إنى مش بصاحب .. وعشان كده راسه وألف ستين جزمة لازم يصاحبنى عشان يتمنظر قدام الناس كلها ويقولهم ميزة إللى مش بتصاحب صاحبتنى أنا .. أنا اللى أخدت البريمو .. أنا اللى وصلت للبنت الصعبة .. ودا بقى كان يحاول ينتهز أى فرصة ويتلكك عشان ييجى بس يقف جنبى أو يعمل نفسه بيكلمنى فى أى حاجة .. فى نفس الوقت إللى بيبقى فيه مفهم أصحابه إن فى بينى وبينه

حاجة وألف ورايا ألاقى أصحابه مركزين وواقفين بيتفرجوا عليه وهو بيكلمنى عشان يتأكدوا إنه فعلا يعرفنى مش بيكدب عليهم ولا حاجة..

وعلى كده وقابلت بقى أشكال كتيير .. أشكال وألوان .. منهم الشاب اللى عايز يتجوز أى واحدة والسلام .. ومنهم الشاب إلى بيحب على نفسه وكل ما يشوف واحدة قبل ما يكلمها يقولك أنا بحبها وفى خمس دقايق بعد كده ينساها.. والشاب اللى محلو فى نفسه وفاكر نفسه قمر ومفيش منه إتنين .. وقابلت الناس إللى عرفت إن كان تحليلهم لعدم جوازى ينحصر فى تلت إتجاهات يا إما معقدة نفسيًا .. يا إما مصاحبة واحد من وراهم فى السر ومستنياه .. يا إما متجوزة عرفى عشان كده خايفة أتجوز لحسن أتفضح.. قالتها ثم ضحكت بسخرية ..

- إيه متجوزة عرفى .. يا خبر .. إزاى كده ..؟؟

ضحكت ميزة ثم استطردت ..

- أيوه متجوزة عرفى .. ما تستغربيش .. كنت عارفة إنهم هيتجننوا ويعرفوا أنا لسة ما إتجوزتش ليه .. بيسألوا نفسهم يا ترى هى ميزة عايزة إيه؟؟ ما يعرفوش إن كل إللى أنا كنت فى يوم من الأيام عايزاه ومحتاجاله هو إنهم يسيبونى فى حالى ويفهموا إنى عايزة أعيش حياتى على طريقتى أنا مش على طريقتهم هما ..

بس بقى يا بنتى وعلى كده وقابلت ناس كتيير جدًا .. أصل أنا زى أى بنت فى ناس كتير كانت عايزانى بس عمر ما حد حبنى .. و فى فرق كبير قوى بين إن حد يحبك وحد يعوزك .. دى حاجة للأسف دايمًا بتلخبط بنات كتير وبتخليهم يفرحوا بلمة الشباب الكدابة حواليهم .. بيفتكروا إن الولاد ملمومين عليهم عشان هما حلوين .. مساكين والله ما يعرفوش السبب

الحقيقى .. ما يعرفوش إن كل الولاد بتتلم على كل البنات وما بيبعدوش غير فى حالتين .. الأولانية إن البنت تديله فعلًا إللى هو عايزه .. والتانية إنه يفقد الأمل إنها هتديله إللى هو عايزه وساعتها بيسيبها ويدور على غيرها.. عشان كده عمر ما كانت لمة الولاد على بنت معناها إن البنت دى حلوة.. وعمر برضو ما كانت لمة البنات على ولد معناها إنه ولد أمور وحلو ..

- أمال البنات بتتلم على الولاد ليه؟؟

- عادى يعنى ملمومين عليه عشان معاه فلوس أو عنده استعداد يتجوز ..!!

- ياااااه يا ميزة .. إنتى بالكلمتين إللى قولتيهم دول لخصتى كلام كتير أنا شفته وكلام كتير يمكن لسة هشوفه .. بس غريبة قوى حياتك .. إنك بعد كل الناس إللى شوفتيهم دول برضو فى الأخر إتخميتى ووقعتى فى عادل..

ضحكت ميزة بحب .. ثم نظرت إلى مها .. وقالت ...

- إنتى شايفة إنى إتخميت .. بس أنا شايفاها حاجة تانية خالص .. شايفاها نصيبى من التجارب السيئة .. نصيب وخبرة كان لازم أتعلمها بأى شكل عشان أعرف أتابع حياتى بعد كده.. تسمعى يا مها عن المثل إللى بيقولك ساعة القدر يعمى البصر ..؟؟

- أه طبعًا .. وهو فى حد ما يعرفوش ..

- أهو أنا بقى البنت إللى عيشت عمرى كله بهرب من كلمة حب .. كنت دايمًا خايفة على نفسى وخايفة أغلط فى الإختيار وأساعد حد إنه يقدر يأذينى .. سبحان الله هربت من المصير إللى كان المفروض أتعلم إنى

محتاجة أواجهه وأمر بيه الأول عشان أتعلم واكتسب خبرات كتير كانت غايبة عنى قبل كده .. ساعات كتير التجارب الصعبة بتكون هى أحسن مدرسة نقدر نتعلم فيها .. ربنا عارف إن فى حاجات كتير كان لازم عشان أقدر أتعلمها أجربها فى الواقع مش بس أقراها من على الورق .. أنا على الأقل دلوقتى بقيت بشوف الأمور والدنيا كلها من منظور مختلف تمامًا .. عادل كان قدرى يا مها .. على الأقل كان قدرى أقابله وأتجوزه وأتطلق منه.. ولو ما كنتش قابلته دلوقتى كنت هقابله بعدين ولازم نفس الرحلة همشيها معاه من البداية للنهاية .. عادل كان قدرى وما أفتكرش إن فى إنسان إتخلق على وجه الأرض دى كلها مهما بلغ من قوة وشجاعة يقدر إنه يهرب من قدره..

- فعلًا معاكى حق .. محدش يقدر لا يهرب من القدر .. ولا يخدعه .. بس إنتى قوية قوى .. إزاى تقدرى تخرجى من علاقة جواز فاشلة وتقفى على رجلك تانى .. أنا حاسة إنى مكسوفة عشان فسخت خطوبتى .. أمال لو كنت مكانك وجوزى خانى وشفت إللى حصل دا كله كان حصلى إيه ..

- ما كانش هيحصلك حاجة .. العيار إللى ما يصبش يدوش .. والضربة إللى مش بتقتلك بتقويكى .. خليكى فاكرة دايمًا إن أى إنسان موجود فى علاقة غلط يقدر يقف فى أى لحظة ويرسم نقطة ويبدأ من أول السطر .. لو ما عندكيش القدرة إنك تعملى كده فى حياتك كلها مش بس فى العلاقات السيئة يبقى هتتعبى كتير وهتبقى حكمتى على نفسك بالتعاسة مدى حياتك..

- أيوه يا ميزة .. بس إنتى قدرتى تستحملى إزاى وتواجهى المجتمع وكل الناس دول ..؟

- قدرت أواجههم ولسة هقدر أواجههم لأنى طول عمرى كان عندى أهداف .. ولأن الجواز مش هدف ولا إنجاز يا مها .. الجواز مش كل حاجة .. ولا أى حاجة أصلًا لو إتبنى على أسس غلط من أولها..!! فى حاجة أنا عرفاها كويس قوى وهى إن إنتى كبنت المفروض تفكرى فى تنمية شخصيتك .. وتحددى لنفسك أهداف .. وتسعى إنك تحققيها .. وتقرى كتب كتير .. كتب مفيدة مش كتب تافهة ومتخلفة .. وما تفكريش فى الجواز والحب وإنتى بتحاولى تحققى الأهداف دى .. وساعتها بس الجواز والحب هيتحققولك فى الميعاد المحدد إللى ربنا خلقه وقررهولك .. هما هيظهروا لوحدهم لما تبطلى تدورى عليهم وتفكرى فيهم .. هى دى المعادلة.. هى كده ..

بس هاه .. ما ردتيش على سؤالى .. هترجعى لمصطفى ولا لأ ..؟؟ لو عايزة ترجعيله أنا ممكن أرجعهولك النهاردة وأخليه ييجى لحد عندك ويعتذرلك ويستسمحك كمان .. ومش هقوله إن إنتى إللى إتصلتى .. وهجيب الموقف كله من ناحيتى أنا عشان أحافظ على شكلك وأحفظلك كرامتك .. بس فكرى كويس وحددى الحاجة إللى إنتى عايزاها .. وإسألى نفسك سؤال واحد .. يا ترى لو مصطفى رجعلك وإتأسفلك .. هل دا معناه إنه فعلًا نادم وفعلًا مش هيخونك تانى؟؟؟

- مش عارفة .. بجد مش عارفة ..

- فكرى كويس وشوفى إنتى عايزة إيه .. ونصيحة صلى إستخارة .. وأيًا كان إللى تطلبيه أنا هعملهولك..

***

وصلت سارة بعد مرور عشرة أيام .. كان هذا هو أول حجز تمكنت من العثور عليه .. كان أول ما فعلت عند وصولها هو أن توجهت إلى بيت ميزة .. لقد جعلتها مفاجأة .. أرادت أن تدخل الفرحة على قلب صديقتها بطريقة أو بأخرى .. وكانت هذه هى طريقتها ..

عانقتها ميزة عناقًا طويلًا يملؤه الشوق إلى تلك الصديقة، التى لطالما كانت هى ذلك الصدر الذى يتسع للكثير والكثير إلى آلام من حوله .. ويحتويها باهتمام ..

كانت ميزة هادئة جدًا كثيرة الابتسام .. كانت هادئة لذلك الحد، الذى قد دفع سارة لسؤالها عن سر هدوئها ..

- أنا مش قصدى حاجة .. بس مش هكدب عليكى أنا تخيلت إنى هاجى ألاقيكى محطمة ولسة زعلانة .. وبتعيطى كمان .. ما توقعتش خالص إنى هاجى ألاقيكى متماسكة وهادية كده وبتتكلمى عن الموضوع عادى .. أنا بتكلم على حد معرفتى بيكى يعنى ولما بيكون فى حاجة أو حد مزعلك أنا عارفة كويس إنتى بتكونى عاملة إزاى ..

ابتسمت ميزة ثم أجابتها قائلة ..

- مش عارفة .. أنا كمان ما بقتش فاهمة نفسى قوى .. هقولك تعرفى حاجة .. مش عارفة ليه كل ما بيفصلنى عن اليوم دا وقت كل ما بحس إنى بقيت بشوف الأمور بطريقة أوضح وأنقى من الأول بكتير .. الصورة بقت واضحة دلوقتى .. أنا بدأت أحس إنى أنا كمان كنت غلطانة فى كل حاجة حصلت .. أنا كمان كنت جزء من إللى وصلناله إحنا الإتنين مش هو لوحده زى ما كنت فاكرة فى الأول ..

نظرت إليها سارة باهتمام وسألتها .. – غلطانة إزاى يعنى؟؟ مش فاهماكى؟؟

- غلطانة يعنى .. مش عارفة .. يمكن ما كنتش مهتمة بيه زى ما كنت دايمًا بتخيل .. ما كنتش رومانسية معاه .. ساعات كتير كنت لما بسمع أغانى حب .. كنت بحس إنى بسرح بخيالى لشخص تانى .. كنت بسرح وبروح وبحلم بشخصية فتى الأحلام إللى طول عمرى إتمنيته .. الشخصية دى إللى كنت فاكرة إنى أول ما هحب وهتجوز هبطل أحلم بيها لأنى أكيد هكون متجوزة فتى أحلامى دا إللى أنا كنت فاكراه عادل .. بس معرفش ليه حتى بعد ما إتجوزت كنت كأنى لسة شايفة فى خيالى نفس الصورة لنفس فارس الأحلام إللى إتعودت طول عمرى أهرب من مشاكل الواقع لخيالى معاه .. مش عارفة .. مش عارفة .. حاسة إنى ما بقيتش فاهمة نفسى ..

- بس أنا فاهماكى يا ميزة .. إنتى ما كنتيش بتحبى عادل .. هو دا تحليلى لكلامك .. عارفة أنا كانت عندى طول حياتى نفس الصورة فى خيالى .. صورة فارس الأحلام إللى هييجى يخلى الدنيا زى الورد فى عينيا .. بس من ساعة ما إتجوزت الشخص إللى بحبه، وكل الأحلام دى راحت منها صورة فارس الأحلام الخيالى وحل محله صورة جوزى .. جوزى اللى أنا متأكدة إنى بحبه..

- إنتى قصدك إيه .. إنى فعلًا ما حبيتهوش .. تفتكرى؟؟ طب لو كده فعلًا أنا أعرف إزاى إنى بحب بجد ..؟؟ إيه هى علامات الحب الحقيقى..؟؟ إيه هى مشاعر الحب؟؟

- علامات الحب الحقيقى إنه مالوش علامات يا ميزة .. فعلا مالهوش علامات ولا أسباب .. إنتى لما بتقابلى حبيب عمرك الحقيقى ما بيكونش عندك ساعتها مساحة من الوقت ولا العقل إنك تقفى لحظة وتفكرى وتسألى نفسك .. هو دا مناسب ليه ولا لأ .. ما بتسأليش نفسك ولا بتفتشى جوا نفسك عشان تدورى على علامات الحب الحقيقى إللى تأكدلك دا .. شريك حياتك ونصك التانى وحب عمرك إنتى لوحدك هتعرفيه من أول مرة هتشوفيه فيها .. وساعتها بس هتحسى إنك هتنفجرى من كتر الفرحة إللى جواكى فى كل مرة بتشوفيه فيها .. إللى هى برضو فرحة مالهاش أسباب .. فرحة عشان عينيكى شايفاه بس.. إوعى يا ميزة تكونى فاكرة إنى أنا واليخاندرو مفيش بيننا مشاكل أو شخصين كاملين ما عندناش عيوب.. لأ بالعكس إحنا ساعات كتير جدًا بنزعل مع بعض وبنتخانق .. بس دايما بيكون فى حاجة أقوى مننا بتربطنا ببعض وبترجعنا لبعض .. والحاجة دى هى الحب الحقيقى...

صمتت ميزة .. بينما شردت عيناها وذهنها إلى مكانٍ أخر .. ثم عادت وقالت لسارة ..

- وتفتكرى إن الحب لوحده كفاية ..؟؟ تفتكرى إنى هقدر أكمل حياتى عادى بعد كده وابدأ من أول وجديد .. ولا دى كلها أوهام فى دماغى وأنا مش هقدر أنساه ولا حاجة زى ما بقول لكل الناس..؟؟

- لأ يا ميزة الحب لوحده مش كفاية .. إنتى لو قابلتى حد حبك وما فهمكيش يبقى هتفشلى معاه .. الحب عشان ينجح لازم يكون فى معاه تفاهم واحترام .. لو مش موجودين يبقى بلاش أحسن .. لازم إللى تتجوزيه بعد كده دا تكونى بتحبيه بتفهميه وهو كمان يبادلك نفس الشعور ..

وبعدين بطلى عبط .. هو إيه دا إللى تفتكرى هقدر أبدأ من أول وجديد .. ما تحسسينيش إنى قاعدة مع حد تانى غير ميزة إللى أنا أعرفها .. إنتى ناسية كلامك زمان .. إن مفيش حاجة إسمها الوقت فات وبقى متأخر على تصحيح المسارات .. وإن كل إنسان معرض لإن هو يمشى فى سكة غلط .. بس فى نفس الوقت بيفضل دايمًا قدامه قرار الوقوف والبدء من أول وجديد .. دا كلامك إنتى وقناعاتك إنتى على فكرة .. أنا بس بفكرك بيهم..

- أه فعلًا عندك حق .. ابتسمت ميزة ثم استطردت قائلةً..

تعرفى يا سارة .. وإنتى بتتكلمى معايا دلوقتى .. أنا سألت نفسى السؤال دا .. أنا حبيت عادل ليه .. وسبحانك يارب النهاردة بس لقيتله إجابة .. والنهاردة بس عرفت إنى ما كنتش بحبه فعلًا زى ما كنت متخيلة.. ياااه بجد حاجة غريبة .. عارفة لما تحسى إنك إتجوزتى واحد عشان خايفة تكسرى قلبه .. عادل قبل ما أوافق عليه كان بيقولى إنى أنا الشمس والقمر .. وإنى أنا الأرض .. وإنى كل شىء فى الكون بتاعه .. وإنه ما يقدرش يكمل لحظة من غيرى .. وإنه من بعدى هيكون إنسان محطم .. عادل حاوطنى بجو من الرومانسية والحاجات إللى طول عمرى حلمت بيها.. معرفش ليه وإزاى ما وقفتش مع نفسى لحظة صدق وأخدت قرار إنى أواجه الحقيقة ساعتها .. ليه سيبت نفسى أنجرف ورا التيار وخلاص .. التيار إللى عادل صنعه وعاش فيه وعيشنى أنا كمان فيه ..

نظرت إلى سارة بينما كانت تمرر أصابعها بين شعرها .. أنا فعلًا خوفت أكسفه وأجرحه وأكسر قلبه .. فعلًا خوفت عليه من حبه ..

- ميزة إمتى هتتعلمى تشوفى ما وراء المظاهر .. كل الكلام إللى إنتى بتقوليه دا كان تمثيل عادل بيمثله عشان يهرك .. أنا فعلًا من أول يوم

شوفته فيه وأنا كنت مقتنعة بكده .. إنه مش بيعمل كده عشان يقنعك إنه بيحبك قد ما بيعمل كده عشان يهرك ويخطف قلبك وعقلك .. لو قلنا الحق هو كمان عمره ما حبك .. هو كان عايز يمتلكك .. هو شاف فيكى الصورة المثالية للست إللى ترضى غروره .. الست إللى وجودها جنبه هيخليه يظهر قدام المجتمع بصورة أفضل .. الصورة إللى هو عايزها وحلم بيها .. إنه يروح يعرف كل الناس إنه خد أحسن واحدة .. إن عادل فؤاد ما يتجوزش أى واحدة .. لازم تكون واحدة مثالية وعندها وعندها ... وما إلى أخره ..

صمتت ميزة مرة أخرى .. وشردت بعيدًا .. تتذكر بعضًا من أحداث حياتها مع عادل .. ثم تعود لتتحدث إلى سارة ..

- تعرفى يا سارة .. ساعات كتير بتمنى إن كل الرجالة يشوفوا الدنيا بعينينا .. مين عارف .. مش يمكن ساعتها بس يقدروا يفهموا إحنا قد إيه بنستحمل سخافتهم وأنانيتهم وعدم تفكيرهم غير فى نفسهم وفى إحتياجاتهم هما وبس ..

***

ياللعجب .. لقد حسدتها عليه عندما تزوجته .. وها هى تحسدها مرة أخرى الآن بعد أن تركته.. ندى .. تلك المرأة البائسة .. التى تقضى معظم أوقاتها فى التفتيش خلف أخبار الناس عبر شبكة الانترنت .. لقد عرفت منذ أيام قليلة فقط .. أن ميزة قد انفصلت عن عادل .. أن ميزة قد تركت الرجل الذى قد وصفته فى يوم من الأيام بأنه هو حب حياتها .. يا إلهى كيف فعلتها ..؟؟ من أين واتتها تلك الجرأة ..؟؟ هكذا فكرت ندى .. التى كانت تحسد ميزة على عادل .. تجد نفسها الآن تحسدها مرة أخرى على

فرصة الرجوع إلى الخلف .. على فرصة رسم نقطة فى صفحة حياتها ثم النزول للبدء مرة أخرى من على سطرٍ جديد .. تحسدها على تلك الفرصة، التى تفتقدها الكثيرات والكثيرات من النساء .. اللواتى قد فقدن حريتهن إلى الأبد بمجرد توقيعهن لذلك العقد المُسمى بعقد الزواج .. وكانت هى تعلم عن يقين أنها إحداهن .. لقد تزوجت من آدم بمحض إرادتها .. ثم أنجبت منه الأطفال ظنًا منها أنها بهذه الطريقة سوف تكبله وتجبره على البقاء بالقرب منها مدى الحياة .. وهى لم تكن تعلم أنها ما كبلت آدم إنما كبلت نفسها هى به .. والأغرب من ذلك .. فكرت ندى لوهلة .. ماذا سوف يحدث لو لم أكن قد أنجبت منك أطفالًا يا آدم مثلما لم تنجب ميزة أطفالًا من عادل قط ...!! هل كنتِ ستجرأين على طلب الطلاق مثلها؟؟ بالطبع لا .. كاذبة إن ظننتِ انه بوسعك فعلها ..؟؟ وإن فعلتِها إذًا كيف ستواجهين المجتمع وأنتِ امرأة مطلقة ..؟؟ وإلى أين سوف تذهبين بعد بيته ..؟؟ هل ستعودين إلى بيت أبيكِ مرة أخرى ..؟؟ هل سوف تعودين إلى تلك الحجرة المقيتة، التى تشبه القبر ..؟؟ هل كنتِ لتفعليها ..؟؟ وما الفرق بين بيتك يا آدم وبيتك يا أبى ..؟؟ فكلاهما قبر .. هكذا فكرت ندى..

وهكذا روادتها الكثير والكثير من التساؤلات .. ولكن فى النهاية لم يسيطر على فكرها أى أمر سوى كم هى تحسد ميزة على كل شىء .. فلطالما حسدتها على والدها الرائع، الذى يساندها ويدعمها فى كل شىء .. ثم حسدتها على جمالها وأناقتها .. ثم حسدتها بعد ذلك على حريتها .. ثم حسدتها مرة أخرى على وظيفتها .. ثم مرة أخرى على زوجها .. وها هى الآن تتطلع إلى الشعور بالكرامة .. الذى تتمتع به ميزة وهى لا..

فعلى الرغم من أنها كانت تتحرق شوقًا لمعرفة السبب .. ويأكلها الفضول أكلًا من الداخل .. إلا أنها لم تكن تستطع الاتصال بميزة

والتدخل فى حياتها أكثر من ذلك .. فقد وضعت لها ميزة حدودًا من قبل بالفعل وتقطعت بينهم العلاقات جميعها .. فيما عدا تلك الصداقة الزائفة، التى تربطهم ببعض إسميًا على موقع فيس بوك ..

وعلى الرغم من عدم علمها للأسباب .. إلا أن معرفتها الوثيقة السابقة بميزة كانت كافيةً لإعطائها مقدمات عن أسباب الطلاق .. إنه حتمًا أمر يتعلق بالكرامة يا ميزة .. هكذا فكرت ندى .. وهكذا سوف تفكر دائمًا بغض النظر عن حصولها على أخبار من عدمه .. وهكذا سوف تقضى ما تبقى من عمرها فى التفكير فى حياة كل الناس عدا حياتها هى ..

طبعًا ليها حق تتطلق .. ولو ما كانتش ميزة إللى تتطلق أمال مين إللى هتعملها..!! تعرف إيه هى عن القهر والذل .. تعرف إيه هى عن ضربات قلبى كل مرة بشوف جوزى متعصب أو حاجة مضايقاه، وخوفى أكلمه فى حاجة لحسن يطلع عصبيته عليا ويضربنى .. تعرف إيه هى عن إحساس واحدة ست جوزها بيمد إيده عليها ومش بس كده لأ دا كمان بيعمل كده قدام عيالها إللى خلاص كبروا وفتحوا عيونهم على الدنيا وبقوا بيشاركوا أبوهم فى إهانته لأمهم..

يااااه يا ندى .. الظاهر إنك كنتى غلطانة .. كأن الدنيا مش عايزة تسيبك غير لما تصدقى إن الجواز إللى إنتى ياما جريتى وراه وحاربتى لحد ما وصلتيله ما كانش هدف مظبوط من البداية .. بصى لنفسك دلوقتى .. أديكى بتدفعى تمن تسرعك وسوء اختيارك غالى .. غالى قوى يا ندى .. هكذا فكرت ندى ..

عاد أحمد إلى بيته .. سار عدة خطوات .. وبينما كان يمر فى الردهة .. سَمِعَ صوتًا قادمًا من غرفة ابنته ميزة .. كان هذا هو صوت ميزة وهى

تتحدث إلى سارة .. التى كانت تجلس معها فى غرفتها فى ذلك الوقت .. وعلى الرغم من كراهيته لعادة التلصص .. إلا أنه لا يعلم لماذا ظل واقفًا فى محله منتظرًا سماع بقية الحديث ..

- سارة أنا ما أقدرش أسافر أعيش برا وأدور على شغل أو أدرس أو أعمل أى حاجة عندك فى إسبانيا .. صدقينى .. ما هو السبب إللى منعنى عمرى كله من إنى أعملها لسة موجود .. أنا ما أقدرش أبعد عن بابا أسيبه لوحده أبدًا ..

- إللى تشوفيه .. أنا عارفة إن موضوع سفرك لفترة طويلة دا موضوع صعب عليكى فعلًا .. وعارفة إنتى قد إيه مرتبطة بعمو .. بس أنا شايفة إن فى حالتك دى دلوقتى إنتى محتاجة تغيرى مكانك وتغيرى وشوش كل الناس إللى حواليكى عشان تعرفى تبدأى من جديد .. أو على الأقل لحد ما كل الناس تبدأ تنسى وإنتى كمان تنسى عادل وأيامه بالكامل وتتمسح من ذاكرتك ..

- لأ مش هينفع يا سارة .. مش هينفع صدقينى ...

استدار أحمد وذهب إلى غرفته .. جلس على حافة فراشه شاردًا .. مفكرًا .. ثم أمسك بإحدى يديه صورة قديمة له مع زوجته الراحلة أم ميزة ومصطفى ..

لو كنتى معانا دلوقتى كنتى هتعملى إيه ..؟؟ كنتى هتخليها تقعد هنا ولا هتقوليلها تسافر ..؟؟ طب لو كنت أنا اللى موتت قبلك وإنتى لسة عايشة لوحدك برضو كنتى هتعملى إيه يا هويدا؟؟

***

وكنت دائمًا تخبرنى كم تحبنى .. وكنت تحب أن تقضى الليل بقربى .. وكنت تفضل صوتى على بقية الأصوات .. وكنت تستمع إلىَّ حتى تنام .. وكنت تخبرنى أننا سوف نضحك معًا، ونبكى معًا .. وأننا سوف نشيخ معًا... وكنت تصف لى حبك لابنتنا المستقبلية التى سوف تحبها كثيرًا فقط لمجرد ذلك الشبه الكبير الذى يجمع بينى وبينها .. وكنت تخبرنى أننى أنا أجمل نساء الكون .. وبأنه ليس قبلى قبلًا .. وليس بعدى بعدًا .. وبأن الليل يختبئ خجلًا عندما يرى شعرى .. وبأن القمر يختفى فى حضرتى .. وبأن الشمس لا تشرق حتى أستيقظ .. وبأن كل طيور الكون متصلة بقلبى .. وبأن كل الزهور تزهر فقط لأجلى أنا ..

وهكذا كنا وهكذا كان .. وهكذا كان يا زمان .. وهكذا كنت تقول .. وهكذا كنت أصدقك .. وهكذا خدعتُ نفسى وظننتُ أننى أحببتك ..

هكذا فكرت ميزة .. بينما كانت تقف على الشرفة فى إحدى ساعات الليل المتأخرة .. بعد أن اطمأنت أن جميع من فى البيت قد ناموا .. وفجأة همس أحمد والدها باسمها ..

- بابا إنت لسة صاحى .. أنا إفتكرتك نمت .. قالتها وهى تبتسم فى دفء ..

- أه .. لسة صاحى .. ما نمتش أصلًا ..

- ليه كده .. كل دا إيه إللى مصحيك ..

- إنتى إللى مصحيانى .. بصى يا ميزة يا حبيبتى أنا عايز أقولك حاجة.. أنا بالصدفة سمعت كلامك النهاردة إنتى وسارة عن السفر .. وبينى وبينك فى الأول فرحت لما سمعتك وإنتى بترفضى وبتقوليلها لأ أنا مش هسافر

عشان ما أسيبش بابا لوحده .. يمكن قبل ما تتجوزى لو كنت سمعتك بتقولى كده كنت أيدتك فى قرارك دا .. بس دلوقتى الوضع إختلف .. لا أنا ولا أخوكى بقينا صغيرين .. وانا يمكن هتعب شوية وهزعل شوية لو سبتينا وسافرتى .. بس ما أكدبش عليكى أنا محتاج إنى أشوفك بتتخطى أزمتك .. محتاج أشوفك بتفرحى مرة تانية .. وبتعيشى مرة تانية .. محتاج أشوفك أقوى من الأول وأسعد من الأول .. ووجودك هنا فى مصر للأسف مش هيحسسنى بكده أبدًا .. أنا عايزك تسافرى مع صاحبتك .. وتنبسطى وتعيشى .. أنا محتاج أبقى متطمن عليكى ومتأكد إنك فرحانة ومبسوطة ..

- لأ يا بابا .. إنت بتقول إيه .. إنت عايزنى أسافر .. أنا ما أقدرش أعملها .. ما يجيليش قلب أعملها ..

- وأنا كمان ما يجيليش قلب أشوفك زعلانة .. أنا شايف إنتى بتبقى فرحانة قد إيه بوجود سارة صاحبتك .. وبتبقى فرحانة إزاى هناك فى إسبانيا .. صدقينى أنا محتاج لسفرك أكتر ما إنتى محتاجاله .. أنا فعلًا عايز أشوفك مبسوطة .. عشان خاطرى حققيلى رغبتى دى .. إنتى تعبتى معانا كتير .. قضيتى سنين طويلة من عمرك بتاخدى بالك منى أنا وأخوكى.. إنتى شيلتى البيت دا كتير وما أفتكرش إن فى حاجة تانية تقدرى تعمليها علشان أكتر من كده .. إحنا دلوقتى اللى محتاجين نشوفك مبسوطة .. ودا الوقت إللى المفروض تشوفى فيه سعادتك فين وتلحقيها..

***

الساعة الآن الواحدة وعشرون دقيقة صباحًا .. لقد غط أخيرًا فى نومٍ مضطرب .. بعد أن نسى كيف هو مذاق النوم العميق بالفعل .. بمجرد أن دق هاتفه مد يده فى غفوة يتحسس كل شىء بقربه وصولًا إلى الهاتف ..

- آلو .. مين ..؟

- مين إيه .. إنت مش شايف رقمى عندك .. أنا هدى يا عادل .. قوم بسرعة..

أجابها بلسان أثقله النوم ..

- هدى مين .. أه أه .. صح خالة ميزة .. فى إيه ..؟

- ميزة مسافرة إسبانيا النهاردة .. طيارتها هتطلع الساعة أربعة الفجر.. هتبقى عند المطار الساعة إتنين .. إلحق بسرعة روح إلحقها قبل ما تسافر ..

- إيه .. إيه .. بتقولى إيه ؟؟ انتفض من موضعه ونظر فى الساعة .. أدرك ان الوقت قد أصبح متأخرًا بالفعل .. ولكنه مع ذلك سوف يخوض المحاولة الأخيرة لاستعادتها ..

ألقى الهاتف جانبًا .. وارتدى ملابسه فى دقيقة .. ثم اندفع فى سرعة عجيبة، غير مكترث بعلامات النوم الظاهرة على وجهه .. ولا بشعره الأشعث الذى كان بحاجة ماسة إلى التصفيف..

قاد سيارته وهو يرجو من الله فى سره أن يلحق بها .. كان يسابق الزمن للوصول قبيل رحلة الصديقتان .. يرجو الله فى سره أن يراها .. لو حتى للمرة الأخيرة .. أصبحت الآن الساعة الثانية إلا خمس دقائق .. وها هو يعبر بوابات المطار بسيارته .. لقد بدأ الحظ يقف إلى صفه مرة أخرى .. فقد كانت الشوارع مرورًا من بيته إلى المطار شبه خاوية ..

وصل إلى أقرب بقعة بإمكانه ترك سيارته فيها ..

ونزل منها ليركض مسرعًا باتجاه بوابة المغادرة .. إنها نفس البوابة التى قد غادر منها إلى إسبانيا المرة السابقة مع ميزة .. وعلى أمتار من البوابة .. وجدها .. يا إلهى .. لقد وجدها ..!! لقد رآها ولكن لا يمكنه الاقتراب منها مادام أبوها وأخوها موجودان فى الأجواء ..

هناك شخصًا أخر يراه واقفًا بالقرب منها .. يادى القرف .. سارة معاها كمان .. لأ دى كده إتقفلت من كل ناحية .. بس مش مشكلة برضو هفضل واقف وأول ما يمشوا هكلمها .. أكيد هيمشوا ويسيبوها .. هكذا فكر عادل ..

مرت خمس دقائق .. أو ما يقارب الخمس دقائق .. لم يكن عادل فى حالة تسمح له بمتابعة الوقت .. كان يراقب ميزة عن كثب .. ويالللغرابة .. فلكم أوجعته سعادتها فى تلك اللحظة .. لقد كان وجهها يشرق ابتسامًا ونورًا .. لقد عادت كما كانت تمامًا عندما رآها أول مرة .. لقد عادت إليها تلك الإشراقة والهالة الضوئية التى كانت محيطة بها قبل أن تتزوج منه ..

لقد بدأ عادل يدرك لتوه أن ميزة أفضل حالًا بدونه .. بدأ يفكر فى كم سيكون أنانيًا إن استعادها مجددًا .. إنها تزهر بدونى وتذبل بالقرب منى .. هكذا فكر عادل ..

كان الجميع يقف بالقرب من البوابة فى تلك اللحظة .. عانقت ميزة أحمد ومصطفى .. ثم ودعوها وذهبوا بعد أن تبادلوا التحية مع سارة .. انحنت كلتاهما للإمساك بحقائبهما .. بينما كان هو لازال يقف مترددًا .. هل يُناديها الآن ..؟؟ أم يحمل حاله ويذهب فى صمت ويتركها لسعادتها ..؟؟

كانت هذه هى اللحظة الحاسمة بالنسبة اليه .. فهى هنا الآن .. وفى اللحظة التالية سوف ترحل فى رحلة هى نفسها لا تعلم متى سوف تُنهيها ..

لم يفكر كثيرًا .. فلقد تذكر لتوه عنصر تحفيزه الأول والأخير .. أهم سبب كان دائمًا يدفعه للبقاء بالقرب منها والاحتفاظ بها لنفسه ..

ياااه .. أخيرًا عرفت الإجابة على السؤال دا .. ميزة عمرها ما حبت حد قبلك .. بس إنت يا عادل إللى كنت نصيبها من التجارب السيئة .. ودلوقتى هى هتروح لتجربة تانية حلوة أحلى منك بكتير .. هتروح لواحد تانى غيرك هيسعدها أكتر منك .. هتفرح معاه وهتنساك خالص .. مستنى إيه .. هى هتعيش وهتنبسط فى حياتها وإنت هتفضل هنا زى ما إنت .. بس لا .. لا يا ميزة أنا مش نصيبك من التجارب السيئة .. أنا نصيبك من كل حاجة .. أنا نصيبك من الحياة كلها.. والله العظيم ما أنا سايبك تروحى لواحد غيرى ..

وكعادته .. لقد ألقى لتوه دون أن يشعر قسمًا هو نفسه ليس أكيدًا من إمكانية الوفاء به .. ركض مسرعًا وهو يلوح وينادى بصوت عالى مسموع للجميع .. بينما كانت سارة تسبق ميزة بالفعل بعدة خطوات صوب البوابة ..

ميزة .. ميزة .. إستنى .. ميزة ..

استدارت ميزة ووقعت عيناها عليه .. لقد نظرت إليه ولكنها لم تراه .. فعادل الذى تزوجته كان قد اختفى من ناظريها إلى الأبد فى تلك اللحظة، التى اكتشفت فيها خيانته لها ..

لا يعلم لماذا توقف عن الركض وعن مناداة اسمها فى تلك اللحظة .. لقد نظرت إليه فقط، ولكن كما لو كان فى نظرتها أمر بالتوقف ..

وهكذا .. وقفت ميزة فى المنتصف تمامًا .. بين سارة وعادل .. بين المستقبل والماضى .. بين الصداقة الحقيقية والزواج الزائف .. بين السعادة والبؤس ..

رفعت كلا حاجبيها ونظرت إليه نظرة يملؤها الفخر والتعجب فى نفس الوقت .. ثم التفتت ونظرت الى سارة .. والتفتت مرة أخرى ونظرت اليه ..

كمن كانت تُفكر فى من يتوجب عليها اختياره اليوم ..

نظرت مرة أخرى إلى سارة .. ثم عاودت النظر إلى عادل .. لقد منحته تلك النظرة .. التى تُعلن انتهاء الوقت .. لقد حان الآن موعد الرحيل ..

أمسكت بمقبض حقيبتها واستدارت صوب بوابة المطار .. وكان أخر ما سمعها تقوله هو صوتها وهى تقول لسارة ..

يللا يا سارة نمشى من هنا .. فى ناس لسة محتاجة تعيش عشان تتعلم إن الحياة قطر كبير .. باصص قدامه .. وما بيرجعش لورا أبدًا ..

***

عاد أدراجه .. فتح باب شقته .. نظر حوله .. فوجدها خاوية من كل شىء .. وعندما نظر بداخله شعر بفرط التشابه الذى قد جمع بينه وبين شقته فى تلك اللحظة .. فقد كانت هى جميلة من الخارج خاوية من الداخل .. تمامًا مثله هو .. الذى يبدو جميلًا من الخارج .. خاويًا من الداخل ..

أو هكذا تركته ميزة .. خاويًا .. ضائعًا .. تمامًا كالسفينة التى ما إن خرجت من الميناء .. حتى فقدت قبطانها وتمزقت عنها شِراعاتِها .. وحينها فقط بدأت رحلت التيه العملاقة .. التى ضاعت بها السفينة .. وها هى تجوب البحار بلا وجهة .. بلا مرسى .. بلا أى شىء .. تتقلبها الامواج وتتقبل هى ركلاتهم فى صمت وحزن وانكسار ..

كل الأماكن بالنسبة لها بحار .. وكل شىء بالنسبة لها سواء .. فقط بحر وسماء.. النهار يشبه الليل .. والليل يشبه النهار ... كل الأوقات سيان .. وكل شىء يسوده الصمت المطبق .. ذلك الصمت القاتل .. الذى وبعد رحيل ميزة .. لم يعد بوسع أذنى عادل أن تسمع سواه ..

ياللعذاب .. سوف يتعين عليه أن يقضى بقية حياته معذبًا .. لقد ظهرت آثارك عليه الآن يا ميزة .. لقد حُكم على عينى عادل أن ترى بقية النساء منذ الآن وصاعدًا ميزة فقط .. أنتِ فقط ..

لم يعد بوسعه فعل أى شىء الآن سوى الاستمرار فى لعب نفس الدور، الذى لطالما اعتاد أن يلعبه من قبلك .. دور الرجل المثالى .. الرجل الضحية .. نصير المرأة .. الصوت المنادى بالمساواة .. ولكن التغيير الوحيد الذى طرأ على حاله .. هو أنه الآن بات يعلم جيدًا عن يقين أن كل تلك الأفكار، التى لطالما تحدث عنها فى كتبه ومقالاته ولقاءاته التليفزيونية .. هى ليست أكثر من مجرد قناع ..

كان فى الماضى يعتقد أن أفكاره هى حقيقته الوحيدة .. كان قبل ظهورك يا ميزة يعتقد أن هذه هى حقيقته .. ولكن بعد ظهورك فى حياته ورحيلك عنها بات يعرف جيدًا ماهية حقيقته .. عادل هو كل شىء أخر إلا أفكاره .. أو بالأحرى الأفكار التى يدعيها .. ويتظاهر بأنه يتبناها ..

مرت الأيام والشهور .. ومر الكثير من الوقت بعد ذلك .. واستمر عادل فى لعب نفس دوره فى المجتمع .. تحدث الجميع عن حبه لزوجته السابقة.. تحاكى الجميع بإخلاصه وضربوا به الأمثال، الإخلاص الذى ألف كتبًا وكتب كثيرًا بعد ذلك تتحدث عنه فقط ..

قال الناس انظروا له .. ياللعجب ..!! كيف باستطاعة شاب جميل مثله أن يبقى أعزب كل هذا الوقت .. ألهذه الدرجة لازال واقعًا فى غرام زوجته السابقة ..؟؟ بل قالوا عنها كذلك امرأة قاسية متحجرة القلب ..!! كيف تجرؤ على الإفلات من رجل لطالما أحبها مثله .. ولكم تمنت الكثيرات أن يكن هى .. أن يكن فى محلها .. ياللعجب .. ومرة أخرى تخدعهن المظاهر.. ولو كانوا اطلعوا على ما فى رأسك .. ولو كانوا قد اطلعوا على حياتك الآن .. على حقيقتك الآن ... لاختلف الأمر كثيرًا ... ولكن ماذا عسانا أن نقول .. وماذا عسانا أن نفعل .. وكيف باستطاعتنا الحياة فى مجمتع يعشق المظاهر .. ويعتد بها فى كل شىء .. فهكذا هى الحياة .. وليس فى وسعك شىء سوى أن تعيشها كما هى يا عادل .. ليس فى وسعك أن تفعل شيئًا سوى أن تساير الموجة .. وتمشى مع التيار وليس ضده كما كنت تظن أنك ستفعل فى الماضى.

يقولون .. أن هناك الكثيرات والكثيرات من النساء العاديات جدًا .. بل وأحيانًا الغبيات .. يجرب الرجل منهن واحدةً تلو الأخرى .. وينتهى من واحدةً تلو الأخرى .. وهكذا قد يقضى الرجل عمرًا بأكمله يتقلب بين هؤلاء النسوة، اللاوتى يتشابهن فى كل شىء فيما عدا الوجه والقالب .. يقضى الرجل عمرًا يتقلب بينهن ولا تبقى أيًا منهن فى ذاكرته لثانية واحدة بعد رحيلها عنه ..

أما عن المرأة الذكية .. فهى تلك التى يتصادف وجودها فى حياة الرجل مرة واحدة فقط ولا يمكن لها أن تتكرر أبدًا .. إنها كالنجم الثاقب إن كنت محظوظًا قد تصادفه عيناك مرة واحدة فقط فى الحياة .. إنها كالشهاب .. تأتى مضيئة ومبهرة ودائمًا على عجلة من أمرها .. وتذهب لتترك الرجل على حالٍ أخر غير ذلك الذى وجدته عليه .. تختفى من أمام ناظريه بعد أن حفرت لها مكانًا غائرًا فى ذاكرته .. لا يُمكن أن يُمحى مكانها أبدًا .. لا يمكن أن تحل محلها امرأة أخرى أبدًا ..

المرأة الذكية .. التى يحبها الكثيرون .. ولا يحظى بها سوى ذاك الرجل، الذى يملك شجاعة الحياة بالقرب من امرأة تملك ما هو أكثر من مجرد وجه جميل .. وجسد رائع .. وشعر طويل ناعم ..

وحده الرجل الشجاع ذو البصيرة الثاقبة .. هو من يملك الرؤية عبر أرواح النساء .. هو من يعبر بعينيه إلى ما هو خلف هذا الوجه وهذه الصورة ..

وحده الرجل الشجاع .. الذى لا يمكن أن يشعر أنه مهدد لمجرد وجود امرأة ذكية فى الأجواء .. هو من يملك القوة اللازمة للبقاء بالقرب منها .. وهو أيضًا من يملك الحظ الكافى للحصول عليها ..

يا سيدتى .. الم يأن لكِ الوقت بعد حتى تعرفى .. أن الناس يرحلون عن هذه الحياة بدون السيارة الجميلة .. والبيت الفسيح ذو الطابقين ..!!

يا سيدتى .. ألم يأن لكِ الوقت بعد حتى تعرفى .. أن قيمة الرجل لا يُمكن أن تُقدر بوظيفته المرموقة .. وملابسه الباهظة ..!!

سوف تمر بكِ السنوات .. وسوف تتزوجين .. وقد تنجبين بعد ذلك الكثير من الأطفال .. أو قد تنجبين طفلًا واحدًا فقط .. أو قد لا تنجبين أية أطفال على الإطلاق..

سوف تمر بكِ السنوات .. وسوف تتزوجين .. رجلًا غنيًا أو فقيرًا .. جميلًا أو قبيحًا .. ومن يدرى لعل الله بعد ذلك يُنعم عليكِ ويمنحكِ الكثير والكثير من الأموال لكِ إنتِ وزوجك .. وسوف تسكنين قصرًا مُهيبًا .. يخطف أنفاس البشر لمجرد عبورهم من حوله .. وسوف تصبحين أنتِ سيدة هذا القصر..

إلا انكِ وبعد كل ذلك .. وعلى الرغم من كل ذلك .. سوف ترحلين عن هذا العالم فى النهاية وحيدة تمامًا .. وسوف تتركين كل شىء خلفك .. كل هؤلاء الأشخاص .. وكل تلك الأشياء .. وكل هذه الأرصدة .. سوف تنفصل عنكِ وتتركِ وحيدة .. إلا رصيدك من السعادة .. سوف يبقى دائمًا معبئًا فى روحك .. سوف تحميلنه معكِ إلى العالم الآخر .. وسوف يبقى دائمًا هو ونيسك وابتسامتك .. حتى بعد الرحيل ..

عيشى يا سيدتى .. عيشى وافرحى .. عيشى واحلمى .. عيشى وأبهرى الدنيا بجمال أحلامك .. واتركى الناس تتحدث عنكِ وعن إرادتك وعن أيامِك .. أحبى الحياة .. وامنحيها الفرصة لتحبك فى المقابل .. افرحى واصنعى الكثير والكثير من الذكريات السعيدة .. ففى النهاية وبعد كل شىء.. لن يبقى لكِ سوى أصداء تلك الذكريات .. افرحى .. فالحياة ليست كلها رجالًا .. وليست كلها لأجل الرجل .. وكل شىء له موعد .. فلا ترهقى نفسك بانتظار الحب .. ولا ترهقى نفسك بالبحث عن الحب .. ولا تركضى خلف هذا وذاك تتوسلين الحب ..

فإن للحب موعدًا لن يخلفه .. ومكانًا كُلنا إليه سائرون لا محالة ..

فاركضى فى فضاء الخيال .. واتركى للأقدار حرية الموعد .. اتركى لها حلاوة الموعد .. اتركى لها روعة الموعد ..

***

وصلت إلى البيت .. ثم دقت جرس الباب .. فتح لها عادل واستقبلها بحرارة .. ثم دعاها للدخول .. وقفت على الباب لبرهة .. تتأمل المكان .. تتأمل هذا البيت الجديد .. الذى أخبرها عادل انه قد انتقل إليه حديثًا .. لما عُرف عنه من كثرة التنقل .. وكثرة تغيير البيوت ..

قال لها مُرحبًا ..

- إتأخرتى عليا كده ليه يا ميزة ..

- معلش الدنيا كانت زحمة شوية ..

- طب يللا تعالى .. تعالى ..

جذب يدها من الباب وصولًا إلى غرفة النوم .. وأشار إلى كرسى القراءة الموجود فيها وقال لها..

- أقعدى على الكرسى دا يا ميزة ..

- إستنى بس إحنا لسة ما إتفقناش أنا هاخد منك كام النهاردة .. أنا باخد فى الليلة ....

قاطعها قائلًا ..

- هديكى إللى إنتى عايزاه .. بس تسمعى كلامى وتعملى كل إللى بقولك عليه .. تعالى أقعدى على الكرسى دا يا ميزة ..

- حاضر يا بيه هقعد ... بس على فكرة أنا إسمى مش ميزة .. أنا إسمى قاطعها مرة أخرى ..

- مش مهم أعرف إسمك الحقيقى إيه .. المهم إنكِ النهاردة حتكونى ميزة ..

***

obeikan.com

obeikan.com

obeikan.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

noon_publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007

obeikan.com